رواية

شهر العسل

لـ إيمى الأشقر

رقم الإيداع
2018 / 5325

-1-

عريس جميل

ابريل – 1997

فى أخر ليلة من ليالى شهر ابريل وكان الطقس لطيف الا انه يميل الى البرودة قليلا ولكن الطقس كان يعتبر مناسب جدا لاشياء كثيرة ... وخاصة حفلات الزواج لان معظم الناس لاتفضل الزواج فى فصل الشتاء وتنتظر الى الربيع او قدوم الصيف وخاصة اذا كانت دخلة " ليلة الزفاف " وليست خُطبة , هكذا كان أهل المنطقة يقولون وعلى هذا المبدأ يحددون مواعيد حفلات الزفاف الخاصة بهم وبزويهم ايضا الا اذا كان هناك أمر اضطرارى يدفعهم الى الإذعان لنظام أخر .. وفى هذه الحالة يكون حدث غريب مُثير لتعليق الجيران والمقربين ويدفعهم للتسَاؤُل .. لماذا لم ينتظروا حتى الوقت المناسب والذى اعتاد عليه كل الناس ؟

ولكن فى الحقيقة انهم كانوا متمسكين ومقتنعين بأساليب وافكار بعينها وخاصة فى موضوع الزواج ولا يميلوا الى التغير او الإقتناع او حتى الاعتقاد او حتى محاولة التفكير بأساليب اخرى او بافكار اخرى غير التى توارثوها عبر الأجيال وطالما انها مَوروثه جيل بعد جيل فان هذا من وجهة نظرهم هو الصواب بعينه واى شىء مختلف يعتبر شىء غير منطقى والذى يقتنع به يعتبر شخص غير طبيعى وغير مألوف بالنسبة لهم ..!

رغم انه ربما يكون الشىء المألوف غير صحيح والشىء الغير مألوف هو المنطقى الصحيح ولكن ..

يبدو إن الإنسان يميل الى ماهو متفق مع اهوائه الشخصيه وتكوينه البيئى والنفسى اكثر مما يتفق مع الحقيقة بل ويدعى انه الحقيقة الاكثر منطقية !!

فهم مثلا يعتقدون ان العريس المناسب هو الذى على أتم استعداد للزواج فى اسرع وقت ممكن وطالما انه جاهز " على حد تعبيرهم " فهو لايمكن رفضه ابدا !

رغم ان المنطق يقول ان الزواج فى فترة قصيرة ليس ميزة اطلاقا , فطالما ان الزواج تم خلال فترة قصيرة معنى ذلك ان العروسين لم يتمكنوا من فهم بعضهم البعض وإستيعاب كلا منهم لشخصية الاخر واسلوب تفكيره وحقيقة اسلوبه فى التعامل مع الاخرين وفلسفته عن الحياة الزوجية ورؤيته الشخصية عن شريك الحياة وطالما ان المواقف هى التى تُظهر حقيقة الانسان وخلال فترة الخُطبة القصيرة كان الإحكتاك بينهم اما زيارات منزلية فى إطار رسمى وفى نفس الوقت يتخذون اجراءات واستعدادات الزواج وبالتالى فان الزواج فى اسرع وقت ممكن

تكون نتيجته ان يجد الطرفين انفسهم معا تحت سقف بيت واحد وللاسف غُرباء عن بعضهم البعض فكيف يكون الزواج فى اسرع وقت ممكن يُعتبر فرصة لا يمكن تعويضها ؟؟؟ ولكن الصواب ان الزواج فى فترة قصيرة يعتبر مُغامرة كبيرة ربما يكون ضحيتها أم مطلقة بعد عدة اشهُر او زوجة تعيسة الى اخر العمر ... !!

وبالنسبة للعروس , فالعروس المُناسبة هى التى تكون على قدر كبير من الجمال الجسدى وتُجيد فن الطبخ واعمال المنزل ومن اسرة محترمة , ولكن هل هذا يكفى لإقامة حياة زوجية متكافئة وعلى اساس قوى لا ينهار مع مرور الزمن بفعل اعباء الحياة الثقيلة .. الثقيلة جدااا ؟!

والمنطق هنا ايضا يعترض وبشدة , فهل الزوجة هى مجرد خادمة وجسد للمُتعة فقط ؟ ام الزوجة شريكة للحياة ومدرسة سوف يتعلم فيها الأبناء الاخلاق والقيم والفلسفة والدين ؟

ولذلك فان العقل والمنطق يقول .. ان الزوجة لابد ان يتوافر فيها صفات جوهرية وعاطفية وصاحبة عقل راجح وشخصية قوية لتكن سند لزوجها فى رحلة الحياة الصعبة وتكن أم يتباهى بها ابنائها فى المستقبل لانها أحسنت تربيتهم وجعلت منهم شخصيات جديرة بالاحترام والزوجة لابد وان يكون بينها وبين زوجها تكافوء بيئى وإجتماعى وثقافى والاثنين متفقين على نفس فلسفة الحياة حتى يسيروا معا على نفس الطريق ولا يُصبح كل منهم بعد الزواج يسير على طريق موازى للاخر ..

انها وجهات نظر سطحية بدرجة كبيرة جدا ولكن الغريب انها مألوفة لدى الجميع ولن اقول بلا استثناء فاكيد هناك شخص سوف يَشرُد عن القاعدة العامة ولكن لم يظهر بعد ...

والاكثر غرابة انه لم يعترض عليها احد ولن يناقشها اى شخص او حتى يُفكر فيها انها كانت صحيحة ام خاطئة ؟ والأغرب ان العلاقات الزوجية التى بُنيت على هذا الاساس كلها إما انتهت بالفشل او مستمرة بالفشل ايضا ...!

ولكن اكيد سوف يظهر عقل يفكر ويتدبر الامر اكثر ويستفيد من تجارب الاخرين ...

فمن المنطقى ان ندرس تجارب الاخرين ونحدد اسباب الفشل وسلبيات العلاقة لنتجنبها ونتعلم من الدرس ولكن الغريب انهم يقلدون ويكررون نفس التجربة بنفس الفشل ايضا وينتهى بهم الامر الى نفس النهاية المحاطة بخيبة الامل والفشل ...!!

وفى اخر ليلة من ليالى شهر ابريل ...

وفى شارع ينتمى الى منطقة شعبية سكنها من الطبقة المتوسطة , شارع يوجد فيه المنازل التى لا تتعدى الطابقين او الثلاث طوابق على جانبى الشارع فيبدو الشارع للقادم من خارجه انه على شكل مستطيل حيث يوجد صف من المنازل

على اليمين وصف مقابل لها على اليسار واسفل كل منزل دكان او اثنين اما المتاجر الكبيرة فتوجد خارج نطاق الشارع ولكنها ليست ببعيدة عن المنطقة ..

وكان منزل "سعيد متولى" هو اكبر منزل فى الشارع حيث يتكون المنزل من ثلاث طوابق ولكن مساحته كبيرة جدا والنوافذ فيه عريضة , البلكونات فيه كانت واسعة ودائرية وكل غرفة بها باب يطل عليها اما سطح المنزل فكان مثل الحديقة به زرع وازهار ومقاعد وتربيزات للجلوس وقضاء اوقات تجمع بين افراد الاسرة فى الليالى الصيفية ..

سعيد صاحب بشرة خمرية وملامح متناسقة , فعيناه سوداء مثل سواد الليل , متوسطة ليست واسعة او ضيقة وشفتيه رفيعتين وانفه رفيع متوسط الطول وجسمه متناسق جدا فهو لا يميل الى كثرة الطعام بالعكس هو ياكل كل شىء ولكن بكميات محدودة , ميسور الحال فهو يعمل فى مجال المقاولات , يحب اسرته ويحب عمله وليس لديه فى حياته اهم من اسرته وعمله , ورغم انه لم يُرزق بولد الا انه لم يحزن لذلك او ربما لم يهتم ان يحزن بسبب شىء قرر القدر ألا يمنحه اياه ولكن رزقه الله بثلاث فَتَيَات ويتمنى ان يحصُلوا على اعلى الدرجات العلمية واعلى الشهادات فهو لا يُمانع اطلاقا فى تَفرغ الفتاة للدراسة والحصول على شهادة جامعية وبعدها البحث عن وظيفة اما الزواج فيأتى فى وقته المناسب ولكن الخطوة الاولى والاهم هى التعليم والوظيفة فهو صاحب عقلية متحضرة جدا ولا يميل الى زواج الفَتَيَات فى سن مُبكر ولكن هو يشك ان تكون وجهة نظرة هذه هى نفس وجهة نظر فتياته الثلاث وخاصة .. " مفيدة "

مفيدة هى ابنته الصغرى , ممتلئة القوام وبشدة فتقريبا ملامح جسدها تلاشت بفعل الدهون المتراكمة فوق بعضها وبشدة من رقبتها حتى اصابع قدميها ربما تكون ساقيها اقل قليلا من فخذيها بحكم طبيعة الجسم البشرى ولكن بشكل عام فهى عبارة عن كتلة متحركه من الدهون , بشرتها بيضاء فهى ورثت لون البشرة عن والدتها " فوزية " فهى ناصعة البياض ايضا , واخذت من والدها "سعيد " العيون السوداء وشكل الانف الا ان فتحة الفم لديها اوسع منه ربما يكون من كثرة الطعام ولكن شفتيها عريضتين قليلا , ان ملامحها تعتبر مزيج من ملامح والدتها ووالدها لكن حب الطعام لا اعرف من من ورثته ؟؟ لكن يبدو ان اللامبالاة تُخيم على طبيعة شخصيتها فمن تترك جسدها يصل الى هذا الشكل الغير مقبول وهى لاتزال فى سن صغير فهى تبلغ من العمر ثمانية عشر عام وفى الصف الثالث الثانوى اى ثانوية عامة كما يقولون ولكن يبدو ان اللامبالاة لديها لم تقتصر على جسدها فقط فهى كما لا تهتم بالحفاظ على جسدها ومحاولة الإقلال من الطعام لا تهتم ايضا بمذاكرة دروسها ولا تُعير لهذه المرحلة التى تُعتبر مرحلة تحديد مصير اى اهمية انها فتاة كسول وبشدة , لا تريد ان تُرهق نفسها فى اى شىء حتى لو كان الشىء الذى سيُقرر مصيرها , لن اقول انها ليست صاحبة اهداف .. لا انها تتمنى ان تلتحق بكلية الطب ! نعم كلية الطب التى تحتاج الى اعلى مجموع ليتمكن الطالب من الإلتحاق بها ولكن بشرط .. ألا ترهق نفسها وتذاكر وتجتهد !!!

غريبه جدا الفكرة والاغرب ان صاحبة الفكرة تقولها بلا اى حرج او خجل او اى احساس من هذا القبيل !!! ان الشىء الوحيد الذى تجتهد فيه هو الطعام وشىء اخر تجتهد فيه اكثر من الطعام انه ...

سوف تقوله هى بنفسها وتصرخ به فى وجه والدتها وتُصارح به والدها ولكن ليس الان ..

انها أخر ليلة من ليالى شهر ابريل ورغم ان الطقس بارد قليلا الا ان " مفيدة " جالسة وحدها على سطح المنزل وفى انتظار زفة العروسين فالليلة هى حفلة زفاف شاب يسكن فى المنزل المقابل لمنزلهم وسوف يسكن فى نفس بيت ابيه ولكن فى طابق قام والده بتخصيصه له فالمنزل يتكون من ثلاث طوابق , الطابق الاول يسكن فيه والدته ووالده والطابق الثانى سيكون مخصص للعروسين " شريف و مها " اما الطابق الثالث فسيكون مخصص لشقيقة الاصغر " حامد " عندما يتزوج فيما بعد ...

ان مفيدة تقف على السطح وفى انتظار قدوم السيارة التى يستقلها العروسين بشغف كبير جدا رغم ان زفة العروسين فى ليلة الخُطبة لم تهتم ان تشاهدها او تقف فى الشرفة فى انتظارها يبدو ان ليلة الزفاف بالنسبة لها تُمثل شىء اكثر اهمية مما جعلها تنتظر كل هذا الوقت ...

انها واقفه تستند على سور السطح بيدها اليسرى وتضع كوع يدها اليمنى على يدها اليسرى لتتمكن من وضع يدها اليمنى على خدها وكأنها تنعى حظها ان الليلة ليست ليلة زفافها هى ..!!

شردت قليلا وكأنها تُفكر فى شىء ما اخذها بعيدا ولكن عادت مسرعة من شرودها الى الواقع بسبب اصوات الطبل والزغاريت وابواق السيارات التى جاءت مصاحبة لسيارة العروسين " شريف و مها "

فتح العريس شريف باب السيارة لينزل منها وكان فى انتظاره مجموعة من الأقارب والشباب اقاربه واصدقائه وجيرانه التفوا حوله ليقبلوه يقدموا له التهنئة على الزواج ثم تقدمت والدته " ثنية " وهى فى الستين من عمرها قصيرة القوام وممتلئة ويبدو على وجهها الفرح بزواج ابنها والذى اختلط مع تجاعيد وجهها الغائرة بفعل الزمن وقسوته والدموع ملأت عينيها صاحبة النظرة القاسية ! وجاءت وسط الجمع المُلتف حوله لتضمه فى صدرها وتُقبله ولحظتها انهمرت الدموع من عينيها فاخذ شريف يدها وقُبلها وربت على كتفها ولكن جاء والده " منصور " الرجل الطيب , قصير القوام , نحيل الجسد , وربت على كتفها من الخلف وكأنه يقول لها افسحى لى الطريق لأضم ولدى انا ايضا وأُبارك له على زواجه المُبارك فالتفتت له وتراجعت للخلف لتفسح له الطريق فتقدم بخطواته نحو ولده شريف عريس الليلة وضمه فى صدره وقِبله فاقبل عليه شريف وقَبَل يديه وربت على كتفه ..

اتجه شريف ناحية باب السيارة الاخر حتى يفتح الباب لعروسته الحسناء مها والتى كان يبدو على ملامحها القلق اكثر من الفرحة !

ولكنها صاحبة ابتسامة رقيقة عذبة وملامح وجهها يبدو عليها الطيبة ربما تكون متخوفه من الحياة فى نفس المنزل مع والدته قاسية الطباع المُتسلطة او ربما قلقه بشأن الليلة .. ليلة الدخله وما يُخيم عليها من غموض بسبب جهل الفتاة باشياء كثيرة تتعلق بعلاقة الزوج والزوجة والإعتقاد السائد وقتها ان الفتاة من العيب وسوء الادب ان تُحاول معرفة اى شىء عن العلاقة الجنسية بين الزوجين وكعادة الأُسر المصرية انهم دائما يقولون للفتاة التى لم تتزوج .. انتِ لا تعرفى شىء ولكن غدا سوف تعرفى ! وغدا المقصود به المستقبل ..

ولذلك ربما يكون القلق مُسيطر على العروسة مها لانها لاتعرف ماذا سوف يحدث عندما يُغلق الباب عليها هى وشريف وتكون معه بمفردها فلقد تكونت لديها خبرات سيئة عن العلاقة الجنسية بين الزوج والزوجة بسبب بعض الاحاديث التى سمعتها من بعض المتزوجات وللاسف تكونت لديها صورة سلبية مُخيفه تكاد تكون لا تفارقها طوال الوقت .. وخاصة انها ابنة عربجى اى ان ثقافتها تكونت من خلال البيئة المُحيطة بها والتى كل افرادها يتصفوا بالجهل والخلط بين الامور ..

انه من الافضل ان تقرأ الفتاة قبل الزواج كتاب لطبيب متخصص عن الثقافه الجنسية حتى تعى وتدرك جيدا كل شىء على حقيقتة وتكون اكثر إدراكا ووعيا وتتصرف على اساس معرفة وهذه المعرفة لن تخدش حيائها او تدفعها الى الخطيئة كما يعتقد الوالدين والمعرفة ليست عيب بالعكس انها ستجعلها اكثر حكمة وتجعلها تتحرر من القلق الزائد والخوف الشديد وتحميها من الصور السلبية والخبرات السيئة التى ربما تتكون لديها وتُخزن فى عقلها الباطن من بعض المُحيطين بها فى المجتمع

اخذها شريف فى يده ووقفوا معا والفرقة التى جاءت خصيصا لزفة العروسين "شريف ومها" تقف على الجانبين فى صفين متقابلين والعروسين واقفين بعيد فى البداية بين الصفين ..

نظرت مفيدة بكل قوة وحماس على العروسين ولكنها لم تهتم بالعروسة مها كثيرا ولكن اكثر ما لفت نظرها جمال العريس فرغم انه جارها منذ ان جاءت الى الدنيا وتراه دائما الا انه الليلة اجمل بكثير من المُعتاد , واخذت تهمهم قائله .. ياله من .. عريس جميل .. انه حقا .. عريس جميل ..

ثم نظرت الى يده فوجدته مُمسك بيد عروسته بفرحة وقوة واللهفة متجليه فى نظرة عيناه لها فقالت محدثه نفسها .. يمسك يدها بقوة .. يبدو انه .. ملهوف عليها جدا جدا ..

ثم نظرت الى عينيه الجميلة وقالت محدثه نفسها .. كم هى جميلة عيناه .. انه ينظر لعروسته نظرة جميلة ويبدو فى عينيه انه مُتعجل على الإنفراد بها وان يصبُحوا بمفردهم فى اسرع وقت ممكن .. ولما لا طبعا انها الليلة .. انها ليلة الدخلة ... اول العسل ...

ثم نظرت الى العروسة مها وقالت محدثه نفسها .. سعيدة الحظ انتِ يا مها سوف تقضى الليلة مع رجل جميل جدا .. حقا انه عريس جميل .. انه عريس ليس له مثيل فكم هو جميل الملامح وممشوق القوام ويبدو عليه كل علامات الرجولة والقوة يبدو انكِ يا مها ستسعدين وبشدة هذه الليلة .. وهذه الليلة هى بداية العسل .. اقصد .. شهر العسل .. ويبدو انه مع العريس الجميل سيكون عسل حقا ...

استمرت الفرقة فى الغناء والعزف حوالى ساعة ومرت الساعة ومفيدة لاتشعر انها واقفه تنظر اليهم لمدة ساعة كاملة فهى كان كل تركيزها واحساسها مع .. العريس الجميل .. ولذلك فقدت احساسها بالوقت رغم ان إمتحان الثانوية العامة بعد حوالى شهر والغريب انها لم تؤنب ضميرها لحظة على إضاعة الوقت فى الجلوس على السطح وانتظار زفة العروسين والوقوف ساعة كاملة شاردة مع .. العريس الجميل !!

انتهت الزفه والعروسين "شريف ومها" تقدموا بخطواتهم تجاه المنزل وبصحبتهم الفرقة والاهل والمدعوين حتى يصلوا الى الطابق المخصص لهم ومفيدة تتباعهم بعينيها وكلما اقتربوا من باب المنزل كلما زادت دقات قلبها وكأنها تعيش معهم خطوة بخطوة وتشعر بما تشعر به العروسة مها والتى هى فى الموقف الفعلى

صعد العروسين السلم حتى وصلوا الى الطابق المخصص لهم ودخلوا الى شقتهم وخلفهم اسرة شريف واسرة مها وبعض الاقارب المقربين جدا من الاسرتين وبعض من اصدقاء العروسين فلقد جرت العادة على ان يتم التقاط بعض الصور للعروسين وفى صحبتهم اقاربهم واصدقائهم ...

ورغم ان هذا يعتبر تقليد يتبعه كل الناس تقريبا الا انه شىء يعتبر غير لائق فالعروسة تكون فى حالة من التوتر والعريس يكون مُتعجل على اتمام الدخلة فلماذا يعيش معهم الناس تلك اللحظة انها لحظة اقتحام لاحساس خاص جدا ولكن بطريقة غير مباشرة ربما يكون هذا التقليد غير محبب للعروسين ولكن لايمكنهم ابدا ان يعترفوا بذلك فسوف يعتبره الناس قلة ذوق وسوء ادب منهم ان يقولوا انهم لايريدوا اى شخص يصعد معهم الى شقة الزوجية وانه شىء غير مقبول ان يرفضوا إلتقاط الصور مع الأقارب والأصدقاء فى منزلهم الجديد وفى ليلة العمر !!

التقطوا صور للعروسين فى غرفة الصالون وفى غرقة السفرة , والتقطوا لهم صور وهم ياكلون من العشاء المخصص للعروسين , والتقطوا لهم صور فى غرفة النوم ورغم ان العروسة مها لم تكن تشجع صور غرفة النوم وشعرت بالخجل الشديد والضيق ايضا الا انها لم تستطيع ان تصرح باحساسها فى هذه اللحظة فلو قالت انها لا تريد ان يُلتقط لها صور فى غرفة النوم لغضبوا منها وخاصة والدة العريس واتهموها بسوء الادب وسوء التعامل مع الاصدقاء والاقارب السُعداء من اجل العروسين والذين يعبرون عن سعادتهم وفرحتهم بهذه الطريقة !

ولكن اشتعل وجهها خجلا والضيق تجسد فى عينيها عندما قرروا ان يلتقطوا لهم صورة وهم معا على السرير !

اما العريس فبدا عليها التوتر مما اثار التعليقات المُضحكة من المُتواجدين !

وبعد التقاط اخر صورة تركوا شريف ومها معا فى غرفة النوم واغلقوا عليهم الباب من الخارج وكأنهم يريدوا ان يقولوا لهم .. هيا اتفضلوا لقد حان وقت البدء فيما تريدون فعله !!

" مفيدة " لاتزال واقفه على سطح المنزل وعيناها مُعلقة على نافذة غرفة شريف ومها والضوء يشع منها ولكن عندما سقطت نظرة من عيناها سهوا الى الشارع ووجدت المدعوين فى حفلة الزفاف خرجوا من باب المنزل واتجهوا ناحية سياراتهم حينها ايقنت ان شريف ومها اصبحوا بمفردهم الان ...

ظلت واقفه وعيناها مُعلقة وثابتة على النافذة والتى يشع الضوء منها ومعنى ذلك ان العروسين لم يناموا بعد

لم تمل مفيدة من النظر الى النافذة " نافذة غرفة .. العريس الجميل .. ومعه عروسته المحظوظة الا ان قدميها ألمتها بشدة فوزنها الثقيل ارهق قدميها فقررت ان تجلس على مقعد حتى تستريح قليلا والغريب انها لم تُفكر ان تنزل الى غرفتها لتنام او لتذاكر بعض من دروسها التى تراكمت عليها منذ بداية العام !!

جلست على المقعد وربعت بالمكان ووضعت يدها اليسرى على بطنها ويدها اليمنى على خدها وشردت بعيدا وبكل تركيز وكأنها تحاول ان تتخيل شىء ما .. ثم همهمت قائله .. يا ترى ماذا تفعل الان ايها .. العريس الجميل .. ولكن الأكيد ان العروسة سعيدة .. ثم تحولت نظرة عينيها البلهاء التى تشبه عيون البقرة الى نظرة بها غباء وقالت فى نفسها .. الدنيا حظوظ .. عريس جميل .. ونحن جيران منذ زمن .. لماذا لم يتزوجنى انا .. وكانت ستكون هذه ليلتى انا .. مع .. العريس الجميل .. صاحب الجسد المفعم بالرجولة والذى يبدو انه .. جميل وممتع ؟!

ظلت جالسة حتى غلب عليها النوم وفجأة استيقظت على صوت أذان فانتبهت وقالت لنفسها .. ما هذا ؟ يبدو انه أذان الفجر ! يجب ان انزل الى اسفل حيث غرفتى قبل ان تستيقظ " صوفيا " ثم قالت محدثه نفسها متهكمة .. انها تستيقظ مع اذان الفجر من اجل المذاكرة ! حقا اننى اشعر بالنقص من ناحيتها لانها مجتهدة وطموحة وتذاكر باجتهاد ولساعات طويلة انها لا تفكر فى شىء سوى تحقيق طموحاتها العلمية فقط ! ولكننى لااستطيع ان اكون مثلها لاننى لا احب ان ارهق نفسى انا اريد ان اتزوج فقط ! وهذا هو ما يجعلنى اشعر بالنقص من ناحيتها لاننى اعلم جيدا انها تنظر لى نظرة متدنية وتحتقرنى فى نفسها لانها تميل الى المجتهدين المُحبين للعلم والدراسة ولذلك اتمنى ان اتزوج قبلها واتمنى ايضا الا تلتحق بالجامعة حتى لاتُصبح افضل مَنى انا لا اريد ان يكون هناك شخص يحصُل على شىء وهذا الشىء يجعله اعلى منى مكانة وخاصة "صوفيا" ان أبى دائما يعايرنى بها لاننا فى نفس العمر ونفس المرحلة التعليمية فهى طوال عمرها متفوقة ومجتهدة اما انا لا احب المدرسة ولا احب الإجتهاد انا لا اريد ان أُغير من نفسى وليس لدى اى إستعداد لان أُغير شىء لكنى اتمنى من كل قلبى وبكل

كيانى ان لا تُحقق صوفيا اى شىء حتى لا اشعر بالنقص من ناحيتها وتشعر هى بالتفوق !

رغم ان " صوفيا " ابنة عمى وليست شقيقتى ولكنى اغار منها اكثر من شقيقاتى ربما لان أبى دائما يمدح صفاتها ويتمنى لها المستقبل الباهر ويؤنبنى لاننى لست مجتهدة مثلها ..

ان " صوفيا " منذ ان جئنا الى الدنيا ونحن معا فى نفس المنزل ولكن بعد وفاة والدها ووالدتها واخواتها الثلاث معا فى حادثة سير مفاجئة وأبى قرر وصمم ان تترك الشقة الخاص بهم فى الطابق الثالث وتهبط الى طابقنا وتعيش معنا فى شقتنا فأصبحت امام عينى ليل نهار واصبحت ارى إحساسى بالنقص ناحيتها امام عينى ليل نهار مُتجسدا فيها ومتحركا امامى اننى لا اطيق ان اراها متفوقه واخشى ان ياتى اليوم الذى اراها فيه تَدرُس فى الجامعة مثلما كانت تتمنى طوال عمرها ولكن ان شاء الله لن تصل الى شىء ولن تُحقق شىء ولكن ما يُقلقنى اكثر ان تتزوج قبل ان اتزوج انا , رغم اننى جميلة ومُلفتة وليس بى اى عيب ! الا اننى اشعر ان الرجال ينجذبون لها اكثر لا اعرف لماذا ؟!

نهضت من مكانها واتجهت ناحية السور لتُلقى نظرة اخيرة على نافذة غرفة نوم العروسين "شريف ومها " ولكن هذه المرة وجدت ان الغرفة مظلمة فقالت فى نفسها .. يبدو ان كل شىء انتهى والان هم نائمين ولكن يا ترى شريف يضمها فى حضنه ام هى بعيدة عنه ؟؟

وتركت العنان لخيالها لتتمكن من تخيل صورتهما وهما معا على السرير .....

استقظت " صوفيا " من نومها على صوت أذان الفجر الذى كان يشبه فى قوته وعذوبته صوت النداء فلقد شعرت ان الأذان وكأنه يناديها لتُستيقظ وتترك سريرها وتنهض لتُصلى وتبدأ رحلة جهادها اليومية مع دروسها فلقد اقترب الإمتحان النهائى وتتمنى بكل كيانها ان يُكلل مجهودها بالنجاح والتفوق ...

فتحت صوفيا عيونها وكأنها تحاول التركيز لتتاكد ان ما تسمعه هو فعلا صوت اذان الفجر فنهضت من على السرير ووضعت قدميها على الارض وحينما جاءت عينيها على سرير مفيدة فارغا وهى ليست نائمه عليه فانتابتها الدهشة وقالت فى نفسها .. اين ذهبت ؟ انها لا تستيقظ مبكرا ابدا , ربما تكون فى الحمام وستعود ثانيا ؟ فان هذه الغرفة مُخصصة لصوفيا ومفيدة فقط لانهم فى نفس المرحلة , الا انا احيانا مفيدة تنام فى غرفة اخرى لانها لا تطيق التواجد الدائم مع صوفيا فى نفس الغرفة

اتجهت صوفيا الى الحمام من اجل الوضوء وقررت ان تُصلى فى غرفة الصالون لتختلى بنفسها لانها لا تحب الصلاة فى غرفة بها سرائر للنوم او يكون بها اى شخص اخر ...

انها تشعر ان الصلاة علاقة عاطفية روحانية جدا بين العبد وربه فهى لا تُصلى الفروض الخمس فقط انها تصلى كلما شعرت بالضيق , كلما شعرت انها فى حاجة

للتحدث مع احد تثق فيه , كلما ازدحمت بداخلها مشاعر سلبية وحزن وضيق من تصرفات تجرح إحساسها , قبل ان تبدا المذاكرة لتطلب من الله ان يكون معها , عندما تنتهى من المذاكرة لتشكر الله على انه جعلها تذاكر وتستوعب وتتغلب على الحزن الساكن قلبها , عندما تشعر بالضعف لتطلب من الله العون وان يمنحها القوة والصبر والثبات , انها تصلى دائما مع كل احساس يمر عليها حتى اذا مر عليها احساس عاطفى يجعلها تتمنى ان يكون لها قلب حنون يشعر بها وحضن واسع يضمها ويد حنونة تربت على كتفها ولانها تعرف ان الوقت غير مناسب اطلاقا للمشاعر العاطفيه تُصلى وتطلب من الله ان يمنحها القوة ويجعلها تُحافظ على إتزانها العاطفى ويجعل تركيزها فى المذاكره فقط وتطلب من الله وتلح عليه الا يترك الافكار المُتعلقة بالنواحى العاطفية تخطر لها على بال لانها تريد ان تُحقق ذاتها لا اى شىء اخر الان ...

انهت صوفيا صلاتها وظلت جالسة على الارض وتقول اية الكرسى همساً فهى اعتادت ان تقولها عقب كل صلاة وتُسبح وتقول اذكار الصباح ثم اخذت المصحف الموضوع بجارها على المنضدة وفتحته وقرأت سورة ياسين وجاءت عند الآية قبل الاخيرة وتوقفت عن القراءة من اجل الدعاء وقالت .. يارب وفقنا جميعا .. يارب ادخل الفرح على قلوبنا جميعا .. يارب كن معى ولا تتخلى عنى ابدا ارجوك وانهمرت الدموع من عينيها دموع حزن على اسرتها التى فقدتها وعلى الجفاف العاطفى الذى تحيا بين جدرانه وعلى الكُره والغل والحقد المُتجسد امامها فى صورة مفيدة فهى تعرف جيدا مشاعرها ناحيتها ولان صوفيا حساسه جدا كل هذا يؤلمها جدا جدا ...

اغلقت المُصحف ونهضت من على الارض وقالت لنفسها سوف اصعد الى السطح لاسقى الزرع واستمتع بنسيم الصباح الذى يُهدأ الأعصاب ويجعلنى مُقبله على المذاكرة ...

صعدت صوفيا الى السطح وفوجئت برؤية مفيدة واقفه عند السور فاندهشت بشدة واقتربت منها بخطواتها الهادئة الرقيقة وقالت بصوتها الرقيق الهادىء .. مفيدة .. مفيدة

اجفلت مفيدة واستدارت ونظرت لها بنظرة عينيها الحاقدة وقالت بغلظة .. صوفيا ! ماذا تريدى ؟

ولكنها بدى عليها التوتر ثم نظرت للسماء وقالت .. ما هذا لقد اشرقت الشمس ؟ انا لم اشعر بالوقت

فقالت لها صوفيا لماذا استيقظتى مبكرا اليوم ؟! من اجل المذاكرة ؟

فاشاحت مفيدة بوجهها عن صوفيا لانها لاتطيق ان تنظر فى عينيها واجابت بإقتضاب .. لا

وتركتها واتجهت ناحية باب السطح لتهبط الى الشقة ...

فهمهت صوفيا وقالت غريبة جدا انا كنت اظنها فى الحمام !!

ثم اخذت نفس عميق ورفعت رأسها للسماء وكأنها تريد ان تخرج المشاعر السلبية والحزن من داخلها من خلال الزفير وتُدخل الراحة النفسية والسكينة الى داخلها مع الشهيق ...

انها تعشق النظر الى السماء ودائما تقول .. ان النظر الى السماء يسمو بالروح .. فكلما شَعرت بالضيق نظرت الى السماء وبعد قليل اعود الى نفسى هادئة وتُخيم الراحة والسكينة علي كل كيانى ..

ثم اخذت تتجول على السطح وتسقى الزرع فهى تحب الزرع ويعتبر اللون الاخضر اللون المفضل لديها ..

وبعد قليل قالت لنفسها سوف اجلس قليلا استمتع بنسيم الصباح ثم اهبط الى اسفل لاتناول الفطور مع عمى سعيد لانه يحب ان نكون جميعا معه على الفطور وبعد ذلك سوف اصعد الى هنا مرة اخرى واحتسى الشاى وابدأ فى المذاكرة .. هنا افضل .. على الاقل اشعر انى وحدى بدلا من إحساسى اننى مع شخص يكرهنى ولا يتمنى لى اى خير .. مفيدة .. انا اعرف جيدا ما يكمُن بداخلها نحوى ولكن اتمنى من الله ان ينصرى عليها وان يعوضنى بمن يحتوينى ويعشقنى واعيش معه الى الابد ولكن ليس الان .. الان والاهم هو مُستقبلى وطموحاتى وبعد ذلك ياتى اى شىء اخر مهما كان مهم فمستقبلى هو الاهم ..

ثم توقفت عن الحديث وتنهدت بقوة وكأن صدرها به حريق مُشتعل من الحزن وقالت محدثه نفسها .. رحمة الله عليك يا أبى هذه هى كانت وجهة نظرك فى الحياة وكانت وصيتك لى دائما ان اؤمن مستقبلى بالعلم والعمل ..

سلاح الفتاة فى الحياة ليس الزوج والزواج ليس هو المستقبل , سلاح الفتاة هو الشهادة الجامعية وما اعلى منها ومستقبلها فى وظيفتها التى ستضمن لها دخل ثابت يحميها من تقلبات الزمن ومن مرارة الإحتياج الى الاخرين اما الزواج فهو سنه الحياة وهو استقرار ليس اكثر وحتى يكون استقرار فيجب ان يُبنى على اساس سليم حتى لا ينهار مع الزمن ... هكذا كان يقول

واحمرت عيناها من حرارة الحزن والألم وانهمرت الدموع من عينيها ولكن سرعان ما استعادت قوتها وكأنها لا تريد ان تستسلم للحزن والألم وقالت محدثه نفسها ...

نعم حرمنى القدر منك يا أبى ولكن عوضنى ايضا بان جعلك تركت لى الشخصية القوية والعقل الراجح والفلسفة الصحيحة التى استعين بها على صعوبات الحياة واعتمد عليها وانا فى طريقى اتجاه المستقبل

حقا انك نعم الأب رحلت وتركت لى ما اعتمد عليه ويُعيننى على الحياة وقسوتها ..

فلقد غذيت جسدى بالحكمة بدلا من ان تغذية بالطعام الذى يتحول الى دهون تُعيق حركتى وتُشوه جسدى وفلسفتى فى الحياة ايضا ..

وهكذا يجب ان يكون الأب الحكيم الحنون فمن يخشى على ابنائه من الزمن يعلمهم الحكمة بدلا من ان يحرص على ان يطعمهم طعام زايد عن إحتياجاتهم بحُجة انه حنون ويخشى على صحتهم فصحة العقل اهم من صحة الجسد .. و سلامة الجسد من سلامة العقل ..

ان صوفيا لم تكن متميزة فى شخصيتها وعقلها وفلسفتها فقط , لا بل كانت متميزة فى كل شىء فكانت ملامحها رقيقة , فمها صغير وشفتيها مرسومه بدقة ولونهما كالكريز , وبشرتها بيضاء نقية ناعمة , وخدودها حمراء مثل الورد , وعينيها عسليتين والحزن فى نظرة عنييها منحها عمق اكثر وجاذبية , وانفها مستقيم يوحى بالعظمة والكبرياء , وحاجبيها غليظين من المقدمة ورفيعين من النهاية , ملامح وجهها توحى بمزيج من الرقة مع الثقة بالنفسى مع العظمة والكبرياء وعزة النفس والقوة , شعرها ناعم جدا وطويل بدرجة مُلفتة فهو كستنائى لامع ويصل الى ركبتيها إن ملامحها المميزة وخاصة شعرها سبب ايضا من ضمن اسباب غيرة وحقد مفيدة عليها فمفيدة صاحبة ملامح يتجلى عليها السماجة والبلاهة والغباء ,

اما قوامها فهى ليست طويلة او قصيرة هى متوسطة الطول ملفوفة القوام ولقد اخذت من والدتها معظم صفاتها الشكلية وايضا النواحى الانسانية فصوفيا لا تحب ابدا ان تخدش مشاعر الاخرين وإحساسها بالاخرين قوى جدا ..

اما من والدها فلقد ورثت منه قوة الشخصية , الشفافية , بُعد النظر , حب العلم والثقافة والإطلاع والعلاقة القوية بين العبد وربه ..

صوفيا صاحبة شخصية لا تميل الى التقليد او التابعية فهى تُسجل كل مايدور حولها لتُفكر فيه جيدا وتدرسه بعناية ثم تستنتج ان كان صواب ام خطأ ولانها مؤمنه ان كل صواب يحتمل الخطأ وكل خطا يحتمل الصواب فهى تدرُس الشىء جيدا لترى ان كان صواب ام لا وان كان صواب ماهوالجانب الخطأ الذى يوجد فى هذا الصواب وان كان خطأ ماهو الجانب الصواب الذى يوجد فى هذا الخطأ وبالتالى تضع يدها على الحقيقة .. انها باحثة عن الحقيقة ولا تذعن للمألوف ..

لذلك قررت ان لا تُقلد او تتلون بلون من حولها قررت ان تكون هى وليس اى شخص اخر قررت ان تعيش بعقلها الذى تهتم بتنميتة وتطويرة وليس بعقل اى شخص اخر , فهى ترى انه ليس من المنطقى ابدا ان يلغى الانسان عقله ويعيش بعقل من حوله ..

صوفيا هادئة الطباع وتحب الرسم فهى ترسم لوحات لمناظر طبيعية فى وقت الفراغ

تحب الموسيقى وتعلمت العزف على البيانو والكمان

تحب الزرع وهى من حولت سطح منزلهم الى حديقة

تحب البحر .. فدائما تقول اننى اجلس عليه مُحملة بالهموم وياتى الموج ياخذ منى همومى ويرحل بها فاعود انا الى المنزل وقد تخلصت من همومى

تحب الشعر واكثر فرع من فروع اللغة العربية تحب مذاكرته هو .. النصوص

صوفيا ترى .. ان الهدف الاساسى من التعليم والدرسة هو المعرفة وليس الشهادة !

ان الشهادة شىء مهم جدا من اجل الوظيفة ولكن ليس من المنطقى ان نمُر على مراحل التعليم مرور الكرام ونحفظ الكتب من اجل كتابتها فى ورقة الإمتحان حتى نحصل على الشهادة فتكون مُحصلة سنوات طويلة من التعليم فى النهاية شهادة فقط .. ورقة ..!

صوفيا ترى ان التفوق الدراسى لا يُعتبر عبقرية انه شىء جيد ويعكس القدرات العقلية للفرد وحجم طموحاته العلمية وشىء مهم ولكن الأهم ان يكون له تأثير على العقل واسلوب التفكير , ولكن الغريب ان هناك الكثير من المتفوقين دراسياً والذين إلتحقوا بكليات القمة الا انهم فشلوا فى حياتهم الإجتماعية وفى نواحى اخرى غير الدراسة الأكاديمية فمثلا ابنة عمها الحاصلة على ليسانس اداب وشقيقتها الاصغر منها الطموحة التى حصلت على بكلريوس تجارة , جارتهم الصيدلنية , وقريبتهم التى تُدرس فى الجامعة وغيرهن ... تفوقن فى الدراسة الأكاديمية الا ان عقولهن واسلوب تفكيرهن هو نفس او لا يختلف كثيرا عن الفتيات والسيدات الغير مُتعلمات او اللاتى لم يحُصلن على مؤهلات عليا فى نفس المجتمع وخاصة فى الاذعان للتقاليد الغير منطقية وفى رغبتهن فى الزواج بهدف الزواج فى حد ذاته ,

حقا .... ان العبقرية هى قدرة الفرد على الخروج خارج الإطار الفكرى الصلب الذى نشأ فيه وتوارث افكاره وعاداته عبر الأجيال , هى القدرة على الإنتقال من العالم التقليدى الى العالم المثالى الصحيح وان لم يكن له وجود , هى انفتاح العقل على الصواب وليس المألوف .

****

على منضدة السفرة المستطيلة جلس " سعيد متولى " على رأس السفرة وبجواره زوجتة " فوزية " والتى وضعت امامها طبقها المفضل على الفطور وهو البطاطس المقلية بعد سلقها والمرشوش عليها قليل من الملح والكمون ومعها طبق جبن براميلى الذى تحبه كثيرا ومعه خُبز ابيض بالسمسم , وبجوار فوزية جلست ابنتها الكبيرة " نرمين " والتى تشبهه والدها سعيد فى ملامحه كثيرا فهى بشرتها خمرية وعينيها سوداء, نرمين حاصلة على ليسانس الاداب قسم المكتبات والمعلومات ولكنها كل علاقتها بهذا القسم انه فُرض عليها بسبب المجموع التى حصلت عليه فى الثانوية العامة والمكتبه بالنسبة لها مجرد مكان تعمل فيه موظفة فلقد تم تعينها فى احد المكتبات العامة ورغم ذلك لم تهتم ان تنتهز الفرصة وتقرأ كتاب واحد ! اما بالنسبة للمعلومات فهى مجرد اسم ايضا مرتبط بتخصصها لكنها على مستوى ثقافى يكاد يكون معدوم وعلاقاتها مع اشخاص من نفس فصيلتها

التى لا تحب الثقافة والإطلاع بل يميلون الى احاديث النساء المعتادة , نرمين تبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما !

ولذلك دائما هى وزميلاتها فى العمل حديثهم المعتاد هو الحديث عن العرسان والزواج وعن التى عُقد قرانها وعن التى تزوجت فلقد بلغوا سن الخامسة والعشرين !

نرمين تتناول الفطور مع زميلاتها فى العمل حتى يكون الطعام مع الاحاديث عن الزواج والرجال معا ولكن لان والدها يحب تواجدهم جميعا على الفطور معه فهى تجلس مُضطره ولكن ربما تاخذ شىء بسيط حتى لا يغضب والدها منها فعندما رفع عينيه من على طبق الفول بالزيت الحار والكمون وهو طبقه المُفضل على الفطور مع طبق من شرائح البطاطس المقلية وطبق من قطع الفلفل الأصفر والأحمر .. الذى امامه وجدها جالسه لا تأكل شىء فقال لها متهكما لماذا لا تأكلين شىء الفطور معنا يُغلق الشهية اما مع زميلاتك يكون جميل ؟!

فنظرت له بابتسامة مفتعلة وقالت بصوت خافت ... لا لا ابدا وأخذت برطمان العسل الابيض الموضوع امام مفيدة واخذت منه ملعقه ووضعتها فى الطبق الفارغ الذى امامها ثم مدت يدها نحو الخبز الابيض الطويل وقطعت منه جزء واخذت تاكل ولكن يبدو عليها انها تبتلع الطعام ببضىء ..

نظرت لها مفيدة وقالت .. اعيدى برطمان العسل النحل امامى كما اخذتيه

فنظر لها والدها بإشمئزاز وقال متهكما .. الى هذه الدرجة انتِ فتاة كسول ؟! الا تريدى فعل اى شىء فى حياتك ؟ حتى لو كان ان تمدى يدك لتاخذى برطمان العسل ؟!

فاشاحت بوجهها عنه حتى لا تنظر فى عينيه واخذت برطمان العسل الابيض وسكبته فى الطبق الفارغ واخذت برطمان السمن البلدى الموضوع على السفرة وسكبت السمن على العسل واخذت تقلبهم على بعضهم البعض لتأكله بالاضافة الى طبق مُربى جزر وطبق به حلاوة طحينية

فنظرت لها " منار " والتى كانت تجلس بجوار " نرمين " وهى خمرية البشرة وعينيها عسليتين وملامحها رقيقة , وقالت لمفيدة متهكمة .. عسل ابيض وسمن ؟! اذا نظرتى فى المرآة ستجدى ان الموقف صعب جدا وعليكِ ان تبتعدى عن السمن والعسل ليس فقط بل عن جميع انواع الطعام وضحكت ضحكة مكتومة احتراما لوالدها ... واطرقت عينيها على طبق الجبن الرومى الذى امامها على السفرة وهو طبقها المفضل على الفطور مع قراقيش بالملح والسمسم وطبق من مُرَبَى الفرولة ...

فنظر اليها والدها وقال .. معكِ حق يا منار ولكن ماذا نفعل مع فتاة مثل هذه ؟؟!!

فنظرت مفيدة الى منار بغل وقالت .. ارجو ان تصمتى نهائى انتِ يا .. ماذا تعتقدى ان تكونى ؟ انتِ دبلوم تجارة ؟ استهزئى بنفسك ان شئتى !

فنظر لها والدها بعد ان ترك الخبز الذى فى يده وقال بعصبية .. اذا كاانت هى إلتحقت بدبلوم التجارة لان مجموعها فى المرحلة الإعدادية لم يؤهلها للإلتحاق بالثانوية العامة مثلك فهى مجتهدة وبذلت قُصارى جهدها والله كلل مجهودها بالنجاح والتحقت بكلية التجارة والان هى فى البكلريوس ولم يتبق لها سوى الامتحان النهائى لتكون حاصلة على درجة بكلريوس التجارة , ان شئتى ان تسخرى .. فاسخرى من نفسك ايتها البلهاء الكسُول التى لا تفقه فى شىء سوى ملىء بطنها فقط !

شحب لون وجه مفيدة والحقد والغل تجسد فى عينيها وتركت الجميع ووجهت نظراتها الى صوفيا التى كانت جالسه بجوار منار فنرمين ومنار يحبون صوفيا جدا وهى تبادلهم الحب ايضا , وكانت تضع امامها طبق به بيضة مسلوقة وشريحة توست وبجواره كوب لبن صغير منزوع الدسم وبلا سكر فهى تحافظ على وزنها جدا وتحاول بقدر الامكان ان يكون طعامها صحى ومفيد ... وقالت لها متهكمة الا تريدى ان تقولى شىء انتِ ايضا ؟!

فنظرت لها صوفيا وهبطت بنطرة عيناها الى الطبق وكأنها لا تسمع شىء

فقال لها والدها وهو يشير بيده اليمنى الى صوفيا .. لا تشغلى بالك بصوفيا وابتعدى عنها ويالیتكِ تقلديها فى شىء انظرى الى الطبق الذى امامها ؟ انظرى الى جسدها ؟ فرغم انها متناسقة القوام ورشيقة الا انها تُحافظ على قوامها بكل الطرق رغم انها تُذاكر وتبذل مجهود فى المذاكرة اى تحتاج الى وجبات إضافية ولكنها لا تُفرط فى الطعام حتى لا تُفسد قوامها ...

فنظرت له زوجتة فوزية وغمغمت الكلام حتى تحُد من غباء مفيدة وقالت يا سعيد دعها تأكل وتسمن ربما ياتى لها عريس يكون يحب الجسم الممتلىء

فابتسمت مفيدة ابتسامة قوية بلهاء وقالت .. هذا هو الكلام المفيد .. العريس ..

فقال لها والدها بدهشة .. العريس !! الا تقولى المذاكرة , الالتحاق بالجامعة , اى شىء من هذا القبيل ؟! لم يتبق على امتحانكِ النهائى سوى شهر تقريبا وتقولين العريس ؟

فنظرت له مفيدة وقالت بقوة وإندفاع .. انا بصراحة اريد ان اتزوج لا احب التعليم والمذاكرة

تجسدت على وجه والدها سعيد الدهشة والنفور وقام وقف وترك الطعام بعدما القى بالخبز الذى فى يده على السفرة وبدون اى كلام اتجه ناحية باب الشقة وخرج وجذب الباب خلفه بكل قوته حتى كادت فوزية تعتقد ان الباب سيسقط من قوة يده ..

نظرت نرمين الى مفيدة وقالت .. زواج ؟ تريدى ان تتزوجى وشقيقاتك الاكبر منكِ لم يتزوجوا بعد ؟ ما هذه الوقاحة ؟ الزواج بالترتيب الكبيرة أولا ثم الأصغر منها اما

انتِ الافضل ان تُذاكرى اى شىء قبل الامتحان لانكِ اذا رسبتى والدك سوف يمنع الطعام عنكِ

فضحكوا جميعا بصوت مرتفع الا صوفيا لم تبتسم حتى لاتجرح مشاعر مفيدة !

ثم استطردت نرمين حديثها وقالت .. اااااه كم اتمنى ان ياتى لى عريس كى اتزوج مثل كل الفتيات لقد اتممت الخامسة والعشرين من عمرى وهذة مرحلة خطيرة جدا فالسنوات تجرى بكل قوتها وفجأة سوف اجد نفسى فى الثلاثين وعندها سوف أأخذ لقب .. عانز !

فنظرت لها والدتها فوزية وقالت والخوف يُخيم عليها وكأنها تخشى من شىء مُرعب او مصيبة سوف تقع فوقهم.. لالالا ان شاء الله سوف يبعث الله لكِ ابن الحلال عاجلا ولن تظلى بدون زواج حتى الثلاثين

فقالت نرمين وهى ترفع يدها الى السماء تدعو الله ... يارب .. يارب .. واهم شىء يكون رجل جميل .. فانا بصراحة اعشق الجمال واهم شىء عندى ان يكون زوجى رجل جميل مثل محمود عبد العزيز الممثل او نور الشريف ... حتى عندما نقضى معا .. شهر العسل .. يكون شهر العسل على حق ..!

فنظرت منار امامها فى نظرة حالمة وشردت بعيدا وقالت .. اما انا بطبيعتى الرومانسية اريد رجل يعشقنى وبكل قوته .. اهم شىء فى الزواج .. الحب .. الحب فقط .. ولا شىء سوى الحب ...حتى عندما نقضى معا .. شهر العسل .. يكون شهر العسل .. مع الحب .. جميل جداااا جداااا .. ثم انتابتها لحظة شبق وقالت .. متى اعيش فى شهر العسل متى ؟

فقالت مفيدة بكل شهوانيتها هى ايضا .. متى ؟؟؟ متى ؟؟؟ اريده وبسرعة يا ليته الان

اما نرمين فنظرت لهم وقالت .. انا اولا لاننى الكبيرة .. ولكن المهم ان يكون جميل !

صوفيا شعرت بالضيق من حديثهم المكشوف وحالة الشبق التى انتابتهم جميعا جعلتها تشعر بالإشمئزاز فتركت السفرة وقالت .. بعد اذنكم انا سوف اصعد الى السطح لاذاكر دروسى فى هدوء الصباح قبل الضوضاء التى سوف تملاء الشارع فيما بعد ..

واتجهت ناحية غرفتها لتأخذ كُتبها الدراسية واوراق المذاكرة وهى تهمهم قائله ..

ما هذه الاحاديث الغريبة والاراء العجيبة حقا انها السطحية متجسدة فيهم ..

ان الزواج فى حد ذاته ليس هدف نسعى خلفه والاهم من الزواج ان يكون من الانسان المناسب !!

مفيدة تنظر لها والشعور باللإمتعاض يُسيطر عليها والغل يُخيم على عينيها ولوت فمها ناحية اليسار واكملت طعامها .. العسل الممزوج بالسمن البلدى بالخبز الابيض بالسمسم !

-2-

ملامح خفية

اغسطس - 1999

انت تريد ان تسير عكس عاداتنا وتقاليدنا القروية ؟

انت تريد ان تترك فتيات القرية التى نعرفهن جيدا ونعرف اهلهن واصولهن واساس عائلتهن وتتزوج فتاة من مدينة لا نعرف عنها شىء ؟

انت تريد ان تترك الفتيات الصغيرات والتى اكبر واحدة فيهن لم تتجاوز السادسة عشر من عمرها وتتزوج فتاة تبلغ من العمر سبعة وعشرين عام ؟ كبيرة .. بائرة .. كبيرة عليك يا ولدى !

ألا يعجبك اختيارى لابنة جارنا الحلوة الصغيرة التى تبلغ من العمر ثلاثة عشر عام ؟ أنسيت ان هكذا جرت العادة هنا فى قريتنا ؟ ان ناخذ فتاة صغيرة نُربيها على ايدينا ؟

ما الذى يجبرك ان تترك الفتاة الصغيرة وتتزوج فتاة كبيرة .. عانس ؟ عمرها سبعة وعشرين عام !!!!

ما الذى يجبرك لتترك الفتاة القروية صاحبة الصحة الشديدة وتتزوج فتاة من المدينة ناعمة لا تقوى على نظام عيشتنا ؟

ما الذى يجبرك لتترك فتاة قروية مثلنا تجيد كل اعمال المنزل من الطبخ والغسل وعلف البهائم وتربية الطيور وعمل الخبز وتجيد الجلوس امام الفرن وكل ما اعتدنا عليه وتتزوج فتاة لاتعرف اى شىء من هذا ؟

انت تعرف جيدا اننى اريد ان ازوجك كى استريح انا من اعمال المنزل واترك كل مسؤلياتى المنزلية لزوجتك فهكذا جرت العادة فلقد ارهقتنى اعمال المنزل .. فهل فتاة المدينة ستستطيع ان تحل مكانى فى اعمال المنزل ؟ وتشارك فيه زوجات اشقائك ؟

هل تعرف هى ان هكذا ستكون الحياة بعد الزواج ؟ ام تعتقد انها ستأتى الى هنا لتعيش هانم ونحن خادمون لديها وتحت اقدامها ليل نهار ؟

هكذا قالت الحاجة " عزيزة " والدة " مصطفى " عندما صرح لها انه واثناء زيارته لجارته فى محل عملها والتى هى زميلة نرمين ابنة سعيد متولى وخلال الزيارة وقعت عينيه على نرمين وقرر ان يُفاتح والدته فى موضوع الزواج منها بعدما عرض الموضوع على نرمين من خلال زميلتها فى العمل والتى تربطه بها علاقة معرفة وجيرة فهى من نفس سكان القرية التى يعيش فيها ولم يقل لها انها كانت زيارة مفتعله بحجة ان يرى نرمين والتى حدثته عنها جارته وزميلة نرمين فى العمل ومن كثرة حديثها عنها وعن رقتها قرر ان يفتعل هذه الزيارة بالإتفاق مع جارته وزميلتها فى العمل ليتعارف عليها وبالفعل تعارف على نرمين وأُعجب بها كثيرا وهى بادلته الإعجاب وعندما ارسل لها رغبته فى التقدم لخُطبتها من خلال جارته وزميلتها لم تمانع بل بدا عليها القبول المبدئى كما ابلغته جارته وزميلتها فى العمل ...

جلس مصطفى طويل القامة , ممشوق القوام , وسيم الملامح , ناعم الشعر , ونظر الى والدته بعينيه الخضراء اللامعه الجذابة وربت على يدها اليسرى وقال ..

يا حاجة انا اعرف جيدا تقاليدنا القروية ولكننى اريد ان اتزوج فتاة من مدينة حتى اتباهى بها امام اهلى وجيرانى واصدقائى حتى لو كانت كبيرة فانا اكبر منها بخمس سنوات وهذا يعنى انها اصغر منى سناً ..

وبالنسبة للجمال فهى جميلة وجسمها سوف يُعجبك جدا يا حاجة فهى ممتلئة وصدرها كبير ولديها ارداف بارزة ولكن بشكل متناسق جميل ..

وتحولت نظرة عيناه الى نظرة شهوانية ثم استطرد حديثه قائلا .. ان جسدها جميل جميل يا حاجة وسوف يُمتعنى فلا تقلقى من ناحية الجمال ..

اما بالنسبة لاعمال منزلنا وجميع الاعمال التى تجيدها الفتاة القروية ولا تعرف عنها شىء فتاة المدينه فهذا الامر سوف اتركه لكِ انت تعلميها كل شىء ...

فامسكت ذقنها بطرف يدها اليمنى ونظرت له نظرة خبيثة يغلب عليها الغباء وقالت .. وهل البرنسيسة فتاة المدينة تعرف انها ستكون مُجبره على تلك الاعمال ؟ وهل وافقت على هذا ؟

فاقترب منها وبصوت خافت ونظرة عينيه الخبيثة التى تجلى فيها الخبث وغطى على سحرها وقال .. لم اقول لها اى شىء عن نظام حياتنا واعمالنا بل سوف اتركها تقف امام الامر الواقع بعد إتمام الزواج فبعدما تُصبح هنا فى دارنا وفى

عصمتى نستطيع ان نفرض عليها اى شىء نُريده فماذا تستطيع ان تفعل بعد .. الدُخلة ؟؟ هل تطلب الطلاق ؟؟ بالطبع لا, لانها ستكون تورطت فى الواقع وانتهى الامر ..

فنظرت له وقالت متهكمة .. وان تمردت وعصيتك ولم تستسلم للامر الواقع كما تقول وغلبتك بالدلع وافعال النساء , فماذا انت بفاعل ؟

فتحولت ملامحه الرقيقة الى ملامح همجية يُسيطر عليها غباء وحقد وقال بصوت غليظ .. سوف اضربها بالحزاء فوق رأسها حتى تلين ولا تُفكر ان تُعصى لنا امر مرة ثانية .. فانا لست ضعيف حتى لا استطيع ان اسيطر وافرض سيطرتى على زوجتى .. انا رجل .. انا رجل يا حاجة اطمئنى ..

ولكى تطمئنى اكثر لقد اتفقت مع زميلتها والتى هى جارتنا ان تطمئنها واذا سألتها عن نظام الحياة هنا فى قريتنا تحاول ان توحى لها ان الحياة هنا جميلة ورومانسية جداا والناس طيبين جداا والحياة فى بيت العائلة مريحة وجميلة وان الزوجة القروية تتعامل بطريقة والزوجة التى جاءت من المدينة تتعامل بطريقة افضل بكثير وإن أم الزوج تكون أم للجميع وان شقيقة الزوج تكون شقيقة وصديقة لزوجة الاخ وزوجات اشقاء الزوج يكونوا علاقتهن معا لطيفة جداا .. وقلت لها ايضا قولى لها على لسانى ان كل طلباتها هى واسرتها سوف انفذها بدون تردد مهما كانت ..

فانزعجت والدته واقتربت منه وقد تحولت ملامحها الى ملامح عابثة وقالت .. سوف تُنفذ كل طلباتهم ؟

حتى اذا طلبوا ذهب بمبلغ كبير سوف تشترى لهم ؟؟؟

فابتسم ابتسامة سخيفة وقال .. يا حاجة حتى لو والدها طلب ذهب للشبكة بمبلغ كبير سوف اشتريه وبعد الزواج استرده منها مرة اخرى بحجة اننى فى اشد الإحتياج الى سيولة مادية او لأننى مديون بمبلغ كبير .. لاتقلقى بشأن الذهب الذى سوف نشتريه للعروسة سوف يعود إلينا مرة اخرى .. فالذهب وصاحبة الذهب سيكونون هنا فى قبضة ايدينا ..

اخذت والدته عزيزة نفس عميق وكأنها استراحت من تعب لفترة طويلة بعدما طمئن قلبها على الذهب الذى سوف يعود مرة اخرى ...!!

بعدما انهى مصطفى حواره مع والدته عزيزة تركها وخرج الى باب البيت وجلس على الارض فى المساحة الواسعة التى هى امام البيت فوق حصيرة وأخذ يستنشق الهواء فلقد ارهقه حواره مع والدته ولكن كان الوقت حوالى الساعة العاشرة مساءً ...

فكان الظلام يُخيم على القرية واصوات الضفاضع تعلو على اصوات البشر التى كادت تكون معدومة لان كل السكان كلا منهم فى بيته فى هذا الوقت , فلقد اعتاد على الجلوس مع أخوته الخمس امام المنزل , اما زوجات أخوته الخمس فكلا

منهن فى شقتها مع اولادها فطوال اليوم يعملن فى المنزل كالخادمات بلا راحة او شفقة من الحاجة عزيزة غليظة الطباع قاسية القلب متحجرة الإحساس سليطة اللسان همجية الطباع , اما فى ذالك اليوم كان أخوته الخمس متواجدين فى الارض الزراعية التى يتملكونها فلقد قرروا ان يحرصوها فى تلك الليلة , وبالطبع هو ايضا يكون معهم يده بيدهم فى كل الاعمال الُمتعلقة بالارض الزراعية ولكن فى هذا اليوم عاد من المدينة فى وقت مُتأخر بعد قضاء بعض الطلبات والمصالح ولم يتمكن من الالحاق بهم والذهاب معهم ولكن نظامه اليومى المُعتاد هو ان يستيقظ فى الصباح الباكر حوالى السادسة صباحا يتناول وجبة الفطور مع والدته و أخوته الخمس الرجال وبعد ذلك ينطلق كل منهم حيث العمل المسؤل عنه فمنهم من يأخذ البهائم ليسير بها الى الارض الزراعية , ومنهم من يأخذ اللبن المحلوب من البهائم لبيعه , ومنهم من يذهب الى الارض الزراعية ليُباشر الاعمال فيها ...

اما بالنسبة لنساء البيت فعليهن الإستيقاظ عند الفجر لملىء المياة من الحنفية العمومية لان البيت ليس به مياه, و لتنظيف البيت وإطعام الطيور وتنظيف العشش الخاصة بهم وتجهيز الفطور قبل ان يستيقظ الرجال من النوم وعند الفطور يجلس الرجال على طبلية خاصة بهم وعلى الطبلية توضع صنية من الالمونيوم عليها الخبز الاسود الجاف والأرز الابيض المضاف اليه اللبن الحليب وبعدما ياكل الرجال تنتقل الصنية بما تبقى عليها من مأكولات الى المكان المخصص للنساء واطفالهن ليأكلن ما تبقى من الرجال ... !!

وبعد الفطور ينطلق الرجال الى اعمالهم والنساء الى باقى اعمال المنزل والتى تحددها لهن سيدة البيت الكبيرة الحاجة عزيزة , اما هى فتقوم ببعض الاعمال البسيطة جداا بالاضافة الى الإشراف عليهن وتوبيخهن اذا فعلن شىء لا ترضى عنه او تراه غير مطابق لاوامرها ...!!

الحاجة عزيزة غليظة الطباع وتغار بشدة من نساء ابنائها الرجال وخاصة بعد وفاة زوجها ووالد ابنائها , ان الحاجة عزيزة كل ما تفعله من تصرفات مهينة لنساء ابنائها وقسوتها معهم وافعالها المجردة من الإحساس هى مجرد ما فعتله معها أم زوجها عندما كانت صغيرة وفى بداية زواجها انها تعيش فقط لتفعل فى نساء ابنائها ما فعلته فيها أم زوجها فى الماضى رحمة الله عليهم جميعا .

-3-

عيون لا ترى

هل تريدى ان تتزوجى رجل قروى ؟؟ !!

هكذا بدأ حديثه سعيد متولى والد نرمين ولكن بعصبية ودهشة غلبت على عصبيته ثم استطرد حديثه قائلا

لماذا تتزوجى رجل قروى ؟

اتعرفين شىء عن حياة القروين ؟

ما الذى يجبرك ان تتنازلى وتتركى المدينة وتعيشى فى قرية ؟؟

ما الذى يجبرك ان تتركى حياتك المُرفه الناعمة وتعيشى حياة القروين الصعبة القاسية ؟؟

وهل تعرفى شىء عن حياة القروين ؟؟

لن اقول لكِ هل ستتاقلمين ام لا ؟

ولكن سأقول .. لماذا تتنازلين من الاساس وتقبلين بهذا الوضع ؟؟

نظرت فوزية زوجة سعيد ووالدة نرمين الى نرمين وكأنها فى إنتظار جوابها ليس هى فقط بل ايضا منار شقيقتها فى انتظار الجواب وصوفيا جالسه يبدو عليها الضيق وكأنها تريد ان تقول شىء ولكنها مترددة

اما مفيدة فهى جالسه ايضا وفى يدها طبق به عسل اسود ومغطى بطبقة من السمن البلدى وتلعقه باطراف اصابعها ونظرة عينيها البلهاء لم تتأثر بالموقف الحالى ..

فجميعهم مجتمعين فى غرفة الصالون وكل منهن جالسه على مقعد وسعيد والدهم يجلس على مقعد فى اول الغرفة بيحث يكون امام اعين الجميع ويكون الجميع امام عينيه ...

نظر سعيد الى نرمين نظرة غلب عليها الغضب والدهشة وكرر قوله مرة اخرى ولكن بإصرار اكثر ... قولى لماذا تتنازلين وتقبلين هذا الوضع ؟؟

فرفعت نرمين عينيها وقالت بصوت خافت يغلب عليه الخجل .. يا ابى انه به كل الصفات الى اتمناها

فقال لها متهكما .. وماهى تلك الصفات يا ترى ؟؟

فبدا عليها التوتر وقالت .. انه شاب جميل جداا وانا امنية حياتى ان اتزوج من شاب جميل مثل نجوم السينما وباللاضافة الى ذلك فلقد اصبحت فى السابعة والعشرين من عمرى وكلها ثلاث سنوات وسوف اتم الثلاثين وعندها ساكون عانس

فقال لها متهكما ولكن يغلب عليه الحزن هذه المرة والهدوء والتعاطف ..

عانس ؟؟ انها علاقة العمر كله يا ابنتى ان الزواج ليس علاقة مؤقتة انها علاقة دائمة واذا رزقكِ الله بطفل واحد سيجعلكِ تتحملين قسوة الحياة من اجله فاذا اصابكِ الندم يا ابنتى لن تسمحى لنفسك ان تُحررى روحك وسترضين بالعذاب الى الابد من اجل هذا الطفل ..

يا ابنتى فكرى جيدا ارجوكِ .. استخيرى الله .. لا تتعجلى ..

ولكن لماذا تشعرين بالرضا عن هذا الرجل هل تعرفين عنه شىء ؟ هل بينكِ وبينه اى علاقة ؟

فانتابها القلق وقالت بسرعة وغلب عليها بتوتر ..

لالالا لا والله العظيم فقط رايته اكثر من مرة عندما جاء الى جارته زميلتى فى العمل وهى قالت لى انه موافق على كل شىء مقابل المُوافقة على الزواج وانه مستعد لفعل اى شىء فشعرت بالإطمئنان والراحة بالاضافة الى اننى مُعجبة بجمال ملامحه كما قلت لك ..

فنظر سعيد والدها الى زوجته فوزية وقال .. وماذا عن رأيك يا فوزية ؟

فقالت له بهدوء وطيبة فهى شخصية مغلوبة على امرها ..

طالما انها مُوافقه ومُعجبة به خلاص ! .. نصيب الله سوف يغلب على كل شىء !

نظر الى منار وطلب رأيها ايضا .. فقالت له ..

والله يا ابى انا رومانسية ومع الحب والإعجاب فطالما انها مُعجبة به وهو ايضا فالحياة ستكون جميلة ان شاء الله .. ثم اخفضت صوتها وقالت .. وسيكون شهر العسل جميل ان شاء الله ...

فرمقها والدها بنظرة جانبية اعادتها الى صمتها وهى تشعر بالخجل ..

ثم نظر سعيد الى صوفيا وقال لها بإحترام وتقدير ...

وانتِ يا صوفيا يا حبيبتى ماذا عن رأيك فى هذا الموضوع ؟؟

فقاطعته مفيدة متهكمة وقالت ..

وانا لماذا لم تأخذ رأيى اليس رأيى مهم ؟؟

فجاوبها متهكما ويغلب على اسلوبه السُخرية والإشمئزاز منها وقال ..

ركزى فى طبق العسل بالسمن الذى فى بيدك هذا اهم من اى شىء اخر !

اطرقت صوفيا رأسها فى الارض خجلا من إستهزاء عمها سعيد بابنته مفيدة ..

فاعاد سعيد الطلب مرة اخرى من صوفيا ..

صوفيا ما اذا عن رأيك يا حبيبتى ؟ فلقد مضى عليكى عامين فى كلية الأداب قسم علم الإجتماع وستنتقلين الى السنة الثالثة باذن الله افيدينا برأيك يا صغيرة السن وكبيرة العقل ..

نظرت له صوفيا وعلى وجهها إبتسامة رقيقة ودست خصلة شعرها الناعمة خلف اذنها وقالت وهى تنظر الى نرمين ..

يا نرمين انتِ لستى ابنة عمى فقط انتِ شقيقتى وتعلمين قدر حبى وخوفى عليكِ ..

ولذلك ساقول لكِ كل ما اعرفه ..

اننى بجوار دراستى لعلم الإجتماع اقرأ فى علم النفس والفلسفة والمنطق ولدى علاقات واسعة جدا فى الجامعة وكثير من الفتيات اللاتى اعرفهن قرويات ومتزوجات..

والله والله يا نرمين كل يوم تاتى كل واحدة منهن ودموعها على خدها وتشكى من مرارة الحياة فى بيت العائلة وسيطرة أم الزوج وغباء شقيقة الزوج وسخافة زوجات اشقاء الزوج , وخفة عقول النساء وغيرتهن

ان الحياة فى بيت العائلة فى القرى ليس فيها شىء اسمه خصوصية فاى شقة لها مفتاح يكون مع أم الزوج ..

اى شخص من البيت يمكنه ان يدخل الشقة الخاصة بالأخر ويفعل بها ما يشاء ..

قالت لى احدى الزميلات وهى تشكى من اسرة زوجها لقد اغلقت شقتى وذهبت الى زيارة والدتى والتى هى فى البيت المجاور لبيت زوجى والتى لا تسمح لى حماتى بزيارتها الا مرة كل اسبوعين فقط وعندما عودت وصعدت الى سقتى وفتحت باب الشقة واتجهت الى غرفة نومى لأُبدل ملابس فوجئت بشقيق زوجى والذى هو شاب فى الثامنة عشر نائم على سريرى ويشاهد التليفزيون وعندما غضبت ووبخته على فعتله بكى وصرخ فى وجهى ونزل الى أمة والتى هى حماتى وصعدت الى الشقة واهانتنى بالفاظ لا استطيع ان اذكرها وقالت لى انه بيتنا وشقتنا وانتِ هنا ليس لكِ شىء فكل شىء هنا ملك لنا نحن وابنى يدخل الشقة التى تعجبه ويفعل ما يحلو له وانتِ اذا كان هذا لا يُعجبك فلتذهبى الى دار ابوكِ واجلسى بجوار أمكِ ,

ثم استطردت صوفيا حديثها وقالت .. حتى الطعام لا يمكنهم او بمعنى اصح غير مسموح لهم طبخ الطعام الذى يحبونه ان كل شىء يسير فى بيت العائله على حسب رغبة أم الزوج ووالده فقط ..

لكن نساء البيت ما هم إلا خادمات تحت سيطرة أم الزوج والسيدة الكبيرة والحاكمة للبيت ..

اعرف فتيات معى فى الجامعة من هنا من المدينة وتزوجن فى قرى ورغم ذلك لم تُراعى أم الزوج انها جاءت من مجتمع مُختلف بالعكس قاموا بتعليمهن كل اعمال القروين رغما عن ارادتهن ..

وللعلم يا نرمين ان الكلمة العليا فى بيت العائلة لأم الزوج , اى لا شىء عندهم يسمى خصوصية , لا شىء يسمى انسانة مختلفة يجب ان لا نُحملها فوق طاقتها , كل همسة وكل حركة تحت عين أم الزوج وبموافقتها ..

وللعلم ايضا ان الإقامة فى بيت العائلة إجبارية عليكِ فلن يسمحوا له ان يخرج من بيت العائلة ويستقل بحياته فمن اعتقادتهم ان الابن الذى يترك بيت ابيه ويستقل بحياته يكون فعل شىء يجعل والده يغضب عليه غضب شديد ...

وايضا تظل جميع النساء منذ الصباح حتى بعد المغرب فى الطابق الاسفل حيث يتجمع كل اعضاء العائلة وغير مسموح لاى زوجة من زوجات الابناء ان تصعد الى شقتها قبل ذلك..

او ان تضع فى ثلاجتها اى شىء فالطعام فى المطبخ الرئيسى فقط والذى تملكه ام الزوج , تخيلى انكِ ستكونى لا تستطيعى الإنفراد بنفسكِ فى شقتكِ , تخيلى ان تكونى جالسه وفجأة باب الشقة يُفتح عليكِ من قبل اى شخص معه المفتاح فلا يحق لكِ ان تمنعى احد من افراد العائلة ان يحتفظ بمفتاح شقتك , تخيلى ان تشتاقى لطعام معين وغير مسموح لكِ بطبخه لان أم زوجك لا توافق عليه اولا تحبه ..

ان الحياة فى بيت العائلة القروية صعب جدا لدرجة ان الفتيات القرويات لايستطيعن تحمل قسوته وجبروت أم الزوج فما بالك بكِ انتِ يا فتاة المدينة يا رقيقة وناعمة ويا من تربيتى على الرفاهية والدلع ...!!

نرمين انا اتمنى لكِ السعادة والفرح ولكن ما بُنى على باطل فهو باطل كما يقولون فى الامثال والحكم ..

ان الشكل الجميل والمظهر ليس اساس قوى لتبنى عليه حياتكِ الى اخر العمر المهم ان يكون بينكم توافق وخاصة فى البيئة والتربية والتنشئة الإجتماعية لان البيئة هى التى تُشكل شخصية وعقلية وفلسفة الفرد فى الحياة وطالما ان بينكم إختلاف فى البيئة هذا بدوره يُعنى ان بينكم عدم توافق فى الجوهر ..

فمثلا انتِ تعودتى على الرفاهية المادية واهم شىء تكونى سعيدة حتى لو انفقتى الكثير من المال , لانكِ هكذا تربيتى ونشئتى , اما القروين يعيشون حياة قاسية

صعبة ولذلك فان فلسفتهم مادية بحته اى لو وضع الرجل نفسه فى وضع اختيار ما بين ان ينفق الكثير من المال و ان يسعد زوجته فسيختار ان يوفر ويدخر المال حتى لو كان على حساب سعادة زوجته ورضاها !!

وليس فقط فى النواحى المادية مع مرور الوقت ومع الإحتكاك اليومى ستجدى ان بينكم اختلافات كبيرة جداا وغير مقبولة .. !! ربما تكون السبب وراء تحول الحب الى كُره , والإعجاب الى إشمئزاز , والرغبة الى نفور.. !

وارجوكِ ضعى فى الإعتبار شىء مهم جدا ان القروين يميلون الى فتيات المدن فقط ..

من اجل التباهى والرفع من قيمة الذات وإرضاء الغرور امام الأهل والأقارب .. !!

نرمين .. استخيرى الله يا حبيبتى قبل ان تتورطى هل تعرفى لماذا ؟؟

فأومأت لها نرمين بوجهها بمعنى لماذا ؟ ..

فقالت لها صوفيا ..

لان الحقيقة لا يعلمها الا الله , وان الشخصية التى تعرفتى عليها من الارجح ان تكون غير حقيقية فالحقيقة لن تظهر الا مع المواقف والإحتكاك عن قُرب وضعى فى الإعتبار انه رَسَم لكِ صورة عنه ولكن .. على الماء ..

اما صورته الحقيقية فهى محفورة .. على الحجر ..

اى اقصد ان الشخصية التى أُعجبتى بها هى صورة زائلة اما الحقيقة فهى ثابته وراسخة ولن تتغير ابداا

وضعى فى الإعتبار انه حتى لو قرر ان يغير نفسه من اجلك ..

فمن حوله لن يسمحوا له وسيعطوا له إيحاء انه تغير من اجلك لانه ضعيف وليس رجل قوى ولُعبة فى يدك ورهن إشارتك , وهذا سيُثير غضبه ويخدش رجولته , وبالتالى لكى يحافظ على رجولته وقوته امام عائلته سوف يظل كما هو او سيقسوا عليكِ حتى يريهم كم هو .. رجل !!!

انهت صوفيا حديثها وشرحها المُستفيض من خلال قراءتها وثقافتها وخبرتها فى الحياة التى اكتسبتها من خلال التجارب السيئة للمحيطين لها فى الجامعة ...

ظل سعيد صامت والإعجاب والإنبهار بصوفيا وعقلها يُخيم عليه ثم قال ..

ما شاء الله عليكى يا صوفيا حفظكِ الله وحماكِ ثم ادار وجهه ونظر الى نرمين وقال ...

يا ابنتى نحن قلنا لكِ ما نراه والقرار النهائى لكِ فهذه حياتكِ ومستقبلكِ وانتِ لكِ مُطلق الحرية ولكن لاتتعجلى ارجوكِ ..

رفعت مفيدة عينيها من على طبق العسل بالسمن بعدما التهمته بنهم شديد وقالت لوالدها ..

وانا لن تأخذ رأيى ؟؟

فنظر لها بإحتقار وقال متهكما ..

انتِ فاشلة لا تجيدى شىء فى حياتكِ سوى الطعام والتفكير فى الزواج فلقد اجتزتى الثانوية العامة بخمسين فى المئة ولم نجد لكِ سوى معهد متوسط اتممتى دراستك فيه بستر الله فقط ..

كنتِ تسخرين من منار لانها فى الأساس قبل الجامعة كانت فى دبلوم تجارة والان انتِ بعدما التحقتى بالثانوية العامة اصبحت نهايتكِ دبلوم تجارة ايضا ولكن يقال عنه .. معهد ..

فقاطعته قائله .. لا ليس دبلوم انه معهد

فرد عليها بإشمئزاز .. وما الفرق بين الدبلوم والمعهد ؟؟؟ انهم شىء واحد !! مؤهل متوسط

ثم اشار الى طبق العسل وقال متهكما وبقرف شديد ..

اكملى لعق الطبق .. اكملى !

وكانت الحَسَرة تُخيم على ملامح وجهه وخيبة الامل فى بناته ... !

وقام وقف ببضىء شديد جدا وكأن قدميه لم تعد قادرة على تَحَمُله ونظر نظرة بائسة الى ابنته نرمين واستدار واتجه ناحية الباب وخرج منه الى باب الشقة وكأن ثقل جسده على قدميه جعل المسافة بين باب غرفة الصالون و باب الشقة كأنها مسافة طويلة جداااا جداااااا ...

وخرج وهو يهمهم قائلا ...

افضل شىء ان اذهب الى قهوة فريدة اجلس معها واشرب قهوتى ...

الله يصبرنى على ما ابتلانى به ...

البنت تريد ان تتزوج رجل قروى وتتحول الى خادمة فى بيت العائلة فقط لانه ... ملامحه جميلة !!

والثانية تقول ... شهر العسل سوف يكون جميل ..!! ألا تستحى ؟

والثالثة .. الزواج هو الشغل الشاغل لها منذ سنوات مما جعلها لا تُفكر ولا تُعطى اى اهمية للدراسة والتعليم شىء عجيب حقا !!

اما صوفيا ... يا ليتها كانت ابنتى انا ...

-4-

قهوة فريدة

فريدة سيدة تبلغ من العمر خمسون عاماً , خمرية البشرة , صاحبة عينان واسعتان عسليتان وتغلف نظرتهما القوة والتحدى , انفها مستقيم طويل يوحى بالعظمة والثقة بالنفس , شفتاها رفيعه جذابة وردية اللون , طويلة القامة وممشوقة القوام ..

فريدة توفى والدها صاحب القهوة وكانت تبلغ من العمر عشرة اعوام وتركها هى ووالدتها وشقيقها "صبرى" والذى كان يبلغ من العمر وقتها خمس سنوات وشقيقتها "زينب " والتى كانت حينما توفى والدهم تبلغ من العمر ثلاث سنوات ..

قررت والدة فريدة ان تترك المنزل وتحل محل زوجها المتوفى فى القهوة وبالتالى ستضطرها الظروف الى التواجد فى القهوة طوال اليوم من بداية النهار حتى المساء ..

فقررت فريدة ان تتحمل جزء من اعباء المسؤلية التى هبطت فجأة فوق اعناق والدتها الارملة الشابة الحسناء التى كانت تعيش حياة كريمة فى بيت زوجها منذ ان تزوجها حتى يوم وفاته ...

تركت فريدة المدرسة وقررت ان تتبنى مسؤلية رعاية "صبرى وزينب " ...

مرت السنوات ووالدة فريدة مسؤلة عن القهوة واعبائها ...

وفريدة مسؤلة عن رعاية "صبرى وزينب " ...

ولكن جاء اليوم الذى قرر فيه القدر ان يأخذ الأم لتلتقى بالأب ويكونوا معا فى العالم الاخر وتصبح فريدة هى الأم والأب لصبرى وزينب ...

قررت فريدة ان لا تتخلى ابدا عن "صبرى وزينب " من اجل حياتها الشخصية فدفنت رغباتها وشهواتها فى مقبرة وداست عليها باقدامها وقالت لنفسها ولمن تمنوا الزواج منها وللدنيا بأثرها ...

انا لن اتخلى عن مسؤليتى فلقد اصبح اخوتى هم ابنائى وهم عندى فى المقام الاول وعندما تتم مهمتى وأصل بهم الى بر الامان سوف افكر فى نفسى ..

مرت السنوات ...

وصار الطفل صبرى رجل والطفلة زينب فتاة حسناء يسعى خلفها الرجال بهدف الزواج ...

ولكن فريدة قررت ألا تزوج زينب إلا من رجل مناسب ويكون رجل بمعنى الكلمة فلن تسمح لها ان تتزوج لمجرد الزواج ..

فالزواج فى حد ذاته ليس هدف , ولكن الهدف الاساسى ان يكون الزوج وشريك الحياة رجل بمعنى الكلمة ويستحق الفتاة التى قررت ان تضع حياتها ومستقبلها بين يديه اى يكون رجل يحفظ الامانة ولا يخونها ابدا

اما عن صبرى بعد ان حصل على الدبلوم إلتحق بالعمل فى احد المصانع وبعدما اصبح رجل صاحب دخل شهرى ولديه امكانية لفتح بيت ولذلك قررت فريدة ان تزوجة وبالفعل اختارت له فتاة من اصل طيب وانسانة محترمه ومُناسبة جدا لشقيقها صبرى ولظروفه ..

لم يهدأ لفريدة بال حتى بعث القدر عريس مناسب لشقيقتها زينب والتى رفضت فريدة ان تزوجها او تسمح لاى عريس ان يدخل بيتهم الا بعدما اكملت دراستها وحصلت على البكلريوس وليس فقط فلقد صممت فريدة ان تبحث لها عن وظيفة قبل ان توافق على اى عريس حتى تحفظ لها مستقبلها من خيانة الرجال ..

فإذا لا قدر الله كان الرجل الذى تزوجتة ليس أمين عليها واضطرتها الظروف الى الطلاق يكون لديها وظيفة ودخل شهرى تعتمد عليه ويحميها من تقلبات الزمن والإحتياج الى الاخرين ..

هكذا فكرت فريدة التى لم تكمل تعليمها وقررت ونفذت ...

بالفعل بعدما حصلت زينب على البكلريوس والتحقت بوظيفة وتقدم لها عريس زميل لها بالعمل قررت فريدة ان ترهن موافقتها على العريس بعد ان تسأل عنه وتتحرى جيدا عن كل شىء يخصة ويخص عائلته وتضع يدها على الاصل فى كل شىء ففريدة تؤمن جدا بالمثل الشعبى الذى يقول ...

على الأصل ضور ..!

انهت فريدة مسؤليتها تجاه صبرى وزينب وحمدت الله كثيرا على انها استطاعت ان تؤدى الامانه على اكمل وجه وبعدها بدأ العرسان يتوافدون على فريدة ..

صاحبة القهوة التى تَدُردخل كبير ..

الشخصية القوية التى يُعتمد عليها ..

الحسناء التى لم تضعف ابدا امام رغباتها ...

انها فريدة التى تمناها الكثير من الرجال ان لم يكن كل رجال المنطقة التى تسكن فيها وكل الرجال الذين يتعاملون معها ..

ولكن من تريد فريدة ؟

فريدة فاتها قطار الزواج ولكنها قررت وأتخذت على نفسها عهد ان لا تتزوج اى رجل لابد ان يكون رجل بمعنى الكلمة , رجل يشعرها بانوثتها التى رقدت تحت انقاض المسؤلية والاعباء , رجل صاحب شخصية قوية فالانثى كلما كانت قوية تميل الى الرجل الاقوى حتى يشعرها انه طفلة صغيرة امامه , رجل صاحب عقل حكيم , فكلما كانت الانثى صاحبة عقل حكيم تتمنى رجل احكم منها لتشعر بانها فى احتياجة دائما

فريدة تتقدم فى العمر وهى ثابته على وجهة نظرها التى تثق انها صحيحة مئة بالمئة ...!!

فكانت دائما تقول ..

ليس من الضرورى ان اتزوج ولكن من الضرورى جداا ان اتزوج رجل , فالرجل الذى ليس له علاقة بالرجولة كالطوق الحديد فى رقبة زوجتة يضيق على عنقها ومع الزمن يظل يضيق شيئاً فشيئاً حتى يضيق اكثر واكثر حتى تختنق وتكاد تزهق روحها وعند هذه اللحظة تختار الزوجة الطلاق كنهاية اكثر رحمة من موتها خنقا !

وكانت هذه هى حكاية فريدة التى وصلت الى عتبة الخمسين ولاتزال واقفة ثابتة على موقفها ورأيها ولا تريد ابدا ان تخطو خطوة واحدة تجاة خيبة الامل لانها اقسى بكثير من الوحدة والعنوسة ..

ولكن لم تنتهى قصة فريدة بعد ..

فربما يكون القدر يخبىء لها هدية تكون بمثابة تعويض كبير جداا بحجم المعاناة والصبر والتحمل والايمان برحمة الله وحكمته فى كل شىء ... !

****

تقدم سعيد متولى فى اتجاه قهوة فريدة ومع أول خطوة من قدمه داخل القهوة لمحته فريدة والتى كانت جالسه فى مكانها المعتاد لإدارة القهوة واستلام الحساب من الزبائن مقابل المشروبات التى تناولوها فى قهوتها ..

وبمجرد ان اقترب سعيد متولى منها تفرست فى عيناه جيدا فعلمت منهما انه فى ضيق من شىء معين فهى تفهم ما يدور بخلجات نفسه جيدا من قبل ان يتحدث فهى عشرة عمر طويل وجيرة وايضا هما كانوا يميلون الى بعضهم البعض منذ ان كانوا اطفال صغار يلهون معا فى الشارع مع باقى الاطفال ولكن سعيد متولى يكبرها بسبع سنوات تقريبا ...

وهو ايضا كان يحبها ويتمنى الزواج منها ولكن الظروف التى هبطت هبوط اضطرارى فوق رآس فريدة كانت السبب فى رفض والده رحمة الله عليه على

زواج سعيد منها ولعب القدر والنصيب دورهما فى ان اصبحت فريدة بلا زواج حتى الان وفوزية اصبحت هى زوجة سعيد وأم بناته ولكن لا احد يعلم ماذا يخبىء القدر وماذا كُتب لنا فى صفحات النصيب فالانسان يظل يطلع على نصيبه سطر تلو الاخر حتى لحظة نهاية وجوده فى الدنيا ...

اقترب سعيد من فريدة وقال .. السلام عليكم

فريدة نظرت له بقوة وكأنها مُتلهفه ان تعرف ماذا به وقالت .. وعليكم السلام يا ابو نرمين

وربتت على المقعد الذى بجوارها بيدها اليمنى وقالت .. اجلس , اجلس

جلس سعيد وهو يضع عيناه فى الارض

فنظرت له فريدة وقالت .. ماذا بك يا اخى ؟

فاطرق سعيد راسه فى الارض وهز رأسه لأعلى وأسفل بحزن وكأن فوق رأسه شىء ثقيل وقال .. انا اشعر بخيبة الامل يا فريدة ..!

فريدة : خيبة الامل ! بعد الشر عنك والله يبعد عنك خيبة الامل , ماذا حدث احكى لى فانت اخى ومايهمك يهمنى , احكى يا سعيد يا اخى !

سعيد : رفع رأسه من على الارض ونظر لها نظرة غلفها الحزن الأسى وقال .. انا حزين يا فريدة لان بناتى لايفكرن سوى فى الزواج فقط !

فريدة : وما العيب فى ذلك يا سعيد طالما انهن حصلوا على الشهادة الكبيرة ونرمين ماشاء الله توظفت فماذا يتبقى اذن سوى الزواج ؟ الله يرزقهن بالرجال الذين يستحقوا هن ..

سعيد : للاسف يا فريدة هن لايفرق معهن إن كان رجل يستحقهن ام لا يستحقهن انهن يريدن رجل وحسب مهما كان ! انه شىء مؤسف ومحزن لقلبى ان بناتى يصبحن هكذا !!

فريدة : معقول ؟ اى رجل ؟ لماذا ؟ احكى لى بالتفصيل ماذا حدث ؟

سعيد : نرمين ابنتى الكبيرة تقدم لها عريس قروى والهانم موافقه على الهبوط الى هذا الوضع القاسى هل تعرفى لماذا ؟؟

فريدة : بفضول ودهشة لماذا يا ترى ؟؟

سعيد : لان العريس .. رجل جميل جداااا

فريدة يبدو عليها الذهول والدهشة وصمتت قليلا ثم قالت : جميل ؟ قول لها يا سعيد ان تفكر جيدا فالزواج عشرة عمر وليس يوم او اثنين انت والدها وتعرف مصلحتها اكثر منها انها مهما كانت صغيرة وطيبة وعلى نياتها ولا تعرف حقيقة

الحياة والناس قول لها يا سعيد ان الناس بوجهين وجه حلو ووجه الله هو العالم به ..

سعيد : والله يا فريدة قلت لها اكثر من هذا وحاولت ان اجعلها ترى الحقيقة بكل قوتى ولكن ليس هناك اى فائدة انها لاترى امام عيناها سوى .. الرجل الجميل !!

فريدة : لا حول ولا قوة الا بالله , لاتحزن يا سعيد وفى النهاية كل شىء قسمة ونصيب وربما تدرك الحقيقة قبل الزواج وان شاء الله , الله يكتب لها الخير من أجلك فانت رجل طيب ومن أجل والدتها ايضا فهى طيبة والله ينجيها ويحميها من اجلكم باذن الله ...

سعيد : والحيرة قد إحتلت كل ملامحه مع الحزن وقال راجياً .. قولى لى يا فريدة ماذا افعل ؟

فريدة : اسمعنى يا سعيد .. اسمعنى جيدا .. رفضك سيجعلها تراك انك تقف امام سعادتها مع الرجل الجميل كما تقول هى فلتترك الموضوع يسير بهدوء وبعد الخُطبة ستقترب منه اكثر وفى هذه الحالة ستتعرف عليه جيدا وعلى حقيقتة التى ليست ظاهرة امامها الان وحينها ستتخذ القرار السليم والله يجعل نصيبها فى الخير يارب ..

سعيد : انا اثق برأيك جدا يا فريدة .. ثم هز رأسه لاعلى واسفل بحزن وقال .. اذن لن امنع خُطبتهما وسأترك الموضع للظروف وكل منا لا يرى الا نصيبه ...!

فعندما شعرت فريدة بحزنه الشديد وبدى عليها التعاطف معه فنظرت له نظرة حانية وقالت .. يا سعيد لا تُحمل نفسك فوق طاقتها اعرف والله ان الضنى غالى وان الاب يتمنى لابنته ان تكون مع رجل يحافظ عليها مثلما هو حافظ عليها واحسن معاملتها ولكن فى النهاية طالما انها مصممه فدعها ترى نصيبها وتتحمل نتجية اختيارها .. اما انت فلقد راعيت ضميرك معها ونصحتها وحاولت توعيتها لترى الحقيقة فليس فى يدك اكثر مما فعلت ..

وربتت على كتفه برقه وقالت .. لاتحزن ولعله خير وانت لاتعلم !

فنظر لها سعيد بنظرة حزينة غلفتها اِبتسامة رقيقة وقال .. اتمنى يكون فيه خير لها وانا اكون مخطأ ولست على حق فليس من المهم ان اكون على حق ولكن المهم ان تكون ابنتى سعيده

فابتسمت فريدة وقالت مُحاولةً تلهيته عن الحزن والضيق .. هل تعلم يا سعيد اننى لست بحزينه لاننى لم اتزوج حتى الان ؟

فنظر لها وهز رأسه ناحية اليسار وكإنه يريد ان يقول لها .. لماذا ؟

فاستطردت فريدة حديثها وقالت : اتعرف لماذا ؟

فقال لها همساً : لماذا ؟

فقالت وكلها حماس وقوة وثقة بالنفس : سوف احكى لك مجموعة حكايات ولا تقاطعنى وبعدما انتهى لن اقول لك لماذا لانك انت من سيعرف ويدرك بلا اى توضيح منى ..

سعيد : وانا منصت لكِ يا فريدة العقل والحكمة ..

فريدة : منى ابنة الحاج ذكى والتى هى وحيدة امها وابيها وتحيا بين جدران بيتهم مدللة كالأميرة اول عريس تقدم لها وكان كهربائى سيارات وافقت عليه ؟ وبعدما تزوجته لم يمر سوى اسبوع ووجدتها تنزل من تاكسى وهى مرتدية جلابية النوم وشعرها منكوش ويبدو على وجهها انها مضروبة ضرب تبدو أثارة متجلية على وجهها ..

وبعدها علمت من والدها عندما جاء عندى هنا فى القهوة انه حدثت مشدة كلامية بينها وبين زوجها لانه يرديها ان تنزل لتنظف شقة والدتة رغما عنها وعندما اعترضت لان والدتة معها فى نفس الشقه ابنتها التى لم تتزوج بعد وهى فتاة صغيرة تبلغ من العمر 21 عام , وعندما قالت له لماذا انا انظف واخدم والدتك ومعها ابنتها وهل انا خادمة ؟ فجذبها من شعرها وضربها امام والدتة وشقيقتة ليتباهى امامهم انه .. رجل !

ثم توقفت عن الحديث .. ثم عادت واستطردت حديثها قائلة .. لماذا فتاة صغيرة عمرها عشرين عام تقبل بالزواج من رجل يعمل فى تلك المهنه ؟ لماذا لم تنتظر حتى ياتى لها رجل تعيش معه حياة راقية ؟

سعيد ينظر اليها بكل تركيز ومتشوق لتكملة القصة ..

ثم قالت : ولم تكن هذه هى اخر مرة يضربها ويهينها فكل مرة تعترض على شىء يكون جوابه عليها .. الضرب والاهانة !

ثم صمتت وهى تحاول التركيز فى شىء معين ثم قالت .. اننى افكر , لماذا لم تطلب الطلاق وهى لم تنجب منه اطفال حتى الان ؟ ما الذى يجعلها تتحمل ؟ ما الذى يجعلها تصبر على ان تصبح وظيفتها خادمة بالاجبار ؟ وتتحمل الإهانه ليل نهار ؟؟؟ انها لاتزال لديها فرصة فهى لم تحمل فى بطنها جنين منه حتى الان ؟

فنظر سعيد بدهشة وقال .. شىء غريب فعلا ! ان الزوجة عندما تحمل جنين فى احشائها من زوجها او تنجب منه طفل واحد فقط تتحمل اى شىء من أجله ولكن طالما انها لم تُرزق بطفل حتى الان فما الداعى لتحمُل الإهانة ؟ حقا شىء غريب ؟ الا تريد ان تنفد بجلدها ؟ !!

فنظرت له فريدة بتعجب وقالت مؤيدة له : الله ينور عليك يا سعيد .. الا تريد ان تنفد بجلدها ؟ !!

ثم بدأت قصة جديدة وقالت : هل تعرف ابنة خالتى فاطمة ؟

فهز سعيد رأسه بمعنى .. نعم

ثم استطردت فريدة حديثها وقالت : انها حصلت على الماجستير وتعرف من تزوجت ؟

فانتبه سعيد لها بتركيز وكأنه يريد ان يعرف بسرعه وقال : من ؟

فريدة : تزوجت .. ميكانيكى !!

سعيد ينظر لها بدهشة كبيرة جدا ويقول : ميكا .. نيكى !!

فريدة : اه والله .. ميكا .. نيكى !!

سعيد وقد بدى عليه الذهول .. شىء عجيب فعلا !

فريدة : انتظر العجيب فعلا سوف يأتى بعد ذلك ..

سعيد : أهناك اعجب مما قولتيه يا فريدة ؟؟

فريدة : نعم ..

وفاء ابنة البشمهندس فاروق والحاصلة على بكلريوس تجارة هل تعرف من تزوجت ؟

سعيد : من ياترى ؟ انهم اسرة محترمه جداا وطبعا تزوجت رجل جدير بان يضع يده فى يد والدها ؟

فريدة : وقد ابتسمت ابتسامه تهكمية وقالت : سواق تاكسى !

فنظر لها سعيد والذهول قد غلف نظرة عينيه وملامح وجهه ...!

ثم استطردت فريدة حديثها قائلة : ليس هى فقط من فعلت هكذا , ان شقيقتها سها التى تعمل مُعلمة قد الدنيا تزوجت بائع فى محل مفروشات !

سعيد : بائع ؟؟

فريدة : ااه والله .. بائع !!

اما شقيقتهم الصغرى لم تبتعد كثيرا عن اختيارات شقيقتيها سها ووفاء فلقد تزوجت بائع فى سوبر ماركت !

سعيد : وبدهشة وذهول وقد ضرب كفا بكف وقال : ماذا حدث للفتيات ليفعلن هكذا فى انفسهن ؟

فريدة وهى تشير له بيدها اليمنى بمنعى .. اصبر لتستمع الى الباقى وقالت :

المحامية منال ابنة عمى تعرف من تزوجت ؟؟

الست المحامية تزوجت رجل يعمل فى كار المعمار ! وعندما تعجبت وقلت لها كيف تهبطى بقيمتك الكبيرة الى هذه الدرجة تعرف ماذا قالت لى يا سعيد ؟؟

سعيد : ماذا ؟

فريدة : قالت لى .. انا اتممت الثلاثين فكيف لى ان انتظر اكثر من هذا ؟ اتريدينى ان اكون مثلك ؟؟

سعيد : يبدو عليه الإحراج من اجل فريدة ويطرق رأسه فى الارض ويتنهد تنهيدة حزينة ويهز رأسه لاعلى واسفل

ثم استطردت فريدة حديثها قائلة : والله والله الذى رفع السبع سموات لو عشت حتى الموت بلا زواج اكرم لى من الاهانة وتلك الاوضاع التى لاتليق بانسانة ابدا !

ثم توقفت قليلا لتستريح واخذت نفس عميق ثم قالت : وشقيقتها الاصغر منها فعلت مثلها .. لا بل اسوء منها .. انها مُعلمة للمرحلة الثانوية وقبلت الزواج من رجل عاطل ليس له وظيفة !!

هل تعرف يا سعيد نسمة ابنة الحاج حسين ؟

سعيد : نعم .. انه رجل طيب وتقى جدا والبنت محترمه جدا

فريدة : نعم محترمه جدا فعلا وحصلت على الدكتوراه ايضا

سعيد : بإعجاب وفخر .. ما شاء الله ربنا يكرمها ويفوفقها

فريدة : متهكمة .. انه اكرمها فعلا .. انها تزوجت رجل حاصل على مؤهل متوسط وصاحب سنترال !!

سعيد : سنترال !! .. ثم نظر الى اليمن واليسار مندهشا وقال .. شىء غريب والله ما هذا ؟؟

فريدة : خذ منى الاثقل .. شقيقتها الحاصلة على بكلريوس زراعة تركت كليتها وصمتت على الزواج من رجل صاحب محل موبيلات وراسب ثانوية عامة اى شهادتة هى الاعدادية !!!

سعيد : لا حول ولا قوة الا بالله .. لا حول ولا قوة الا بالله .. اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه .. اللهم احفظنا واحفظ بنات المسلمين يارب .. لا حول ولا قوة الا بالله

فريدة : اما لو سمعت قصة أمل ابنة الاستاذ سيد الذى يعمل مدير عام ماذا سوف تقول ؟؟

سعيد : ماذا عن أمل هى الاخرى ؟؟ ماذا فعلت فى نفسها ومستقبلها ؟؟

فريدة : انها مصيبتها مصيبة فعلت فى نفسها شىء عجيب جدا .. انها حاصلة على دبلوم تجارة ولا ينقصها اى شىء فيكفى انها ابنة الرجل المحترم والسيدة الطيبة التى تُوضع على الجرح فيطيب .. انها يا سعيد تزوجت رجل متزوج ومعه زوجتة

وطفلين ويعمل كهربائى سيارات ووافقت ان تعيش مع ضرتها واطفاله ووالدتة فى نفس المنزل ...!!

سعيد : نظر لها بقوة ونظرة عينيه غلفتها الدهشة وكأنها لا يصدق ما سمعته اذنية ولم يفتح فمه و لم يستطيع النطق باى كلمة ...!!

ثم استطردت فريدة حكايتها وقالت : اما شقيقتها الاصغر منها فمصيبتها مصيبة ..

انها تزوجت رجل بائع فى محل مفروشات وليست المشكلة هنا بل انها وافقت ان تعيش مع والدتة المريضة النفسية فى نفس الشقة وان تكون خادمة لها وممرضة طوال الوقت !!

والحق يقال .. انه لم يخدعها بل كان صريح معها فى كل شىء وهى وافقت بكامل إرادتها !!!

اخذت فريدة نفس عميق وكأنها تحاول ان تستريح من القصص والحكايات الكثيرة والمتتالية التى قصتها لسعيد وصمتت قليلا ثم قالت .. بالله عليك يا سعيد قول لى ..

لماذا الفتاة تفعل فى نفسها هكذا ؟؟

لماذا تتزوج رجل ليس بينها وبينه اى تكافؤ ؟؟

لماذا تقبل اوضاع مهينة لكبريائها ؟؟

لماذا التسرع والتعجل على الزواج ؟؟

لماذا التضحية والتنازل .. عن ماذا ؟ .. عن الراحة والخصوصية و الكرامة والكبرياء .. لماذا ؟؟

وعندما اسأل احدهن اجد الجواب .. لقد تجاوزت الخامسة والعشرين

او ..

لقد اصبحت فى الثلاثين

او..

اخشى ان اصبح عانس

او..

او..

وكلها مُبررات خائبة ليست هى الحقيقة ...

سعيد : وماذا عن رأيك يا فريدة فى تلك القصص ؟؟ احقا الخوف من العونسة هو الدافع وراء تلك التنازلات الخطيرة المُدمرة ؟؟ انا لست مقتنع ولكن قولى لى انتِ ربما تكونى تستطيعى رؤية الحقيقة اكثر بحكم احاديثك مع النساء بلا خجل او حاجز ..!

فريدة : وقد وضعت عيناها فى الارض ونظرت يمين ويسار ثم رفعت رأسها الى اعلى ولكن اشاحت بوجهها قليلا حتى لاتلتقى نظرة عيناها بعين سعيد خجلا مما سوف تقوله ...

والله انا ارى ان البنات تعتقد ان الزواج هو فقط .. غرفة النوم .. وما يحدث فيها ..

فاطرق سعيد رأسه على الارض خجلا ومازل ينصت لفريدة ...

فاستطردت فريدة حديثها وقالت : ان البنات تعتقد ان الحياة الزوجية .. شهر عسل .. فقط

وان العلاقة بين الرجل والمرأة تستحق التضحية والتنازل من اجلها .. لانها شىء جميل .. وستستمر طوال الوقت .. وهكذا يكون .. الزواج ..!

ليتهن يعلمن ..

ان العلاقة الزوجية ليست محصورة داخل غرفة النوم فقط , او فى حديقة بها مرجيحة تجلس عليها الزوجة والزوج يجلس بجوارها ليدللها كالأطفال , ان الحياة الزوجية فيها يحتك كلا الطرفين بادق تفاصيل الشخصية والتربية للطرف الاخر وهذا الاحتكاك ربما ينتج عنه تناغم او ينتج عنه انفجار ...

ليتهن يعلمن ...

ان شهرالعسل هو ثلاثين يوما فقط , اما العلاقة الزوجية فهى علاقة العمر كله !

ليتهن يعلمن ..

ان شهر العسل .. ربما يكون مختصر على ليلة واحدة .. وربما يكون بلا ليالى ..!

ليتهن يعلمن ..

ان الشىء الذى يتلهفن عليه .. تلهف الجائع .. تلهف العاطش .. يجب ان يكون له شروط ويجب ان يكون هناك تكافؤ فيه بين الطرفين ليكون ممتع و... تكون المعاشرة .. بطعم .. العسل .. !

رفع سعيد رأسه من على الارض ونظر الى فريدة نظرة كلها إعجاب وإحترام وتقدير وقال لها .. والله يا فريدة إن الله وهبكِ عقل وحكمة من عنده ومن يتحدث

معكِ لا يصدق اطلاقا انكِ لم تكملى تعليمك وتركتى المدرسة وانت فى العاشرة من عمرك !

فعلا .. وعلى رأى المثل الشعبى الذى يقول .. العلم فى الراس مش فى الكراس !

فالحصلات على شهادات عليا وماجستير ودُكتوراه لم يستطعن رؤية الامور بهذه الرؤية العميقة التى انتِ رأيتِ بها الامور !

والله انا سعيد فعلا لان لى صديقة واخت وجارة مثلك يا فريدة اثق بها واحترمها

فريدة : وقد بدى عليها الخجل والسعادة مع القوة التى لاتتخلى عنها ابدا قالت .. الله لايحرمنى منك ابدا .. اخى .. سعيد

سعيد : وقبل ان اترككِ واذهب الى متابعة مصالحى .. قولى لى قول نهائى .. ماذا افعل مع نرمين ؟؟

فريدة : انصحها وارشدها الى الصواب وان لم تستجيب لك اتركها تتحمل نتيجة اختيارها وقرارتها .. فالانسان لا يصدق الا عندما يرى بنفسه ولا يتعلم الا من التجربة .. ربما يكون ثمن التعلم غالى .. غالى جدا ..ولكن حتى تتعلم يجب عليها ان تدفع الثمن .. ثمن التعلم وثمن عدم اقتناعها بانك الانسان الوحيد الذى يريد لها السعادة .

-5-

قراءة الفاتحة

ما شاء الله , اللهم صلى على النبى , ما كل هذا الجمال يا عروسة ؟

هكذا قالت فوزية والدة نرمين لها عندما دخلت الغُرفة على نرمين وهى واقفه امام المرآة تنظر على نفسها بعد انتهائها من إرتداء فستان الخُطبة الأنيق ذات اللون الروز الفاتح وصففت شعرها بطريقة بسيطة وجميلة ووضعت بعض الورود الصغيرة جدا والتى تحمل نفس لون الفستان فى تسريحة شعرها من الجانبين

والخلف ووضعت مكياج رقيق وانيق جدا فهى تميل الى الالوان الهادئة والمكياج البسيط جدا ...

صوت جرس الباب ...

فوزية تنظر لنرمين بفرحة وتقول : يبدو ان العريس جاء

نرمين تبتسم بفرحة ...

فجأة تدخل مفيدة مسرعة ومنار خلفها يقولون فى نفس اللحظة : ماما .. العريس جاء ومعه جيش !!

انتبهت لهم فوزية وقد بدى عليها الإنزعاج وقالت : ماذا تقولون ؟؟

منار : العريس جاء ومعه ناس كثيرة جداااا

مفيدة : ماذا سوف نقدم لكل هؤلاء ؟؟

فوزية : ناس كثيرة جداااا ؟؟ نحن متفقين ان ياتى ومعه اسُرته فقط ؟؟

فقالت منار متهكمة وساخرة جملة من فيلم عربى قديم : دوول ولاد خالته بس هاااا هاا هاااا هاااااا ...

فنظرت فوزية لنرمين ابنتها وقد لاحظت الغضب فى عيناها والدموع حبيسة تحاول إمسكاها حتى لاتسقط

فغمغمت فوزية قائلة : منار .. اصمتى قليلا .. وتعالوا معى لنقابل الضيوف

ثم إستدارت ونظرت الى نرمين وقالت : انتظرى انتِ هنا حتى ياتى والدكِ ليأخذك

وقفت نرمين تنظر فى المرآة ولكن الابتسامة التى تنبض بالسعادة اختفت من على وجهها وحل محلها القلق والإنزعاج وقالت محدثة نفسها : كيف يفعل هكذا ؟ نحن اتفقنا معه ان ياتى ومعه والدتة واشقاؤة الذكور وزوجاتهم فقط لان اليوم قراءة فاتحة فقط ..

ثم قالت لنفسها لا داعى للتوتر حتى لاتتأثر ملامحى وابدو قبيحة فى عين العريس ونساء عائلتة ..

ثم شردت قليلا وحاولت ان تعيش الوهم الجميل وقالت : فى اى حفلة خُطبة او اى مناسبة يحدث اشياء مُزعجه ولكنها سرعان ان تمر ولا داعى ابدا ان ازعج نفسى فلندع التوتر والقلق بعيدا يا نفسى ونفكر قليلا فى جمال العريس والذى ساكون جالسة بجواره بعد قليل ويده تلمس يدى وهو يلبسنى الدبلة .. دبلة الخُطبة .. والتى بعد فترة ستنتيقل من يدى اليمنى الى يدى اليسرى وبعدها الزواج .. ليلة الدخلة .. شهر العسل .. و...

وانتابتها حالة من الشبق غلبت على حالة التوتر التى تسبب فيها حضور العريس بتلك الطريقة المزعجة وسخرية منار شقيقتها من العريس وتصرفة الغير لائق ... !!

خرجت صوفيا من غرفتها وقد بدى عليها الذهول من كثرة المتواجدين وهمهمت قائلة : ما كل هؤلاء البشر ؟ الم يتفق معه عمى على ان ياتى ومعه اسُرته فقط ؟؟ بداية القصيدة كفر يا نرمين ...!!

واتجهت الى المطبخ لتدخل الى فوزية زوجة عمها لترى ماذا يجب عليهم فعله ..

فوجدت فوزية وابنتيها منار ومفيدة واقفين فى المطبخ فى حالة من الحيرة ..

مفيدة : إن الجاتوة والمشروبات التى جهزناها لن تكفى كل هذا العدد ؟؟

صوفيا : زوجة عمى .. الحل الوحيد ان انزل اشترى جاتوة ومشروبات من اقرب محل لبيع الحلويات بالنسبة لنا هذا هو الحل الوحيد

فوزية : فعلا ليس امامنا سوى هذا الحل

ثم نظرت الى منار وقالت لها : منار فلتذهبى مع صوفيا لشراء الجاتوة والمشروبات لانها لن تستطيع ان تحمل الاشياء بمفردها

منار : حاضر يا ماما

صوفيا : زوجة عمى .. هل ستعطينى انتِ النقود ام اطلب من عمى سعيد ؟؟

فوزية : لالا انا ساعطيكى النقود , الله يكرمكِ يا صوفيا دائما تحلى المشاكل بكل بساطة وهدوء

دخل سعيد عليهم المطبخ وهو ومنزعج جدا ويقول : انتم واقفون هنا تتحدثون وتاركين الناس فى الخارج بمفردهم وانا لا اعرف ماذا افعل ما كل هذا العدد الكبير .. الله يخرب بيت نرمين ويخرب بيت اختياراتها !!

فوزية وقد بدى عليها الضيق والتوتر قالت : يا سعيد ارجوك لا داعى لهذا الحديث الان فلندعو لها بالتوفيق والسعادة وكل انسان لايأخذ سوى نصيبه والمكتوب له ..

فنظر لها سعيد والامتعاض يغلف نظرة عيناه وقال متهكما : حاضر يا أم .. العروسة

واعطى لها ظهرة وخرج من المطبخ الى الخارج ...

اتجه سعيد ناحية العريس مصطفى وقال لها : ألم نتفق يا ابنى ان لا تُحضر معك سوى أُسرتك فقط ؟ انت هكذا وضعتنا فى موقف مُحرج ..

فرد عليه مصطفى بهدوء وبرود قائلا : انهم اهلى وكيف لى ان لا ادعوا اهلى على قراءة الفاتحة .. ثم اننى لم احضر معى سوى اشقائى وزوجاتهم وابناء عمى

وزوجاتهم وابناء خالى وزوجاتهم فقط لانهم بالنسبة لى مثل اشقائى بالضبط وطبعا هم وابنائهم لان كيف لهم ان ياتوا ويتركون ابنائهم وحدهم فى المنزل ؟؟؟

فنظر له سعيد والإمتعاض اشتد فى عيناه وإلتزم الصمت ..!!

ثم قالت سيدة عجوز تجلس وسط النساء القادمات مع العريس مصطفى وهى تشير الى مصطفى : اين العروسة يا مصطفى نريد ان نراها ونسلم عليها ؟؟

فنظر مصطفى الى سعيد وقال : هيا يا عمى فلْتُحضر العروسة النساء اقاربى يريدون مشاهدة العروسة

فنظر له سعيد وتركه واتجه ناحية غرفة نرمين ودق الباب بيده ثم دخل الى الغرفة ...

انتبهت له نرمين ونظرت له وفوجئت بالغضب يملأ عيناه ولكنها اشاحت بوجهها عنه حتى لا تشعر بالتوتر من الغضب الذى سيطر على نظرة عيناه .. ثم قال لها :

هل انتِ جاهزة الان ؟؟

نرمين : نعم

فقال لها وهو يشير الى الباب : هيا بنا الى الخارج العريس ينتظرك ...

تتقدم نرمين بخطواتها نحو العريس مصطفى و والدها سعيد بجوارها ...

تلتف انظار كل المتواجدين نحو العروسة نرمين وخاصة النساء ...

سلمت نرمين على مصطفى وجلست بجواره ...

وبدأت تعليقات واحاديث النساء الجانبية ورغم انهن اعتقدن انهن يتحدثن همسا الا ان نبرة اصواتهن كانت عالية ومسموعة ... !

فلقد قالت احدى النساء للتى بجوارها : ان العروسة ليست بيضاء انها خمرية !

وقالت احدهن للتى بجوارها : انها ترتدى فستان مكشوف وشعرها ايضا مكشوف .. هكذا يكونوا بنات المدن .. مكشوفين !!

وقالت اخرى للتى بجوارها : ما هذا الفستان الذى ترتدية لماذا لم ترتدى فستان احمر مثلا وحتى المكياج التى تضعه باهت ولو كان المكياح باللون الاحمر لكانت العروسة اجمل !!

ان نرمين ربما تكون انتبهت لإيماءات الوجوه التى تراها امامها وغمزاتهم لبعضهن البعض ولكنها لم تتمكن من معرفة ماذا يقولن بالضبط او ربما تعاملت مع الامر بتجاهل بكامل إرادتها !!

ولكن صوفيا هى التى سمعت كل الاحاديث والتعليقات بالضبط فهى من كانت تقوم بتوزيع اطباق الجاتوة على الموجودين وكذلك المشروبات وسمعت تعليقات النساء بالصدفة ... !!

نظرت نرمين الى مصطفى وقالت له همسا : لماذا لم تخبرنا انك ستأتى ومعك عدد كبير بهذا الشكل , ثم غمغمت الحديث مُسرعه وقالت .. حتى كنا نتمكن من عمل الواجب على اكمل وجه لكل من ياتى معك حتى نشرفك امام اهلك ومعارفك ؟؟

فنظر لها مصطفى وغلفت عيناه ابتسامة سخيفة غطى بها على الإمتعاض الذى احتل عيناه وقال .. نحن ليس لدينا تليفون فى المنزل ولكى اتصل بكِ اخبركِ كنت سأحتاج للذهاب الى السنترال والسنترال بعيد جدا عن منزلنا فقلت لنفسى لا داعى ان اخبرك حتى اوفر على نفسى مشوار السنترال وايضا كنت سادفع نقود كثيرة من اجل المكالمة فلا داعى لإهدار النقود فى مكالمات التليفون ..

نظرت له نرمين بدهشة وكأنها ترى شىء عجيب امامها والتزمت الصمت !!!

ثم اقترب منهم شاب من ضمن اقارب مصطفى وهو يمسك فى يده كاميرا فوتوغرافية ويقول .. اريد ان التقط لك انت والعروسة مجموعة مناظر ..

فقالت نرمين : مناظر !!

فقال لها الشاب هيا اقتربى منه قليلا لألتقط لكم بعض المناظر

فقالت له نرمين وقد بدى عليها الضيق .. لا لا لا يصح ابدا ان نقترب من بعض اكثر من هذا

فظل الشاب واقف ومصمم على طلبة وهو يكرر .. هيا اقتربى يا عروسة حتى ألتقط لكم بعض المناظر !

فانتبه والدها سعيد له وقال .. مناظر ؟ يا ابنى انها قراءة فاتحة وليس عقد قران حتى يجوز لهما الاقتراب من بعضهم اكثر من ذلك وإلتقاط مناظر كما تقول !!

الغريب ان الشاب لم يشعر بالإحراج !!

وظل واقفا ويكرر حديثه ويقول لسعيد .. يا حاج نريد ان نفرح بالعروسين

فقال له سعيد ولكن بعصبية سيطر عليها بما استطاع من قوة .. يا ابنى اتركها على راحتها ارجوك واجلس مكانك واهلا بك ...

ثم ادار سعيد وجهه وهو يهمهم قائلا .. ما هذا ؟ اقول له .. لايصح .. يكرر الحديث مرة ثانية ؟؟!!

لم تمر دقائق وقرر اهل ومعارف العريس مصطفى الانصراف بحجة الطريق الطويل وخطورة الطريق الزراعى ليلا وجميعهم تركوا اطباقهم التى بها الجاتوة والحلويات ولكن بعض منهم شربوا المشروبات التى قدمت لهم ..!!

قام العريس مصطفى وقرر الانصراف مع اهله ومعارفه فقالت له نرمين وقد بدى عليها الحزن وخيبة الامل .. مصطفى لماذا تنصرف معهم ؟؟ اتركهم يذهبون وانت ابق معى .. الم تسهر معنا الليلة مثل كل عريس يسهر مع خطيبته بعد انصراف المدعوين ؟؟

فقال لها مصطفى : لالا ليس هذا ممكن ابدا كيف لى ان اترك والدتى تعود الى القرية وحدها ؟؟ سوف تغضب منى كثيرا ان فعلت هذا

نرمين وقد بدى عليها الدهشة : لماذا تغضب منك ؟؟ هى ليست وحدها معها كل العائلة وابنائها وكلهم رجال وليست سيدة بمفردها حتى تغضب منك لانك تركتها وحدها ؟؟

مصطفى بتوتر وقلق قال لها وهو ينظر الى والدتة ويتابع نظرات عينيها : قلت لكِ لا يصح هذا سوف اعود مع والدتى وسوف احضر لزيارتكِ مرة اخرى ...

وتركها واتجه ناحية والدتة ليخرج معها من باب الشقة والتى كانت واقفه تنظر لها نظرة كلها ترقب وانتظار وكأنها كانت تريد ان تعرف ان كان سيبقى حتى يرضى العروسة ام سيخرج معها ليرضيها هى .. كانت تنتظر قراره .. هل سيُرضى العروسة ام سيُرضيها هى ؟؟

اما نرمين بشعرت بخيبة الامل ... فكانت تتخيل ان بعد انصراف المدعوين ستمضى معه سهرة ويتناولون العشاء معا بصحبة اسرتها ولكن اكيد كانت ستقضى معه بعض الوقت على انفراد يتحدثون معا على الاقل !

****

دخلت صوفيا الى غرفتها واغلقت الباب خلفها بعدما غادر العريس واهله المنزل ودخل عمها سعيد وزوجتة فوزية الى غرفتهما وكان صوت سعيد مرتفع ويوحى بالعصبية والإمتعاض وفوزية تحاول بكل جُهدها الحد من عصبيتة من أجل نرمين ..

اما مفيدة فلقد دخلت الى المطبخ لتتناول جاتوة وحلويات وتملأ معدتها ببعض من الحلويات والمشروات الموجودة اليوم قبل النوم ...

اما منار لقد بدى عليها الغيرة قليلا لانها تتمنى ان تعيش دور العروسة التى تجلس فى انتظار عريسها ليأتى وياخذها ويرحل بها الى عالم الرومانسية والحب ... ولذلك جلست فى غرفة المعيشة لتشاهد فيلم رومانسى وحدها وعلى انفراد ...

اما نرمين فلقد دخلت الى غرفتها واغلقت الباب خلفها ....

بدلت صوفيا ملابسها وارتدت ملابس النوم , واغلقت الانوار واكتفت بإضاءة خافتة وجلست على المقعد الهزاز لتريح اعصابها من توتر هذه الليلة ...

ثم قامت ودخلت الى البلكونة ووقفت تنظر الى السماء واخذت نفس عميق جداااا واخذت تحدث نفسها قائله ...

مسكينة انتِ يا نرمين مريضة بمرض السطحية المميت ...

فكل شىء يمر عليكِ مرور الكرام ...!

اعرفكِ جيدا يا نرمين اكثر من نفسك ..

انكِ يا نرمين تعتقدين ان كل ما حدث اليوم من تصرفات سخيفة هى مجرد لحظات عابرة ليس اكثر ..

اليس كذلك يا نرمين ؟

واعلم جيدا انكِ لم تدركِ ان ما حدث اليوم هو الحقيقة المصغرة ...

إصرار الشاب على التقاط الصور رغم رفضكِ وعدم شعوره بالإحراج ؟

تعليقات النساء والغمز واللمز ... !

عدم اهتمام مصطفى بإخباركِ بالعدد الكبير الذى اتى به قبل ان يصطحبهم الى هنا ؟

دخولهم علينا بلا اى شىء ؟ رغم انه من المعروف ان العريس يتحمل كل تكاليف ليلة الخُطبة او قراءة الفاتحة ؟ وياتى ومعه الحلوى والجاتوهات التى تقدم للمدعوين !

نظرات والدتة لكِ يا نرمين اعلم انكِ لم تستشفى منها اى شىء ..

رغم ان كل شىء فى عينيها واضح وضوح الشمس !!

اصرارها على مغادرة ولدها مصطفى معها رغم انه من المفروض ان كانت تقول له ..

انتظر انت يا ابنى مع عروستك لتجلسوا معا بعض الوقت على انفراد !!

اعلم يا نرمين انكِ تعتقدين انكِ ستظلى بالنسبة لمصطفى واهله فتاة المدينة المختلفة ..

واعلم جيدا انكِ لم يخطر لكِ على بال انكِ مع مرور الوقت ستصبحين نسخة طبق الاصل منهم وان لم يكن بإرادتك سيكون رغما عنكِ وان لم يكن برضاكِ سيكون بالعنف والقوة !

اعلم انكِ معتقدة انكِ ستعيشى فى حضن مصطفى الواسع وسيكون الامان والحماية لكِ من والدتة وكل سخافات النساء وخفة عقولهن ..

انكِ لاتعرفى شىء يا نرمين انه لن يقوى على حمايتكِ حتى لايظهر فى اعين نساء العائلة انه ضعيف امامكِ ويتحرك باشارة من اصابعكِ .. انه ربما يتعمد ان يهينك امامهم ويجبرك على ما يحلو لهم حتى يظهر امامهم .. رجل بكل معنى الكلمة !!

وبالطبع يا نرمين انتِ لم تضعى فى الاعتبار اولادكِ الذين سيأتوا فى المستقبل ؟

نعم اعلم انكِ لم تفكرى فى هذا المستقبل البعيد .. ولكن ان كنتِ تعتقدى وهما انكِ ستكونى فى حماية مصطفى فكيف لكِ ان تحمى ابنائك وتمنعى وقوعهم تحت سيطرة اهل البيت وعائلة مصطفى وخاصة والدتة سيدة البيت الكبيرة !!

يا ترى يا نرمين بماذا تفكرين الان ؟؟ هل تمكنتى من رؤية شىء حتى لو بسيط من الحقيقة ؟؟ ام مازلتى تعيشين فى الوهم ؟؟ وهم الرجل الجميل !!

ظلت صوفيا واقفة تنظر الى السماء وتحدث نرمين التى تتخيل انها واقفه امامها وتحاول ان تشرح لها وجهة نظرها ورؤيتها للموضوع والتى لم تقوى ان تقولها لنرمين فى وجهها خوفا من غضبها فهى لم تتقبل رأى اى شخص وقد سبق لصوفيا ان قالت لها رأيها بكل صراحة فى بداية الموضوع ..

اطرقت صوفيا راسها الى اسفل وظلت تنظر الى الارض ثم نظرت الى اليسار وانتبهت انتباه امتزج بدهشة وقالت ...

ما هذا ؟؟ انها نرمين جالسة فى البلكونة فى الجزء الذى تطل عليه غرفتها !!!

ما هذا ؟؟ انها تحتضن نفسها بكل قوتها ونظرة عينيها شاردة بعيداا فى السماء !!

فهمهت صوفيا قائلة لنفسها ..

يبدو عليها انها تتخيل لحظة وجودها مع مصطفى وهى بين احضانه الواسعة !!

وهل يا نرمين انتِ واثقة انها ستكون واسعة ؟؟ ام ربما تكون اضيق من ثقب الإبرة ؟؟

وتنهدت صوفيا تنهيدة توحى بالتعجب والحزن فى نفس الوقت ونظرت امامها وهمهمت قائلة ...

حقا ان السطحية .. مرض مميت .. لن يُشفى منه .. إلا العقلاء .. او من أراد الشفاء فقط !!

اتمنى من كل قلبى السعادة لكِ يا نرمين ولكن من اين ستأتى ؟؟

عموما لقد اتفق عمى سعيد مع العريس مصطفى على ان عقد القران والزواج بعد عام ...

وفى خلال هذا العام سيكون هناك فرصة جيدة جدا للتعارف اكثر وستكشف الايام عن الحقيقة من خلال المواقف والإحتكاك عن قرب ...

إن المقابلات فى الإطار الرسمى وبين الاسرة لا يتيح الفرصة اطلاقا لظهور حقائق الاخرين اما المواقف هى التى تُظهر الاخرين على حقيقتهم ..

فربما موقف بسيط يُظهر لنا حقيقة تكمن فى الاعماق ...

والمواقف ايضا تساعد فى تحديد درجة الرقى الاخلاقى للاخرين من عدمه ..

ولكن هل نرمين التى اعمى عيونها جمال الشكل سترى الحقيقة حتى وان تجلت امامها بكل قوتها ؟؟

هل نرمين التى غلفت السطحية عقلها بمنتهى القوة ستسمح لنفسها ان ترى الحقيقة ؟؟

ستسمح لعقلها ان يُفكر ؟؟

ام التفكير فى ليلة الزفاف وشهر العسل سيظل محتلا كل عقلها ولن يسمح لعقلها بالتفكير فى اى شىء اخر ؟

اتمنى ان تفيق قبل فوات الاوان ...

ولكن هل ستسمح لنفسها ان تفيق ؟

ام كلما فاقت اغمضت عينيها عمدا واوقفت عقلها وشردت وتاهت بكل قوتها فى عالم الخيال حتى لا تفقد المصدر الذى سترتشف منه ... العسل ؟!!

وهل العسل يا نرمين ان وجد سيكون عسل صافى ام عسل محاط بالطين وقذارة البشر ؟؟؟ فهل سيكون العسل ممتع فى تلك الحالة ؟؟؟

-6-

خُطة لذيذة

لماذا تأخرت حتى الان صديقتكِ "مفيدة " ؟

هى فعلا بيضاء جدا وسمينة كما تصفينها ؟

انت تعلمين يا سُهير انا احب الفتاة البيضاء السمينة ..

هى لا تعلم شىء عن هذة المقابلة اليس كذلك يا سُهير ؟؟

هكذا قال " عماد " ابن عم " سهير " صديقة " مفيدة " ابنة سعيد متولى ..

فجاوبت عليه سهير قائلة .. نعم .. انها كما وصفتها لك بالضبط ..

نعم .. هى لا تعرف شىء عن هذه المُقابلة حتى يكون فى الموضوع اى متسع للإحراج فاذا نالت إعجابك ساخبرها بكل شىء واذا لم تنال إعجابك فهى لاتعرف شىء وبالتالى لا يكون هناك اى إحراج لى او لك او لها ..

اما عن كونها بيضاء وسمينة فهى فعلا كذلك .. واعرف جيدا انك تحب الفتاة البيضاء السمينة ولذلك اخترتها لك ثم استطردت حديثها قائلة .. وليس هذا فحسب .. بل انها من اسرة محترمة ووالدها ووالدتها طيبون جداا واذا كان لك نصيب مع مفيدة فسيكون من حسن حظك انك تكون على علاقة نسب مع اسرة مثل اسرة مفيدة

صوت جرس الباب ...

انتبهت سُهير وعماد لصوت الجرس وقال الاثنين فى نفس واحد .. يبدو انها هى !

فقامت سُهير واقفه ووجهت الحديث الى والدتها وشقيقتها الصغرى التى لاتزال فى المرحلة الإبتدائية والى عماد ايضا .. كما انتم لا تتحركون وكونوا طبيعين جدا .. ولا داعى لأى تلميحات حتى لا نلفت الإنتباه .. وانا ساجعلها تُسلم عليكم وتجلس معكم قليلا ثم بعد ذلك ساعرف منك رأيك فيها واخبرها به قبل ان تخرج من هنا .. اتفقنا يا عماد ؟؟

فرد عليها بلهفة وسُرعة .. نعم .. نعم .. اتفقنا .. هيا اذهبى وافتحى لها الباب حتى لا تنتظر اكثر من هذا !

اتجهت سُهير نحو الباب ونظرت من العين السحرية فرأت مفيدة واقفة خلف الباب فى انتظار فتح الباب ..

فاستدارت سُهير ونظرت الى عماد وقالت بصوت خافت جداا وهى تحرك رأسها .. هى .. هى ..

فتحت سُهير الباب وقالت .. مفيدة .. اهلا اهلا يا حبيبتى .. تعالِ .. تفضلى ..

دخلت مفيدة وتقدمت بخطواتها خطوتين وخلفها سُهير ..

ثم قالت لها سُهير .. مفيدة فلتسلمى على ماما

مفيدة اقتربت منها ومدت يدها لتسلم على والدة سُهير ..

والدة سُهير مدت يدها وقالت .. اهلا يا حبيبتى .. كيف حالك وحال والدتكِ

مفيدة : الحمد لله

فقالت لها والدة سُهير : فلتسلمى على عماد انه ابن عم سُهير

فمدت يدها مفيدة وسلمت عليه

ثم قالت لها سُهير هيا بنا يا مفيدة لنجلس فى غرفتى ..

فردت عليها والدتها قائلة .. فلتجلسوا معنا قليلا انا مُشتاقة لمفيدة جدا

فجلست مفيدة على المقعد الذى هو امام عمام مباشرة والذى تركته سُهير فارغ مُتعمدة حتى تجلس عليه مفيدة وتكون امام عين عماد مباشرة ولأطول مُدة مُمكنه ..

ظل عماد ينظر لمفيدة بدقة وتركيز وكأنه يفحص بضاعة يريد شرائها اما سُهير ووالدتها فظلوا يتحدثون وينتقلون من موضوع الى موضع حتى تطول المُدة التى تظل فيها مفيدة جالسه امام عماد ...

ثم نظرت سُهير الى عماد نظرة تعنى .. ماذا عن رأيك فيها ؟؟

فبادلها عماد بنظرة من عيناه وهز رأسه هزة خفيفة الى اعلى واسفل بمعنى .. اعجبتنى وموافق !!

فنظرت سُهير الى مفيدة وقالت لها .. مفيدة هيا بنا لنجلس فى غرفتى لنكون على راحتنا اكثر ..

فقامت سُهير وخلفها مفيدة واتجهوا ناحية غرفة سُهير ...

فمالت والدة سُهير على عماد وقالت له بصوت خافت .. العروسة قشطة أليس كذلك ؟؟

فضحك عماد ضحكة حيوانية وامتلأت عيناه بالشهوانية وغلفتها ابتسامة لامعة ..

****

عادت مفيدة الى المنزل واقتحمت الشقة وهى مُسرعة جدا وتتحرك بخفة عالية جدا وكأن وزنها لا يزيد عن خمسين كيلو جرام !!

ومتلهفه على إخبار والدتها بهذا الخبر وتشعر وكأنها عادت إليها بخبر سيُغير العالم من حولها ..

فأخذت تنادى على والدتها بلفهة وبصوت عالِ جدا .. ماما .. ماما .. تعالِ بسرعة

خرجت فوزية من المطبخ مُسرعة ومُتجه بسرعة ولهفة نحو مفيدة وهى يبدو عليها القلق وقالت .. مفيدة .. ماذا حدث ؟؟

فقالت لها مفيدة وهى تصرخ من الفرحة .. عريس .. عريس .. عريس .. يا ماما

تجسدت الفرحة على وجه فوزية والدتها وقالت .. يا الف بركة .. ولكن قولى لى .. اين هذا العريس ؟ ومن اخبركِ عنه ؟؟

فقالت لها مفيدة .. انه ابن عم سُهير صديقتى

فقالت لها والدتها .. وهل اخبرتكِ سُهير عن كل المعلومات الخاصة به ؟ حتى نخبر والدكِ بها ليسأل عنه ونطمئن انه عريس ابن ناس طيبين ؟؟

فقالت لها مفيدة .. نعم .. انه موظف .. وعمره خمسة وعشرين عام ..

انا سأخبر والدك بهذه المعلومات وهو يسال عنه وعن اسرته وبعدها ننتظر ما سوف يحدث ؟ ونصيب الله هو الغالب وربى يجعل نصيبكِ انتِ واخوتكِ فى الخير يارب (هكذا قالت فوزية والدتها) ,

فثارت عليها مفيدة قائلة بعصبية شديدة .. ما هذا الذى تقولينه .. اخبر والدكِ .. يسال .. نفكر .. نرى النصيب .. ما كل هذا ؟؟ انا اريد ان اتزوج بسرعة ؟؟ انا اشعر ان القدر انجدنى مما انا فيه بهذا العريس

فتعجبت والدتها وقالت .. مما انتِ فيه ؟ ما هو الذى انتِ فيه ؟

انتِ تعيشى فى بيت ابيكِ معززة مُكرمة تأكلين وتشربين وتلبسين كما يحلو لكِ , إن هذه الايام هى اجمل ايام حياتكِ اما بعد الزواج فلن تجدى العز والرفاهية التى تجيدها هنا فى بيت ابيكِ , هل تعتقدى ان الزواج راحة ؟؟ انه مسؤلية كبيرة يا ابنتى , وعلينا ان نعرف كل شىء عن العريس واسرته واصله وفصله حتى نتأكد من انه سيكون آمين عليكِ ..

فنظرت لها مفيدة بغل وغباء وقالت .. ساعطيكِ رقم سُهير واتصلى بها واعرفى منها مايحلو لكِ واخبرى بيه زوجكِ ! ولكن ياريت بسرعة انا اريد ان اتزوج بسرعة

فنظرت لها والدتها وقالت متهكمة .. زوجكِ ؟!

فى يوما ما ستعلمين ان والدكِ هو افضل رجل فى الدنيا ...

وفجأة باب الشقة يُفتح وتدخل منه صوفيا ..

فانتبهت لها فوزية زوجة عمها وقالت .. صوفيا .. تعالِ يا حبيبتى لدينا خبر مهم !

صوفيا تتقدم بخطواتها تجاه زوجة عمها وتنظر الى مفيدة فتُقابلها نظرة غباء وغل من مفيدة تشعرها بالضيق والقلق وقالت .. خير .. خير ان شاء الله ؟

فاخبرتها فوزية زوجة عمها عن ما قالته مفيدة ...

فصمتت صوفيا قليلا ثم قالت وهى مترددة خوفا من مفيدة .. حبيبتى يا مفيدة الله يكتب لكِ السعادة ويتمم لكِ على خير ولكن هناك بعض النقاط التى لفتت نظرى ..

فردت عليها مفيدة مُتهكمة وقالت .. وماهى يا ترى تلك النقاط يا ... فيلسوفة هانم ؟؟

فنظرت لها والدتها فوزية نظرة بمعنى .. لا يصح ابدا ان تتحدثى بهذة الطريقة !!

فتجاوزت صوفيا عن تهكمها واسلوبها الغير لائق وقالت ..

اولا : طالما ان عماد هذا ابن عم سُهير لماذا لم يفكر فى الزواج منها هى ؟

فلنفرض انه لا يميل لها .. ولكن لماذا هى لم تميل له او تتمنى الزواج منه طالما انه عريس لقطة على حد قولها ؟؟

ثانيا : انها لم تكن صُدفة .. انها كانت مقابلة مُتفق عليها ومُخطط لها تخطيط مُسبق حتى يراكِ ويتعرف عليكِ ..

ثالثا : بمجرد ان وقعت عيناه عليكِ ومررتِ من امامه او حتى جلستى معه لحظات بعدها قرر ان يطلب الإرتباط بكِ .. اهذه ليست سطحية فى الإختيار ؟ يبدو انه اهم شىء بالنسبة له الشكل والجسم .. وهذا فى حد ذاته ليس اساس قوى تُبنى عليه الإختيارات المصيريه مثل الزواج !!

فقاطعتها مفيدة وهى غاضبة ولا تريد سماع المزيد وهى تقول ..

اولا : نصيب ..

ثانيا : حتى لو كانت خُطة .. انها خُطة لذيذة .. خُطة لذيذة جدااا .. خُطة احلى من العسل بالسمن الذى احبه

ثالثا : وما الذى يُضايقك فى انه اعجب بى بمجرد ان عيناه وقعت على ؟؟ اهذا شىء يغضبك يا سيدة الحسن والجمال ؟ اتعتقدين ان انتِ فقط الجميلة وشىء غريب ان يرانى رجل جميلة ؟؟

فقاطعتها صوفيا وقد ظهرت الدموع فى عينيها من اسلوبها المُستفز المهين وقالت بحنق .. انا لا اقصد هذا ولكن ...

وقبل ان تكمل صوفيا جملتها قاطعتها مفيدة قائلة .. لا اريد ان اعرف .. وتوقفى عن الفلسفة الفارغة التى اصبتنا بوجع الرأس هذه ..

جلست فوزية والدتها وهى تضع وجهها فى الارض حُزنا على صوفيا التى اصبها الإحراج والخجل بسبب اسلوب مفيدة ولانها تعرف كم هى صوفيا حساسة ورقيقة وايضا تدرك جيدا انها تريد الخير وتتحدث من منطلق ضميرها الحى ...

تركتهم مفيدة ودخلت الى غرفتها وجلست على السرير تحاول إعادة صورة عماد من ذاكرتها لتتأمل فيه وهى بمفردها ...

فشردت .. واحمر وجهها ... وانتابتها حالة من الشبق وهمهمت قائلة ...

ان جسدة جميل فهو ليس ممتلىء او رفيع جدا ..

ولديه عضلات قوية وجذابة ...

وملامحة مقبولة ...

ويبدو عليه رجل ..

رجل ...

رجل جداااا ...

اااااااه اتمنى ان يكون بيننا نصيب ونتزوج ...

اننى ومن سنوات طويلة احلم بليلة .. ليلة الدخلة ..

كم ستكون ليلة جميلة جداااااااااااااااااااا

انتظر اللحظة التى تتم فيها الخُطبة ونخرج معا ويأخذ يدى فى يده وانا اسير بجواره يكون ذراعه قريب من صدرى فيحتك ذراعه بصدرى ...

اااااااااااه انه احساس جميل جداااااا .. حقا عسل

لهذا اطلقوا على الايام الاولى من الزواج ... شهر العسل .. حقا انه عسل ...

ويبدو ان عماد هذا رجل ... سيكون .. شهر العسل معه .. عسل حقا ..

ثم عادت من شردوها وانتبهت فجأة وقالت ..

ولكن الخيبة الكبرى .. والمصيبة الحقيقية .. ان يسأل عنه بابا ويجد شىء يجعله يرفض عماد !!

ثم قامت وقفت وقالت .. يارب .. يارب .. ارجوك عندما يسأل عنه بابا لا يجد شىء يجعله يرفض اطلاقا ..

انا اشعر انكِ نجدتنى بهذا العريس ..

ارجوك ينتهى الموضوع على خير .. اى .. بالزواج ..

ثم اتجهت ناحية المرآة ووقفت تتحسس جسدها وهى تنظر فى المرآة وقالت ..

ان جسدى ابيض جداا ولذلك سوف اشترى قمصان نوم بالوان داكنه مثل ..

الاحمر .. الازرق .. الاسو د .. حتى تزيد قمصان النوم من جاذبية جسدى واكون شديدة الإغراء ليلة الدخلة بالذات ...

ثم انتبهت وهمهمت قائلة .. اتمنى ان يكون العريس عماد جاهز للزواج بسرعة فلا انتظر طويلا حتى يتم الزواج ..

اننى اتمنى الزواج منذ سنوات وليس عندى اى إستعداد للإنتظار اكثر من هذا ..

الى متى انتظر ؟؟

ألا يكفى كل هذا العذاب حتى الان ؟؟

-7-

أهم شىء هو ..

اهم شىء .. يا ابنى .. هو .. الحرص الشديد ..

فعندما نذهب لزيارة العروسة لن نأخذ معنا اى شىء .. مثل جاتوة .. حلويات .. شيكولاتة .. اى شىء من هذا القبيل ..

نحن ذاهبون لزيارتها هى واهلها فقط لاشاهدها .. انااا .. واقرر ان كانت ستنال إعجابى ام لا ؟

فإذا نالت إعجابى .. نحدد معهم موعد اخر لزيارتهم ونأخذ معنا والدك ليضع النقط على الحروف ..

اما اذا .. لم تنال إعجابى .. فلنبحث عن عروسة اخرى ..

وفى هذه الحالة نكون لم نخسر شىء ولم نكلف انفسنا اى تكاليف مادية ...

هكذا قالت " جمالات " والدة " عماد " ابن عم " سُهير " صديقة "مفيدة " والذى حدد موعد مع اسرة مفيدة لزيارتهم فى منزلهم للتعارف عليهم بغرض خُطبة مفيدة ..

إن جمالات سيدة قبيحة الشكل والجوهر , ملامحها قبيحة بكل ماتحملة الكلمة من معنى , سمراء البشرة , صاحبة شعر مجعد , متوسطة الطول ومتوسطة القوام , ولكنها صاحبة شخصية حادة تتمتع بقدر عالٍ جدا من الغباء والبخل وايضا النواحى الإنسانية تكاد تكون منعدمة من كيانها , ترى نفسها الأجمل فى الكون , ترى نفسها الأكثر صواباً فى العالم , انها ترى نفسها بصورة مبالغ فيها جدا وابعد ما تكون عن واقع شخصيتها وحقيقتها ...!!

جمالات .. قامت بتربية ابنائها الاربع ذكور على إنعدام الشخصية والتابعية العقلية والفكرية لها .. وحدها ..

فهى العقل المُفكر .. هى الشخصية القائدة .. هى .. هى .. فقط .. وهم مجرد اتباع .. الابناء ووالدهم ..!!

وخاصة "عماد" فهو الابن الاكبر وصاحب اضعف شخصية واكثر عقل يقع تحت تاثيرها .. وان صح التعبير فان عقله ليس تحت تأثيرها بل انه فى يدها وليس فى رأسه ...!!!

وايضا والد الاربع ذكور وزوج جمالات هو ايضا يقع تحت تاثيرها فهى رجل البيت والام والاب للابناء وهى .. كل شىء .. !!

ثم عادت جمالات واستطردت حديثها قائلة .. اسمع يا ابنى يا عماد ..

فنظر لها عماد بتركيز شديد وكأنه سيستمع الى الحكمة العظيمة التى ستُنير له كل الدروب ..

اذا نالت إعجابى تلك العروسة وقررت انا ان يتم الموضوع على خير فهناك اشياء عليك ان تسير عليها ولا تخالفها اطلاقا مثل الصراط المستقيم ..

فاقترب منها عماد بتركيز وفضول وقال .. وماهى يا أمى ؟؟

فقالت له .. خلال فترة الخُطبة والى ان يتم الزواج اياك ثم اياك ان تكلف نفسك اى تكاليف مادية فمثلا ..

عندما تذهب لزيارة العروسة لا تأخذ معك اى شىء .. جاتوة .. شيكولاتة .. مثل هذه الاشياء ..

وطوال فترة الخُطبة اكيد سيمر خلال تلك الفترة .. اعياد , مناسبات , مواسم ... اى مناسبة تمر عليك وانتم مازلتم فى فترة الخُطبة .. لا تشترى اى شىء تقدمة لها اى لاتكلف نفسك اطلاقا .. اطلاقا ..

حتى اذا كانت تلك العروسة وجهها مكشوف وطلبت هى بنفسها هدية بمناسبة ما ..

فقاطعها عماد بفضول ورغبة قويه فى معرفة ماسوف يفعل فى مثل هذ الموقف قائلا .. نعم .. نعم فى مثل هذا الموقف ماذا افعل بالضبط يا أمى ؟؟

فاستطردت حديثها ردا عليه وقالت .. تقول لها .. انا كل مالدى من نقود ادخرها من اجل الزواج واحاول جاهدا ان اضع كل قرش من دخلى المادى فى تجهيزات الزواج لان اتمام الزواج اهم من تلك الشكليات المادية التى تُهدر النقود فى اشياء ليس لها اهمية ..

فرد عليها عماد والإقتناع التام يُخيم عليه قائلا .. حسناً فليكن كما قلتى يا أمى ..

فاستطردت حديثها قائلة .. عموما هذا الحديث سابق لاوانه فانا لم اراها بعد وربما لاتنال إعجابى وفى هذه الحالة يكون الموضوع مُنتهى !

ولكن اهم شىء عندى ان تكون العروسة تجيد اعمال المنزل .. ثم توقفت وعادت الى حديثها بقوة وعنف قائلة .. ولكن الاهم ان تكون طوع امرى ولا تعصى لى امرا وهذا عندى فى المقام الاول ..

فرد عليها عماد بحماس وقوة قائلا .. بالطبع ستكون طوع امرك فانتِ ملكة فوق رؤسنا جميعا وكما تقوم زوجات اشقائى الثلاث بخدمتكِ ورعايتكِ وتنفيذ اوامركِ وكل واحدة منهم تقوم بتنظيف الشقة وتلبية طلباتك يوم فى الاسبوع هى ايضا ساجبرها ان تخصص لكِ يوم فى الاسبوع لتلبى طلباتك وتكون طوع امرك ...

فنظرت له جمالات نظره تجسد فيها هوس السيطرة والتسلط مغلفه بابتسامة فرحة وفخر وربتت على كتفه وقالت .. نَعم الابن ونَعم التربية يا ابنى الصالح يا عماد حقا هكذا يكون الابن الصالح .. طوع امر والدته !

فجأة فُتح باب الغرفة الخاصة بجمالات وزوجها وخرج منها زوجها " منعم " وهو يقول ..

يا حاجة جمالات هل هناك اخبار جديدة عن العروسة التى حدثتنا عنها سُهير ابنة اخى ؟

فقالت له .. نعم ..

تعال الى هنا بجوارى واجلس لأحكى لك ..

فاقترب منها وجلس بجوارها وقال ... احكى يا حاجة

فقالت .. ان سُهير تقول ..

ان والدة العروسة ..

فقاطعها " منعم " قائلا .. هى العروسة ما اسمها ؟؟

فنظرت له جمالات بعصبية وقالت بنبرة صوت خشنة وبدى فيها الانفعال .. الا تنتظر حتى اكمل حديثى ثم تسأل عما تريد معرفته هل تظل هكذا طوال حياتك لا تفهم ؟؟

ثم حاولت تهدئة اعصابها وقالت .. اسمها .. مفيدة .. المهم ..

قالت سُهير ان والدة مفيدة اتصلت بها لتحاول معرفة كل البيانات والمعلومات الخاصة بعماد وبنا لكى يسال والد مفيدة عنه وعنا وسُهير قالت لها كل شىء عن مكان العمل وعنوان المنزل وعن امكانياته المادية وعن كل شىء يخص عماد يجب عليهم ان يعرفوه .. وطبعا سُهير قامت بالواجب ومدحت فى عماد وقالت لها انه عريس لا يُعوض وانه مثال للأخلاق والتربية طبعا ..!

وبعد مرور اسبوع اتصلت والدة مفيدة العروسة بسُهير واخبرتها ان والد مفيدة سأل عن عماد وكل الناس مدحوه وبشدة وخاصة اخلاقه ودينه وتربيته !

ووالد مفيدة موافق على تحديد موعد لنا لزيارتهم فى المنزل والتعارف عليهم ..

فقال لها منعم : وماذا قررتى ان نفعل ؟؟

فقالت له : قررت ان اذهب انا وعماد فقط لأرى العروسة اذا نالت إعجابى سوف ناخذ الخطوات التقليدة لإتمام الخُطبة واذا لم تنال إعجابى .. انتهى الامر !

فقال لها منعم : حسنا .. على بركة الله ..

ثم نظر الى عماد وقال : هل اخذت الدرس من والدتك ؟؟

فرد عليه عماد بقوة : نعم يا حاج ..

فقال له منعم : هكذا ستسير الامور على مايرام وكل شىء قالته لك والدتك هو الصواب بعينه !

ثم نظرت جمالات الى منعم وقالت وكأنها تذكرت شىء هام .. اسمع يا حاج ..

فنظرلها منعم بترقب وقال .. قولى ماذا تريدى ؟

فقالت له : اذا العروسة نالت إعجابى وقررت ان ارسلك لتتفق مع والدها على التفاصيل فعليك ان تتفق معهم على ان يساعدوننا فى كل شىء فانا اعلم من

سُهير ان والدها ثرى وميسور الحال .. انت تشترط عليهم ان يكونوا مسؤلين عن جهاز العروسة والمتفق عليه فى تقاليدنا بالإضافة الى المشاركة فى كل ما يخص العريس فمثلا .. يقوموا بشراء غرفة النوم مثلا , وتكاليف حفلة الخُطبة , وشراء الاجهزة الكهربائية , او حتى المشاركة فيها .. فابنى عماد مازال فى بداية حياته ونحن ليس لدينا ما يجعلنا نساعدة فى شىء ومن باب اولى ان يساعدة والد العروسة والتى ستكون زوجته ..

فهمتنى جيدا يا منعم ؟؟!

فرد عليها منعم بحماس واقتناع وقوة وقال : نعم فهمتك جيدا ومعكِ حق فى كل شىء !!

-8-
سَرى للغاية

هل من الممكن ان اجلس معكِ قليلا ؟
اريد ان اتحدث معكِ ..

(هكذا قالت فوزية) ..زوجة سعيد عم صوفيا عندما دخلت على صوفيا وهى جالسه بمفردها فى غرفتها فى اضاءة خافتة وتجلس على المقعد الهزاز الخاص بها وتحتسى مشروبها المفضل .. النسكافية فى ذلك الوقت وكان بعد صلاة المغرب ..

انتبهت لها صوفيا وعلى الفور قامت وتركت المقعد الهزاز ووضعت كوب النسكافية على المكتب وجلست على حافة السرير وهى تُشير لزوجة عمها فوزية وتقول ..
تعالِ .. اتفضلى ..

ربتت صوفيا على المكان الفارغ بجوارها على حافة السرير وهى تقول لزوجة عمها .. اجلسى معى هنا
فتقدمت زوجة عمها فوزية وجلست بجوارها وهى تقول ..
لا اريد ان اعطلك عن شىء .. انا اعرف انكِ تحبين الجلوس بمفردك فى هذا الوقت بالذات .. ولكننى انتهزت فرصة خروج عمك سعيد من البيت .. ونوم مفيدة .. وخروج نرمين ومنار لشراء بعض المستلزمات الخاصة لأتحدث معكِ على انفراد ..

انتبهت لها صوفيا بكل تركيز وانتابها القلق وقالت .. قولى ما عندك انا معكِ وفى اى وقت لا تتردى ابدا .. خير ان شاء الله ؟

فاطرقت فوزية زوجة عمها وجهها فى الارض وقالت ..
والله يا صوفيا .. انا حزينة .. وعمك سعيد يشعر بضيق شديد جداااا .. ورغم حزنى وعدم إرتياحى الا اننى احاول تهدئته حتى تسير الامور على خير ...

ولماذا تشعرين بالحزن وعمى سعيد يشعر بالضيق ؟؟! (هكذا كان سؤال صوفيا لزوجة عمها فوزية) ..

فنظرت لها فوزية وقالت .. انتِ تعلمى يا صوفيا جيدا مقدار حبى لكِ ومكانتكِ فى قلبى فانتِ ابنتى مثل نرمين ومنار ومفيدة ..

فقاطعتها صوفيا قائلة .. اعلم والله وربى عالم

فقالت لها فوزية .. لذلك سأتحدث معكِ بصراحة واخرج لكِ ما فى قلبى فانا لا اريد التحدث مع اى بنت من بناتى فكل واحدة منهن لا تتحمل منى كلمة فى حق خطيبها حتى لو كانت صحيحة ورغم اننى لا اريد إلا سعادتهن ومصلحتهن ...!!
يا صوفيا انا لا اعلم لماذا بناتى يفعلن هكذا فى انفسهن ؟؟
ان كانت نرمين او مفيدة ..!!

ان خطوبة نرمين مر عليها حتى الان اكثر من اربعة اشهر وخلال تلك الاشهر كل اسبوع ياتى خطيبها مصطفى لزيارتها كما تعلمين ...
انا لا اعرف كيف لنرمين ان تُغمض عينيها عن كل عيوب وسلبيات مصطفى هذا ؟ ولماذا تغمض عينيها عن عيوبه وسلبياته ؟

انه بخيل جداااا ...
ياتى كل اسبوع وكما تعرفى اقدم له اشكال والوان من المأكولات والحلويات والمشروبات ..
ياتى من العاشرة صباحا ويظل طوال اليوم وحتى المغرب ..
ورغم ذلك لم يدخل علينا مرة وفى يده علبة جاتوة او شيكولاته او حتى كيس فارغ !!
طريقتة فى الحديث تشعرنى بالقرف !!
لايعرف شىء اسمه ذوق او احساس او خجل !!
كثير الحديث مثل النساء فطوال فترة زيارته يظل يحكى حكايات وما ان ينتهى من حكاية حتى يدخل فى الحكاية التى تليها !!
واذا تحدثت معه عن تجهيزات الزواج او عن قطع الاثاث يحدثنى عن الاسعار !!
حتى عندما ذهبنا معا للتجول فى معرض الموبيليا ومشاهدة قطع الاثاث ..
كل معرض ندخل فيه يسأله البائع .. الغرفة التى تريدها فى اى حدود ؟
فيجاوبه بكل سخافة وبرود قائلا .. فى اقل الحدود .. اريد ارخص شىء !!
انه ليس فقير ورغم ذلك لا يوافق ابدا على اى شىء غالى بل ينظر الى الرخيص دائما !!
وحتى عندما قرر عزومتنا على مشروب بعد مُده طويلة من السير على الاقدام بين معارض الموبيليا .. عزمنا على .. عصير قصب ..!!

حتى ملابسة لا تُعجبنى اطلاقا ..

هل من المعقول ان نرمين يكون هكذا يكون زوجها ؟؟!!
لماذا تقبل بهذا ؟ ولماذا تتنازل وتهبط الى هذا المستوى ؟
وعندما تحدثت معها وقلت لها هذا الكلام .. تلعثمت , انفعلت , وغمغمت الكلام وتركتنى وخرجت خارج الغرفة ..
وكأن هناك سر يكمن بداخلها لا تريد ان تبوح به ..!!
هل تعرفى يا صوفيا ماذا يكون هذا .. السر ؟؟

انا اتحدث معكِ يا صوفيا لاننى اثق فى عقلك جيدا .. اخبرينى يا ابنتى .. ما السر وراء تنازل نرمين وتغاضيها عما يحدث اما عينيها ؟؟

فصمتت صوفيا قليلا وكانها تفكر فى رد مُهذب لايجرح زوجة عمها الطيبة ثم قالت ..
ان نرمين لاترى باعيننا نحن .. !
انها ترى بعين اخرى خاصة بها .. !
ان الجواب على كل تساؤلاتك يكمن بداخلها ولن تستطيع ان تبوح به او حتى تشرحه لنا انه .. سرى للغاية !
ثم غمغمت الكلام وقالت ... اكثر من المكتوب لن ترى يا حبيبتى فلا تحملى نفسك فوق طاقتها ..
اعلم ان الأم عندما تشاهد ابنتها تغرق ولا تستطيع ان تنقذها وحتى البنت لا تريد انقاذ والدتها لها .. يكون احساس صعب جدااا على الأم .. ولكن .. دعيها تشاهد المكتوب على جبينها والتى هى من خطت حروفه الاولى بكامل إرادتها وبكل قواها العقلية ...!!

اخذت فوزية زوجة عمها نفس عميق حزين وكان زفيرها يكاد يحرق جدران الغرفة من شدة حرارته .. ثم استطردت حديثها قائلة ..

اما مفيدة فهى حكايتها حكاية ..
انها هى الاخرى اصيبت بالعمى ..
مر على خطوبتها هى وعماد اكثر من شهرين ..
ومن يوم ان جاء الى بيتنا هو واهله لم نرى منهم خير ابدا ...
منذ يوم التعارف والذى كان هو يوم زيارتهم الاولى لنا هو ووالدته ..
لو كان لديها ذرة كرامة لكانت رفضت العريس عماد رفض قاطع فقط من اجل والدته التى تشبه الجزارين

وكانت بداية القصيدة كُفر ...
ليلة الخُطبة .. جاء الينا بالجاتوة والمشروبات التى نقدمها للمدعوين كما اتفقت معنا والدته .. ولكن ياليتهم لم ياتوا بشىء !

انهم اشتروا ارخص اشياء ممكن ان تُباع فى اسوء المحلات ..
فكل من نقدم له قطعة جاتوة .. يقول لى ما هذا ان الجاتوة رائحته جاز !
واخر يقول لى .. الجاتوة به طعم حموضه !
اما علب العصير ... فكانت من نوع لم نعرفه من قبل ولم نسمع عنه اطلاقا !
الى هذا الحد وصل بهم البخل ؟؟

ومرت ليلة الخُطبه وانتهينا منها ...
الا انه اسوء من مصطفى خطيب نرمين ..
مصطفى لا ياتى باى شىء قلنا عنه بخيل !
اما عماد فهو يفعل الاسوء من البخل ..

فانتبهت لها صوفيا قائلة .. ماذا يفعل ؟
فانا وكما تعلمين عندما اعلم ان خطيب نرمين او خطيب مفيدة قادمون الينا اترك الشقة واصعد الى السطح واظل جالسة حتى تنتهى الزيارة ثم انزل مرة اخرى الى هنا وبصراحة انا الا احب ان اتدخل فى اى شىء او احاول معرفة اى شىء لان مفيدة بالذات تأخذ كل شىء منى بحساسية ..

فنظرت لها فوزية زوجة عمها نظرة حانية غلفتها المحبة والإعجاب وربتت على كتفها وقالت .. اعرف انكِ يا صوفيا ست العقلين .. ويااليت بناتى مثلك .. وانا والله احكى لكِ لأخرج من قلبى ما يقهره مع شخص اثق به ..

ان الشىء الاسوء من البخل والذى يفعله عماد خطيب مفيدة هو ...
الاستهبال مع السخافة واللامبالاة ..

ياتى فى زيارتة كل اسبوع ومعه .. هل تعرفى ماذا يحمل معه ؟؟
فقالت لها صوفيا .. ماذا ؟؟

فقالت لها فوزية متهكمة .. بنبون !!
فتعجبت صوفيا وقالت متسأله .. كيلو ؟؟ او علبة ؟؟

فجاوبتها فوزية متهكمة .. خمس قطع .. بربع جنيه !!
فصمتت صوفيا وتجسدت الدهشة على وجهها ونظرة عينيها !!

ثم استطردت فوزية حديثها وقالت .. ليس دائما .. بل احيانا يشترى لها شيكولاته ..
ثم قالت متهكمه اياكِ ان تعتقدى انها علبة شيكولاتة او قطعة من النوع المعروف الغالى .. لالا .. انها واحدة ثمنها .. ربع جنيه

هل تعرفى ما السر وراء شراء شىء بربع جنيه بالذات ؟؟!!
فضحكت صوفيا , وضحكت فوزية زوجة عمها
ثم تنهدت فوزية زوجة عمها وقالت .. على رأى المثل .. هَم يضحك وهَم يبكى !!

ثم اطرقت فوزية رأسها فى الارض واحمر وجهها خجلا وقالت .. ويااليت الموضوع بخل واستهبال فقط ..
انه بنى ادم غير محترم !

معقول ؟ لكنه يبدو عليه انه محترم جدا !! (هكذا قالت صوفيا متعجبه) ..

فردت عليها فوزية زوجة عمها قائلة .. كلا يا صوفيا .. لو كان محترم لما فعل ما رأيته بعيناى !!
فنظرت لها صوفيا وخجلت ان تسألها لانها شعرت انها لا تقوى ان تبوح ...!!
ثم استطردت فوزية حديثها قائله .. لماذا مفيدة هى الاخرى تتنازل وتغمض عينيها عن كل هذا القرف ؟
اننى قلت لها مرارا وتكرارا اتركيه قبل فوات الاوان ..
ولكنها تغمغم الكلام مرة تلو الاخرى .. حتى جاءت فى مرة وانفعلت بكل قوتها من حديثى معها وقالت ..
انا كنت انتظر العريس بفارغ الصبر وها انا تحقق ما تمنيته واصبح لدى رجل واقتربت من الزواج الذى طالما حلمت به وانتظرته ياتى وبعد ان حدث ما تمنيته اترك العريس .. انا اريد ان اتزوج .. انا لن اتركه واعود مرة اخرى الى الانتظار .. انا اريد ان اتزوج ..!!

بالله عليكِ يا صوفيا ..
ماذا افعل مع بناتى ؟

بالله عليكِ يا صوفيا ..
ما السر وراء تمسكها بشخص سخيف وبارد وبخيل وثقيل الدم مثل عماد ؟؟
فنظرت لها صوفيا وقالت ..
كما قلت لكِ عن نرمين ..
ساقول لكِ عن مفيدة ..
ان الاجابه تكمن بداخلها .. وان الأمر .. سرى للغاية !!

****

عادت صوفيا الى مكانها على المقعد الهزاز بعدما تركتها زوجة عمها فوزية وخرجت مسرعة بسبب استيقاظ مفيدة من النوم ..

فلو مفيدة شعرت انها تحكى لصوفيا اى شىء يخصها سوف يجن جنونها فهى تشعر بالدونية من ناحية صوفيا ..
استرخت صوفيا على مقعدها الهزاز من جديد واخذت نفس عميق جداا وهممهمت محدثه نفسها قائله ..
زوجة عمى فوزية الطيبة المسكينة تحتلها الحيرة بسبب نرمين ومفيدة ..

اننى ولخجلى منها وحرصى الشديد على مشاعرها قررت ألا اصارحها بشىء ...
ولكن الان سوف اصارح نفسى بينى وبين نفسى واقول الحقيقة بلا خجل او تردد ..
انكِ يا زوجة عمى تتسألين لماذا نرمين لا ترى خطيبها مصطفى كما ترينه انتِ بعينيكِ ؟
ان نرمين عندما تنظر الى مصطفى ..
تنظر الى عيناه فيأخذها سحر خضارها وتجذبها قوة الرغبة التى تملأعيناه وهو ينظر اليها والى جسدها ..
ان نرمين عندما تنظر الى مصطفى ...

تجذبها شفتاه التى يكاد اللعاب ينساب من بينها من شدة رغبته فى تقبيلها قُبلة عميقة ..
ان نرمين عندما تنظر الى مصطفى ترى رغبته الجنسية فيها فتشتعل رغبتها هى الاخرى فيه ..
ان السر الذى لا تقوى نرمين ان تبوح به والذى قلت لكِ انه سرى للغاية هو .. الرغبة الجنسية ..!
الم اقل لكِ يا زوجة عمى .. ان الأمر .. سرى للغاية !
ولكن الحق يقال .. ان نرمين ورغم سطحيتها الا انها لم تترك مصطفى يلمسها او يقبلها وعندما تجلس معه عند زيارته لها تجلس بعيدا عنه فنرمين ورغم سطحيتها الا انها تحافظ على تصرفاتها ولا تُقدم على شىء عيب او حرام اطلاقا ..

اما مفيدة فشهوانيتها غلبت سطحية نرمين ..
ان مفيدة وبمجرد انتهاء حفلة الخُطبة وانفرادها بعماد خطيبها تركته يفعل ما يحلو له ...
ان زوجة عمى تغمغم الكلام وتقول انه لو كان محترم لم يفعل ما فعله ولم تذكر ماذا فعل ..
ولكن اقولها لكِ يا زوجة عمى وبدون خجل ..
لو كانت مفيدة ليست شهوانية بدرجة مفرطة لما تركته يفعل ما فعل ..
ولكن المُصيبة بالنسبة لمفيدة ليست انها ضعيفة امام شهواتها ان مصيبتها الكبرى ان من رأتها وهى فى احضان عماد مرة وهو يقبلها مرة اخرى هى .. أنا و.. بالصدفة التى لم اكن انا اتوقعها اطلاقا !
الم اقل لكِ يا زوجة عمى ان الأمر .. سرى للغاية !
ثم انتبهت صوفيا الى نفسها وقالت .. الحمد لله انى لم اترك نفسى اضعف امام زوجة عمى واقول لها ما حدثت به نفسى الان .. ولكن الخوف الان على منار اخشى ان تُصيبها العدوى .. بفيرس الشهوانية .. وخاصة انها رومانسية خيالية !

-9-
سكر زيادة

مرت منار ابنة سعيد متولى من امام قهوة فريدة فى الثامنة صباحاً كعادتها كل يوم منذ ان التحقت بعمل فى احدى المصالح الحكومية ..

ومثل كل يوم كان حامد والذى يعمل جرسون فى قهوة فريدة ولكنه ليس جرسون بمعنى الكلمة لان فريدة صاحبة القهوة هى عمة حامد اى شقيقة والده والذى توفى منذ ان كان حامد طفل صغير ووالدتة " ثنية " والتى تطلق عليها فريدة اسم " ثنية الشرانيه " هى التى اكملت تربيتة هو وشقيقة الاكبر شريف ... شريف العريس الذى تزوج مها .. العريس الجميل الذى جعل مفيدة تسهر ليلتها على سطح المنزل تتحصر على حالها وتتغزل فيه .. العريس الجميل ...

حامد شاب وسيم يبلغ من العمر اثنين وعشرين عام وكان مع منار فى نفس الفصل فى المدرسة حتى نهاية المرحلة الابتدائية وبعد ذلك افترقا فهو التحق بمدرسة اعدادية للبنين وما ان وصل الى الصف الثالث الاعدادى حتى بدأ مرحلة الرسوب وظل يرسب كل عام حتى اخذ قرار حاسم بعدم الذهاب الى المدرسة مرة ثانية لصعوبة الصف الثالث الإعدادى صُعوبة شديدة جدا وقرر العمل فهو افضل من المدرسة فالعمل سيعود عليه بالنقود لكن المدرسة بماذا ستعود عليه وهذا كان المنطق الذى اعتمد عليه ..

اما منار رغم حصولها على مجموع صغير جدا حوالى خمسين بالمئة فى الاعدادية مما اضطرها الى الإلتحاق بدبلوم التجارة إلا انها اجتهدت حتى أكملت دراستها و حصلت على بكلريوس التجارة ..

حامد رغم انه فاشل فى الدراسة الا انه ناجح جدا فى استمالة قلوب الفتيات ... ولانه وسيم وصاحب صوت عذب رقيق جدا , وعيونه عسلية ساحرة وشفتاه رفيعه رقيقه , وجسده رفيع ولكنه جذاب .. انه شاب يلفت انتباه ومثير لإعجاب اى فتاة ..

إن هناك فتيات كثيرات يحبن حامد ولكنهن جميعهن من نفس مستواه المادى والتعليمى والاجتماعى ولذلك لم يتولد داخله اى رغبة تجاه اى واحدة منهن الا واحدة فقط هى التى اشتعلت نار رغبته فيها انها .. منار ابنة سعيد متولى ..!!

وعندما سأل حامد نفسه .. لماذا يا حامد منار بالذات رغم انها اقل جمالا من الكثيرات ؟؟
وبكل صارحة اجاب على نفسه قائلا ..

هكذا يكون الانسان او بمعنى اصح هكذا يكون الرجل.. يميل الى الصعب , يميل الى البعيد , يميل الى الافضل منه ليرضى غرورة ويرفع من مستوى ثقته بقدراته كرجل ويرتقى فى اعين الناس من خلال امتلاكه لانثى هى الافضل منه .. وفى كل شىء وهذا هو اكبر دليل على قدراته كرجل استطاع الوصول الى شىء بعيد وصعب المنال ..!!

وما ان مرت منار امام حامد واندفعت عيناه خلف منار تراقبها وشردت معها ..
فنادى عليه احد الزبائن .. حامد .. حامد ..
فانتبه له حامد وقال له .. نعم يا حاج .. ماذا تريد ؟ وعيناه خلف منار وليست مع الزبون !
فقال له الزبون .. قلت لك اريد قهوة سادة !
فرد عليه حامد وهو مازال ينظر على منار وقال .. سكر زيادة !
فاندهش الزبون وصاح فى وجه حامد قائلا .. قلت لك سادة !
فانتبه حامد له وقال .. اسف جدا .. سوف ارسل لك طلبك حالا ..
فنادى حامد على زميله وقال له احضر للحاج هنا قهوة سكر زيادة وترك القهوة واندفع بسرعه فى الطريق الذى اتجهت منه منار ...

توقفت منار فجأة ونظرت خلفها لترى من ينادى عليها ويقول .. أنسة منار .. انسة منار !
انه حامد ! غريبة لماذا جاء خلفى وينادى على ؟
(هكذا همهمت منار عندما التفت للخلف ورات حامد !)

اقترب منها حامد مسرعا وكأنه جاء خلفها يجرى وهو يقول .. أنسه منار هل يمكن لى ان اقول لكِ شىء ؟
بدا على منار الإنزعاج والتوتر وقالت .. خير ؟ ماذا تريد ؟

فقال لها اريد ان اتحدث معكِ واقول لكِ كلمتين فقط ..
فنظرت له بقلق ودهشة وانتابها فضول لمعرفة ماذا يريد وقالت .. اتفضل
فقال لها بصوت خافت .. لايمكن ان نتحدث هكذا فى الشارع اذا سمحتى نجلس فى اى كافيتريا قريبة من هنا ونتحدث على راحتنا .. لن اجعلكِ تتأخرين عن عملك !
فصمتت حائرة وكأنها تفكر فى الرفض ولكن الفضول يدفعها للموافقة وقالت .. لا مانع ولكن لن اجلس اكثر من دقيقة واحدة ..!

اتجه حامد ناحية كافيتريا قريبة من الشارع الذى كانت تسير فيه منار ومنار كانت تسير خلفه حتى لا يلحظ احد انها تسير معه وهى لم تعتاد على مثل هذه التصرفات اطلاقا ..

دخل حامد الكافيتريا وجلس وجلست امامه منار ..
وما ان جلست منار الا والتقت عيناها بنظرة عينيه الذى احتلها الاحساس المرهف المختلط باحمرار خفيف .. ظلت منار تنظر فى عيناه وكأنها تريد ان تعرف ما معنى تلك النظرة التى سيطرت على عيون حامد اهى نظرة إعجاب ؟ او يبدو انها نظرة حبيب لحبيته !
ولكن سرعان ما اطرقت بوجهها على الارض حتى لاتطيل النظر فى عيون حامد الجذابة والتى زاد جاذبيتها الاحساس الغريب الدافىء الذى سيطر عليها !
تعمد حامد ان يُطيل النظر فى عيون منار وكأنه يريد ان يؤثر عليها او يرسل اليها إشارات تعبر عن احساس يريد ان يصلها من خلال العيون ..
ثم قالت له منار وهى تنظر فى الارض .. ماذا تريد ان تقول لى ؟ هيا من فضلك حتى لا يفوتنى ميعاد العمل ..
فقال لها حامد وكان يتحدث همساً : منار ..
نحن جيران منذ ان زمن بعيد وكنا معا فى مدرسة واحدة وفى نفس الفصل .. منار انا كل يوم انتظر لحظة خروجك من المنزل حتى اراكِ وانتظر لحظة عودتك مرة اخرى حتى اراكِ مرة ثانية , اننى عندما اعود فى المساء الى المنزل لا انام او افكر فى الراحة او فى اى شىء واظل واقفا فى البلكونة على أمل ان تطُلى على واراكِ حتى لو للحظة واحدة قبل ان انام , ولا اشعر بالراحة الا بعدما اراكِ او حتى ألمحك من بعيد , منار انا كلما رايتك تسيرى فى الشارع اسير خلفك بعيونى حتى احرصك واحميكى .. حتى لو كان من بعيد ..
منار تحولت ملامح وجهها ونظرة عينيها وكأنها كاد ان يغشى عليها وكادت تفقد الوعى من الكلمات التى سمعتها وصوت حامد الحنون ورقة حديثة ..!!

وعندما راى حامد تاثير كلماته عليها زادت ثقته بنفسه وقرر ان يستمر فاستطرد حديثه قائلا ..
منار .. انا .. أحبك , منار .. انا .. اريد ان اتزوجك , فهل تقبلينى زوج لكِ ؟
وقبل ان تفتح فمها او تنطق باى حرف قاطعها قائلا .. لا اريد ان اعرف منكِ الاجابة على طلبى الان بل ساتركِ تفكرين وتأخذين القرار الذى يرضيكِ ولكن قبل ان اتركِ تذهبى الى عملك احب ان اذكركِ بشىء واحد فقط .. ان سعادتى وحياتى رهن اشارة منكِ , اما ان تقررى سعادتى او تقررى عذابى الى اخر العمر

****

وصلت منار الى العمل متاخرة ويبدو عليها شاردة وكأنها لا تشعر بمن حولها وكأنها فى عالم أخر , دخلت الى غرفة الموظفين الخاصة بقسم الحسابات وجلست على مكتبها ولم تُلقى السلام على اى شخص وحتى من نظر اليها او القى عليها السلام لم تنتبه له ...

انها جالسة وسط عدد كبير من الزملاء ولكنها تشعر انها فى عالم اخر وحدها لا تسمع صوت زملائها ولم تنزعج من الضوضاء الصادرة عنهم ان صوت حامد ورقة حديثه وعذوبته لا تزال فى اذنيها ان صوته ونبرته الحنونه اصبحت وكأنها غلاف اغلق اذنيها فلم تعد تسمع اى صوت اخر من حولها , انها تشعر انها فى الفضاء مع صوت حامد وكلماته فقط ..

وعدته ان تفكر وترد عليه بالقرار وذلك بعد ان تُخبر والدها ووالدتها ولكنها ولانها كانت واقعه تحت تاثير نعومة حديث حامد لم تفكر فى اى شىء واعتقدت وهما ان الموضوع مثير للسعادة والراحة كما اثار سعادتها واشعل نيران رومانسيتها وتوافق مع خيالها البعيد عن الواقع الفعلى ..

مر وقت العمل وهى لا تشعر بنفسها اطلاقا ..
وخرجت من العمل وهى لا تُدرك كيف وصلت الى البيت ؟!
صعدت السلم ووصلت الى باب الشقة وفتحت الباب ودخلت وجلست فى الصالة وهى لاتزال شاردة بعيد عن الواقع !!

خرجت والدتها فوزية من المطبخ فوجدتها جالسة شاردة وبدهشة قالت لها .. منار ؟ منذ متى وانت هنا ؟ ولماذا لم تُنادى على فور عودتك كعادتك دائما ؟

فردت عليها منار بهودء وبصوت خافت وقالت : لا ابدا يا ماما انا وصلت حالا
فشعرت والدتها فوزية بشىء غريب فى منار واقتربت منها وهى تقول .. ماذا بكِ يا منار ؟
فقالت لها منار بصوت خافت .. هل يوجد احد هنا ؟
فقالت لها بترقب .. لا , لكن مفيدة مازالت نائمة , هل حدث شىء ازعجكِ فى العمل ؟!
فابتسمت منار ابتسامة تجسدت فيها فرحة الفتاة الرومانسية الرقيقة وقالت .. لا ابدا حدث شىء حلو جدا

فاستبشرت فوزية والدتها خير وابتسمت ابتسامة تفائل وقالت .. قولى لى ما حدث الله يفرحك ويفرحنا يارب

فاحمر وجه منار من الفرحة وكأنها تذكرت كلمات حامد الحنونه وقالت .. ان هناك شاب وسيم وجميل يريد ان يتزوجنى والاهم انه يحبُنى ..

فرحت وبشدة والدتها فوزية وقالت .. يا الف نهار ابيض ومن يكون ؟ زميلك فى العمل ؟ انا كنت اشعر ان العمل سيكون وجهه حلو وسيرزقك الله بالعريس من خلاله ..

فقاطعتها منار قائله .. لالا يا ماما ليس زميلى فى العمل
فقالت لها والدتها فوزية بترقب وفضول .. فمن يكون اذن ؟
فقالت لها منار .. حامد
فصمتت فوزية قليلا وكأنها تفكر من يكون حامد ثم قالت .. حامد .. من ؟ من اين جاء لكِ حامد هذا ؟ عن طريق زميلة لكِ ؟؟
فقالت لها منار .. حامد .. حامد يا ماما شقيق شريف ابن شقيق فريدة صاحبة القهوة
فخبطت فوزية على صدرها وقالت بعصبية .. حامد ! حامد القهوجى ؟؟!!
فبدا الغضب على وجه منار وقالت بحنقة .. ليس قهوجى انها ليست قهوة انها كافيتريا
فنظرت لها فوزية نظرة غاضبة غلب عليها الخوف والقلق الشديد وقالت .. يا لها من مصيبة , اذا علم ابوكِ بهذا الحديث ستكون مصيبة كبيرة انه سيعكنن علينا عيشتنا ويجعلها سوداء ..!
فتحولت ملامح منار من الملامح التى يبدو عليها الراحة والإنسجام الى ملامح قلقه منزعجه وقالت .. لماذا ؟ انه شاب وسيم وجميل والأهم من ذلك انه يحبُنى !
فنظرت لها والدتها فوزية بدهشة وقالت .. يحبك ؟ اياكِ وان تقولى هذا امام ابوكِ واغلقى هذا الموضع نهائياً انا لا اريد مشاكل تنغص علينا عيشتنا فأبوكِ من يوم خُطبة نرمين وبعدها مفيدة وهو منكد عليا عيشتى ليل نهار بسبب اختيارتهم التى اصابته بخيبة الامل فيهن وستاتى انتِ بالقهوجى وتزيدى خيبة الامل فوق رأسه ؟
فتجسد الإمتعاض فى عين منار وتنهدت تنهيده غاضبة وشحب وجهها بعدما كان مشتعلا بالحيوية والفرحة وقالت .. انا طوال عمرى اتمنى ان اتزوج رجل يكون يحبُنى وانا احبه انا لا اريد الزواج التقليدى هذا ..

وقامت من مكانها واتجهت ناحية غرفتها فقالت لها والدتها فوزية .. الم تأكلى شىء ؟؟ الغداء جاهز !
فالتفتت لها منار بحنقة وردت عليها باقتضاب .. لا
ظلت فوزية جالسة مكانها وهى تضع يدها على خدها والحزن يخيم عليها فهى تخشى من سعيد زوجها فاذا علم بهذا الموضوع ستكون مصيبة وهمهمت قائلة .. حامد القهوجى يا منار ؟؟!!
وظلت شاردة حتى انتبهت لصوت باب الشقة وهو يُفتح ووجدتها صوفيا تدخل الى الشقة وتقترب بخطواتها منها وهى تقول .. ماذا بكِ يا حبيبتى ؟ لماذا انتِ جالسة هكذا ؟ هل حدث شىء اغضبكِ ؟

فقالت لها فوزية همسا .. هل تعرفى حامد القهوجى ؟ فأومات صوفيا بوجهها بمعنى .. نعم
فهمست فوزية فى اذنيها قائلة .. انه يريد ان يتزوج منار !
فوجئت صوفيا ولكن سالتها .. وهل منار موافقة ؟ فأومات لها فوزية بمعنى .. نعم وهى تلوى فمها ناحية اليسار .. فادرات صوفيا وجهها وهمهمت قائله .. لقد اصابها الفيرس !!

-10-
الخلطة السحرية

كل يوم اقف على باب القهوة فى ميعاد خروجها للعمل وبمجرد ان أراها انطلق خلفها بسرعة الصاروخ وانا حامل فى يدى علبة البسبوسة انظر فى عيناها بلهفة وشوق واقول .. هذه بسبوسة لتكون فطور لكِ .. فلتتناوليها وانتِ فى العمل .. فهذا الفم الذى يُشبه الكريز لا يأكل الا الحلويات فقط ..

كل فترة اشترى لها هدية من الأشياء التى تُحبها إنسانة رقيقة مثلها فمثلا فى مرة اشتريت لها .. عروسة تقول بابا وماما , ومرة اخرى اشتريت لها عروسة ترتدى فستان زفاف , وآخر هدية اشتريتها لها كانت عريس وعروسة معا فى أحضان بعضهم البعض والعروسة مرتيده فستان الزفاف الأبيض والعريس مُرتدى بدلة الزفاف السوداء وفى تلك المرة طلبت منها رقم التليفون لأتحدث معها ولم تقوى على الرفض او حتى التردد !

ومنذ ان أخذت منها رقم التليفون من حوالى شهرين تقريبا وانا كل ليلة قبل ان أنام اتحدث معها ساعة او اثنين او ثلاث ساعات حتى يغلبنى النوم واقول لها كلمات العشق والغرام التى تعشق الفتاة ان تسمعها فإننى كلما قلت لها كلمة ذابت منى وتاهت فى عالم العشق والغرام , فانا اهمس فى اذنيها بكلمات مثل الكلمات التى يقولها الفنانين للجميلات فى الافلام الرومانسية , انها باتت تذوب فى كلماتى عشقاً , واليوم الذى يمُر دون ان اتصل بها وتسمع كلماتى بصوتى الحنون الرقيق يكون يوم سىء للغاية بالنسبة لها وفى الصباح وهى ذاهبه الى العمل يبدو عليها الإرهاق والحزن وعذاب الحرمان ..

إننى اعلم جيدا أنها افضل منى فى كل شىء ..
فهى الحاصلة على الشهادة العالية , والوظيفة الراقية , والعائلة التى سُمعتها مثل الجنيه الذهب ..
ولاننى احبها واريدها هى بالذات واعلم جيدا ان والدها لن يوافق على عريس مثلى قررت ان استخدم معها

" الخلطة السحرية "

والخلطة السحرية التى تجعل اى فتاة مهما كانت تتعلق برجل وتتحدى الدنيا كلها من اجل الزواج منه وتجعلها لا ترى افضل واجمل منه وتجعلها ترى انه هو الزوج المناسب لها والذى هو الوحيد الذى ستحيا معه حياة جميلة مثل الافلام

الرومانسية هى .. إهتمام + هدايا + كلام حلو + دلع مثل الاطفال .. وتكون نتيجة هذه الخلطة هى .. التعود ثم الحب ثم العشق والغرام ثم الإرتباط القوى ثم التضحية بكل شىء مقابل البقاء مع الرجل الذى يُعطى كل ما سبق ..

هكذا قال حامد لوالدتة " ثنية الشرانيه " كما تطلق عليها العَمَة فريدة صاحبة القهوة ..
حينما صارحها بحبه ورغبته فى الزواج من منار ابنة الحاج سعيد متولى والمعروف فى المنطقة بانه رجل مُتميز ومُحترم وله مكانه خاصة فى قلوب الناس ومنزلة مرموقة فى نظر الجيران ..

وهكذا وَضح لها كيف مَهد الطريق الى الزواج من منار حينما قالت له .. وهل والدها سيوافق ؟ بالطبع انه سيرفض رفض قاطع !!
ظلت ثنية والدة حامد جالسه على الكنبة تضع احدى قدميها تحتها والقدم الاخرى على الارض وتضع يدها اليسرى حول خسرها ويدها اليمنى تضعها على خدها وهى تنظر له نظرة كلها حقد وغل والعصبية تُسيطر عليها ثم قالت ..

بسبوسة كل يوم وهدايا وعرائس لُعبة .. انك لم تشترى لى بسبوسة مرة واحدة فى حياتك .. اتكون منار افضل منى حتى يكون فطورها بسبوسة وانا فطورى فول وفلافل ؟؟

كم انفقت حتى الان فى الهدايا ولعب الاطفال والكلام الفارغ ؟؟
فنظر لها حامد والابتسامة الساخرة تحتل وجهه وقال متهكما .. يا ست الكل قلت لكِ انها مجرد حركات لأستميل قلب البنت وبعد ان انول غرضى وتُصبح فى بيتى سأتوقف عن تلك المصاريف التى تُنفق فى الكلام الفارغ كما قلتِ انتِ يا ست الكل ..

فرمقته بنظرة جانبية خبيثة غلفها الغباء والحقد وقالت .. ان كنت تنوى ان تكون كريم وسخى فأنا اولى من منار هذه ! , ثم استطردت حديثها وكأنها تذكرت شىء هام وقالت .. واذا وبعد كل تلك المصاريف والدها رفض وهى لم تقوى على الوقوف امامه ماذا سيكون الحل ؟

فابتسم حامد إبتسامة ساخرة وتحولت نظرة عيناه الى نظرة شيطانية وقال .. لن يستطيع ان يرفض وهى لن تضعف امامه وستتحداه حتى اخر نفس ..

فقالت له وبصوت خافت وكأنها جائت بفكرة من شيطان يجلس بجوارها .. ان رفض والدها فعليك بفعل الشىء الذى يجعله يوافق لا بل يجعله يتذلل لك من اجل ان توافق انت ..!!
فرمقها حامد بنظره حادة وخبيثة وقال .. ولما لا ؟ انها فكرة جيدة وربما انفذها حتى قبل ان اتقدم لخُطبتها بشكل رسمى ..
فردت عليه والدته قائلة .. حقا وبهذه الطريقة سنكون نحن الاقوياء وهو مُكسور العين ولن يستطيع ان يتعالى علينا ويتكبر وينطق بكلمة واحدة عن الفرق بينك وبينها ..

فرد عليها حامد متهكما وعلى وجهه باتسامه ساخرة خبيثة .. انا هكذا اكون فعلت ما اقوى على فعله وارهقت صحتى ايضا لا بئس فإن الحب تضحية !!

****

عاد حامد الى القهوة وبمجرد دخوله اصتطدم بنظرة حادة وعنيفة رمقته اياها فريدة وقالت له بعصبية .. اين كنت ؟ ولماذا تأخرت ؟
فرد عليها بقلق فهو يحترمها ويخاف منها قائلا .. انا كنت فى فترة راحة لاننى شعرت بالإرهاق
فقالت له .. تعالى الى هنا واجلس بجوارى اريدك فى موضوع هام ..
شعر حامد بالقلق وساورته شكوك حول رغبة العمة فريدة فى الحديث معه وهمهم قائلا يا ترى ماذا تريد ولكنه قرر ان يقطع الشك باليقين ويقترب ويجلس بجوارها وهو يقول لها .. نعم يا عمتى انا تحت امرك .. خير ؟
فالتفتت له فريدة ليكون وجهها فى وجهه وتفرست عيناه جيدا وقالت .. قول لى ماذا تريد من منار ؟!!
فبدا على حامد القلق والتوتر وتلعثمت الكلمات فى فمه وقال .. منار ؟ منار ! لماذا تسألين ؟
فردت عليه فريدة بقوة وحنق وقالت .. لا تسأل لماذا أسال بل اجب على سؤالى فقط !
فصمت حامد قليلا وكأنه يُفكر إن كان يقول الحقيقة او ينكر علاقتة بها ثم قرر الجواب وقال .. بصراحة يا عمتى انا احبها ومُعجب بها واريد ان اتزوجها !
فاحتلت الدهشة وجه فريدة ونظرة عيناها غلفتها الصدمة وقالت .. تتزوجها ؟؟!!
اتريد ان تتزوج منار ابنة الاستاذ سعيد متولى الرجل الطيب الصالح ؟؟ هل جُننت يا حامد ؟!!
فرد عليها حامد وقد بدا عليه الخجل واشتعل وجهه احمرارا من شدة احساسه بالنقص وقال .. ولما لا وهل انا لست رجل ؟ انا رجل واى فتاة تتمنانى ..

فقاطعته فريدة قائلة .. لم اقل انك لست رجل ولكنى اقصد الفرق بينكِ وبينها وانت تعى ما اقصده جيدا , وحتى لو تجاهلنا الفرق بينك وبينها فى كل شىء لكن لا نستطيع ان نتجاهل الفرق بين اسرتها الطيبة المُحترمة وبين أمك ثنية الشرانية !
هل تحبها يا حامد ؟ هل تحب منار ؟
فرد عليها وهو ينظر فى الارض وقال .. نعم
فقالت له فريدة .. الذى يحب انسانة يحب لها السعادة وهل ستكون منار سعيدة عندما تكون مع سيدة مثل امك فى بيت واحد ؟؟
الم تفكر كيف تضع منار الراقية ابنة الاصول مع سيدة مثل امك فى بيت واحد ؟ وكيف سيكون حالها معها ؟ يبدو انك لا تعرف معنى الحب يا حامد !
فبدا على ملامح حامد العصبية والشعور بالضيق وتجسد الإمتعاض بعينيه ورد عليها بحنقة قائلا .. أمى ليست عفريت حتى اخشى على منار منها كل الموضوع انكِ تكرهينها ولذلك ترينها هكذا فى عينيكِ
فنظرت له فريدة نظرة ساخرة وكانها تريد ان تقول له .. هل تصدق ما تقول وهل مقتنع به ؟؟!

ثم خرجت عن صمتها وقالت ..اولا انا لا اكره احد بدون اسباب وان كنت احب احد او اخاف على مصلحة احد او اتمنى السعادة لاحد فسيكون هذا الشخص هو .. ابن اخى والذى هو قطعة من روحى اى هذا الشخص هو انت يا حامد , ولكننى انظر للموضوع بعين الحق !
منار افضل منك فى كل شىء وستشعر بالنقص من ناحيتها وهذا سيؤرق حياتكم معا ..
منار فتاة تربت فى بيت رجل صالح وأم طيبة تعيش فى بيت ابيها فى رفاهية ورقى ..
فكيف لمنار ان تعيش مع والدتك والتى تعرفها جيدا ؟ انت هكذا تُحطم مستقبل الفتاة واذا تحطمت الزوجة لا تتحطم وحدها بل يتحطم الرجل معها , فلما يا ولدى الخطأ من البداية ؟ فلتبنى بيتك على اساس سليم وتوافق بينك وبين شريكة حياتك افضل من ان تبنيه على اساس رغبة فى شىء صعب وغالى وعالى مثل منار !
فرمقها حامد بنظرة حاقدة واطرق رأسه فى الارض ..
فقالت له فريدة .. لا تنظر لى هكذا فانا اعلم كل شىء وأُلاحظ تصرفاتك منذ فترة وايضا اعلم ما يدور برأسك انت وأمك فانا اعرفها جيدا واعرف كم هى صاحبة تأثير قوى على عقلك وكل حياتك ..
يا ولدى اترك ابنة الناس فى حالها فهى وأمها ليست مثل أمك وان كنت تحبها حقا فحب لها السعادة وليس الجحيم !
فرفع حامد رأسه ونظر لها وقال .. افهم من ذلك انكِ لن تساعدينى فى هذا الموضوع وتحاولى اقناع الحاج سعيد بالموافقة على طلبى , انه يحترمك ويقدرك ويثق برايك وكثيرا ياتى الى هنا ويجلس معكِ .. لن تساعدينى يا عمتى العزيزة يا حبيبتى الغالية ؟؟
فنظرت له فريدة بعد ان امالت راسها الى اليسار ونظرت له نظرة يبدو فيها الإستخفاف بغرورة وقالت .. لا .. لا والف لا يا ابن اخى العزيز الحبيب .. لن اشارك فى هذه الجريمة .

-11-
كعوب قدميها

أهم شىء تكون طيبة وهادئة لتصبح مثل العجينة الطرية فى يدى أنا , فأنا اريد الفتاة التى ستصبح زوجة ابنى الوحيد تكون تحت سيطرتى مثلما هو تحت سيطرتى فانا لا اريد فتاة تجذبة لها ويقع تحت تأثيرها وتبعده عنا او تاكل عقلة وتجعلها يحبها ويرتبط بها إرتباط قوى فانا اريد ان ازوجه لان هكذا تكون سنه الحياة وحتى يُصبح لديه انثى تُشبع إحتياجاته كرجل فقط ..

وأهم شىء ايضا ان تقبل ان تعيش معنا هنا فى عيشة واحدة فانا اريد ابنى ياكل معى فى نفس الطبق ويكون امام عينى طوال الوقت طبعا سيذهبون الى شقتهم عند النوم !

ولكن ساتحمل هذا مقابل ان يكون ابنى سعيد رغم اننى لن اطيق ان يكون ملك إمرأة اخرى سواى لكن لابد له ان يتزوج , ثم تنهدت تنهيدة قوية وقالت .. انا الاصل .. انا الاصل .. وساظل الاصل وساظل صاحبة المكان الاقوى فى قلبة والمالكة الوحيدة لكيانة ولكن من ستكون زوجتة هى فقط لخدمتى وإشباع احتياجاته فقط !

هكذا قالت نوال زوجة فاروق صاحب معرض السيارات الذى يُطلق عليه معرض سيارات الحرية واعلى المعرض يوجد بيت مكون من طابق واحد وهو البيت الذى يسكن فيه صاحب المعرض وعائلتة ..

وقالت تلك الكلمات المشوهه بالغيرة المريضة وهوس السيطرة وشخصية المرأة كبيرة السن المتصابية عندما اخبرتها ابنتها الوحيدة فريال بانها تعرفت فى صالة الالعاب الرياضية التى تذهب اليها كل يوم لمُمارسة الرياضة حتى تتمكن من التخلص من وزنها الزائد على فتاة اعجبت بها جدا لانها رقيقة وجميلة وصاحبة قوام ممشوق وشعر ناعم كالحرير وصدر ممتلىء جذاب حتى كعوب قدميها ناعمة ولامعة وهى اكثر شىء لفت نظرها الى تلك الفتاة واريد ان نتعرف عليها ونخطبها لاخى الوحيد وليد ..

ثم استطردت فريال حديثها قائلة .. ان تلك الفتاة عندما وقعت عينى عليها شعرت اننى اعرفها جيدا وعندما اقتربت منها محاولة التأكد من ان كانت هى التى رأيتها من قبل ام لا ولكننى تاكدت اننى لا اعرفها من قبل ولكن روحها الجميلة جعلتنى اشعر بهذا الاحساس ولكنها انسانة ذوق جدا واسلوبها لذيذ فى التعامل مع الاخرين ..

فنظرت لها والدتها نوال نظرة جانبية كلها غباء وكانت جالسة على الارض تثنى احدى قدميها تحتها والقدم الثانية تمدها عل الارض وتضع يدها اليسرى على خسرها ويدها اليمنى على جانب وجهها الايمن وجهها ذات اللون الاحمر والملامح القبيحة والعين المُنتفخة وقالت بصوت خافت بعدما دثت خصلة شعرها الاسود المصبوغ الاشعث خلف اذنها ومن تكون تلك الفتاة ؟؟

فردت عليها فريال قائلة .. انها صوفيا , طالبة بكلية الاداب قسم علم الإجتماع وعندما تحدثت معها كثيرا وجدتها انسانة مثقفة وراقية جداا وتستحق ان تكون فردا من عائلتنا التى لا يوجد مثلها اطلاقا !!
ومن تكون صوفيا هذه ؟ ابنة من ؟ (هكذا سألت نوال ابنتها فريال)
انها تعيش مع عمها واسرتة ولكن يبدو انهم عائلة محترمة .. (هكذا كان جواب فريال على والدتها نوال)
ثم صمتت قليلا والدتها نوال وكانها تفكر ثم قالت .. يجب ان اتعرف عليها بنفسى واعرف عنهم كل شىء فلنتصل بهم فى المنزل ونحدد موعد لزيارتهم ولكن علينا ان نُخبر والدك فى البداية ونرى ماذا سيقول ونفعل كيمفا يقول لنا !
ولن تُخبرى وليد عن صوفيا ؟ لن تقولى اننا نفكر فى رؤية عروسة من اجله ؟
(هكذا قالت فريال لوادتها نوال) ...

بالطبع .. لا يا فريال ! عندما اتفق مع والدك على ماسوف نقوم بفعله فى النهاية سوف اخبر وليد , فوليد كما تعلمين ليس له رأى مخالف لرأيى انا ووالدك فالشىء الذى نتفق عليه هو يقوم بفعله بدون نقاش وعلى هذا فلقد تعود منذ ان كان طفل صغير ..(هكذا كان جواب نوال والدة فريال على سؤالها) !

فردت عليها فريال قائلة .. فعلا يا ماما انا اعلم جيدا انه لا يفعل شىء سوى ما تقررينه انتِ وبابا ولا يقتنع بشىء سوى رايكِ انتِ وبابا , ثم استطردت حديثها بفخر وثقة وقالت .. وانا ايضا لا تنسى ان لى تاثير قوى جدا عليه فهو ياتى ويسألنى عن كل همسه تقابله وانا اقول له .. هكذا يكون صح او هكذا يكون خطأ ! .. لا تنسى يا ماما اننى انا ايضا العقل المُفكر له فى كثير من الاحيان ان لم يكن دائما فابنك وليد صاحب عقل ابيض يحتاج لمن يُفكر له فى كل شىء !

فنظرت لها والدتها نوال وقالت .. الله لا يحرمكم من بعض ابدا هكذا يكون الإرتباط القوى بين الاخ وشقيقتة هكذا يكون الحب هكذا تكون العائلة المُتماسكة القوية ...

ثم استطردت حديثها قائلة .. ولذلك اتمنى ان تكون زوجة اخيكِ وليد مثلنا او حتى لو لم تكن مثلنا سنقوم نحن بتشكيلها كما يحلو لنا ولنجعل منها نسخة طبق الاصل منا واهم شىء ان تكون مُطيعة وطيبة مثل اخيكِ وليد الذى لا يُعصى لنا امراً ..

اطمئنى يا ماما انها يبدو عليها الهدوء والطيبة وان شاء الله ستكون مثل العجينة الطرية فى ايدينا جميعا وستكون مثل وليد بالضبط وحتى لو لم تكن مثله سنجعله يُجبرها ان لا تفعل شىء الا ما يُرضينا وطالما ان عقل وليد اخى فى ايدينا فلا خوف ولا قلق من فتاة غريبة علينا لانها لن تستطيع ان تتمرد او تتعدى حدودها لانها بمفردها ونحن عُصبة .. (هكذا كان رد فريال على والدتها نوال) !

صوت كالون الباب يُفتح !!

انتبهت نوال وقالت مسرعة لابنتها فريال اصمتى ولا تتحدثى عن اى شىء امام اخيك وليد حتى اتحدث على انفراد مع والدك ونقرر ماذا سوف نفعل ..
فردت عليها فريال همسا .. اتفقنا !

تقدم حسن زوج نوال ووالد فريال ووليد وقال .. السلام عليكم
فردت عليه نوال زوجتة بدلع .. وعليكم السلام يا حبيبى !
وردت فريال .. وعليكم السلام يا بابا !
فربتت نوال على المكان الفارغ بجوارها على الارض وقالت وهى تشير له .. تعالى يا حبيبى اجلس هنا بجوارى !
فابتسم حسن وجلس بجوارها وحسن متوسط الطول ومتوسط القوام ولكنه صاحب شخصية لئيمة ويتمتع بقدرعالِ جدا من الخبث وابيض البشرة ولكن الشيب احتل رأسه فلا يوجد فيها شعره واحدة ذات لون غير اللون الابيض ! , صاحب شخصية مرحه جدا فى التعامل مع الاخرين الا ان حقيقة شخصيتة تعتبر مثال حى لهوس السيطرة والتسلط والميل الى العظمة والانفراد وكأنه كان يتمنى ان يكون

إمبراطور يحكم العالم وربما يكون سنوات الفقر والحرمان التى عاشها منذ ولادته ولمدة سنوات طويلة والذى كان سبب فى استهزاء الاخرين واحساسه بالدونية هما السبب وراء هوس السيطرة والتسلط الذى يعانى منه وعندما اكرمه الله بالاموال واصبح يحيا حياة كريمة قرر ان يُعوض سنوات التى عاشها وهو لاشىء فى نظر الاخرين ويتحول الى إمبراطور يُطاع طاعة عمياء ! وهو يميل الى ارتداء الجلباب ويمسك فى يده سبحه بشكل دائم ..!

وبعدما جلس بجوارها قالت له .. اين وليد لماذا لما ياتى معك الان ؟؟
فقال لها .. ارسلته لقضاء بعض المصالح قبل ان ياتى الى هنا رغم انه كان جائع ويريد ان ياتى ليأكل
فقالت له نوال وماذا قال لك عندما قررت ان ترسله لقضاء بعض المصالح وهو جائع ؟
فنظر لها بإستغراب وغلفت عيناه الضيقة الدهشة وقال .. وماذا يمكن ان يقول ؟ قال لى .. حاضر يا بابا !

فقالت له دعنا منه الان انا اعرف جيدا انه ابن مطيع ولا يعصى لك امرا حتى لو قلت له اذبح نفسك لذبحها ..! دعنى اقول لك شىء هام لتقول لى ماذا افعل ..
فنظر لها باهتمام وقال .. قولى ماتريدين وانا معكِ ...

****

وضعت فوزية زوجة سعيد متولى سماعة التليفون بعد نهاية مكاملة تليفونية وتجسدت الفرحة على ملامح وجهها واخذت تُنادى على صوفيا باعلى صوتها .. صوفيا .. صوفيا .. تعالِ يا حبيبتى ..
خرجت صوفيا مسرعة من غرفتها وهى تقول .. نعم .. نعم
فقالت لها فوزية زوجة عمها تعالِ اقتربى يا حبيبتى عندى لكِ خبر حلو مثلك ..
اقتربت صوفيا وهى تشعر بالقلق وجلست بجوار فوزية زوجة عمها وهى تقول .. خير !
فقالت لها فوزية زوجة عمها .. اتصلت بى الان سيدة تقول انها والدة فتاة اسمها فريال وهى قد تعرفت عليكِ فى صالة الالعاب الرياضية ..
فقاطعتها صوفيا قائلة .. ااه فعلا انا تعرفت على فتاة اسمها فريال و طلبت منى رقم تليفونى واعطيته لها وماذا تريد والدتها ؟ لماذا اتصلت بنا الان ؟
فقالت لها فوزية انتظرى واعطينى فرصة لاحكى لكِ على المكالمة بالتفصيل ..
فصمتت صوفيا وهى فى حالة من القق والتركيز معا ..
فاستطردت فوزية حديثها قائلة .. ان والدة فريال تقول ان ابنتها فريال اعجبت بكِ جدا وهى لديها ابن وحيد اسمه وليد حاصل على بكلريوس تجارة ويعمل مع والده فى معرض السيارات الذى يمتلكة واعلى معرض السيارات بيتهم الذى يسكنون فيه وهو ملكهم ايضا وهو طابق واحد ولكن الطابق يضم شقتين احدهما فارغه وهى مكتوبه على اسم وليد لتكن شقة الزوجية فيما بعد , وتقول ان وليد طيب وحنون وهادىء ومثال للاخلاق والدين وكل شىء جميل تتمناه اى انسانة فى الدنيا كلها , وسالتنى عن كل المعلومات التى تخصك وقلت لها كل شىء عنا وعن

اسرتك بالتفصيل وطلبت منى ان احدد لها موعد لزيارتنا والتعارف علينا بهدف خطبتكِ لابنها وليد ..

انهت فوزية حديثها وصوفيا صامتة تماما ولم يصدر عنها اى رد فعل !
فقالت لها فوزية .. صوفيا ماذا عن رايك فيما قلته لكِ ؟ انا باقى لى العام القادم فى الجامعة بالاضافة الى ان هذا العام لم ينتهى بعد ولا افكر فى الارتباط الان ..
(هكذا كان جواب صوفيا على سؤال زوجة عمها)
فاستطرت فوزية حديثها متجاهله رد صوفيا قائلة ..والله اشعر ان هذه السيدة أم فريال سيدة طيبة جدااا وستكون لكِ مثل والدتكِ بالضبط , اننى كلما قلت لها شىء لاتعترض ابدا وانما تقول الشىء الذى يسعد ابنى وزوجتة انا موافقة عليه ولذلك شعرت انها طيبة وليست مثل الحموات العقارب !
فنظرت صوفيا الى فوزية زوجة عمها وقالت .. والله يا زوجة عمى انتِ الطيبة ولانكِ انسانة طيبة وليس لكِ علاقات كثيرة ولا تعرفى فى حياتك سوى بيتك وزوجك واسرتك تعتقدين ان كل الناس طيبين مثلك !
اه والله يا صوفيا معكِ حق انا اعتقد ان الناس جميهم طيبين ! (هكذا كان رد فوزية زوجة عمها عليها)
ثم استطردت صوفيا حديثها وقالت .. اتعلمين يا زوجة عمى الطيبة ان تلك الفتاة التى اسمها فريال والتى اتصلت بكِ والدتها الان فتاة حلوة الملامح فهى بيضاء البشرة , رقيقة الملامح , عيناها سوداء وروموشها طويلة وسفتاها رفيعتين وجميلة الا اننى رأيتها فى عينى مثل ..
هل تعرفين يا زوجة عمى مثل ماذا رأيتها فى عينى ؟
فردت عليها فوزية وكلها فضول وقالت .. مثل ماذا يا صوفيا ؟
فقالت صوفيا .. مثل .. البومة !!
حقا لم اعرف لماذا رأيتها فى عينى هكذا ولكن اقسم بالله انى هكذا رأيتها فرغم حسن ملامحها الا اننى لم ارى فيها اى حسن او اى شىء من الجمال لم ارى فى ملامحها ونظرة عيناها الا كل القبح وكل الغباء والغرور حقا ان عيناها وهى تنظر لى رايتها فى عينى عيون بومة !
انها يا زوجة عمى كانت تنظر لجسدى نظرة فاحصة وكأنها تنوى شرائى ولذلك قررت ان تفحصنى جيدا اننى لم اشعر بالارتياح لها اطلاقا ولم اشعر ناحيتها باى شىء من القبول كما قلت لكِ انها تحمل ملامح البومة والتى تعكس حقيقة شخصيتها وليست حقيقة ملامحها !
ولذلك لا تعتقدى ان السيدة التى تحدثتى معها الان سيدة طيبة لا, الله واعلم ربما يكون تمثيل او ادعاء والحقيقة لن تظهر الا بعد فوات الاوان ...
ظلت فوزية تستمع الى صوفيا بتركيز شديد ولانها تثق فى رأيها ورؤيتها للامور جيدا ولكن لانها تتمنى ان تزوجها وتفرح بها مثل بناتها بالضبط قالت متوسمة خيرا .. حبيبتى يا صوفيا انا اثق جدا فى رؤيتكِ للامور بدليل اننى ارجع اليكِ دائما فى كل شىء خاص ببنات عمك ومشاكلهم لكن ربما يكون رأيك فى هؤلاء الناس غير صحيح فلتعطيهم وتعطى نفسك فرصة للتعارف عليهم ربما يكون رأيك ليس فى محله ربما يكونوا شخصيات طيبة ويكون هذا العريس به خيرا كثيرا لكِ الله واعلم يا ابنتى اين يكون الخير ؟

انا اريد ان افرح بيكِ قبل ان اموت يا صوفيا فانتِ مثل بناتى بالضبط وكما اتمنى ان ازيح عن عاتقى مسؤليتهن اتمنى ان ازيح عن عاتقى مسؤليتكِ انتِ الاخرى فانتِ ابنتى مثلهن بالضبط , من اجل خاطرى وخاطر عمك الذى يحبك اعطى لنفسك فرصة ان تتعرفى عليهم وتتعرفى على ابنهم وليد واذا نال اعجابك ووجدتى انه الزوج المناسب فالحمد لله وان لم تجديه مناسب لكِ فكلا منكم يذهب الى حال سبيله , ماذا قلتى يا حبيبتى ؟؟
والله يا زوجة عمى يا حبيبتى انا اعرف جيدا مقدار حبك وحب عمى لى ولكن كنت اتمنى ان ارتبط بطريقة غير الطريقة التقليدية هذه , كنت اتمنى ان الانسان الذى يفكر فى الارتباط بى هو من تعرف على فى البداية وليست شقيقتة او والدتة يكون قرار التعارف والارتباط قرار نابع من اعجابه هو بى وليس اعجاب شخص قريب منه يثق فيه , كنت اود ان يكون التعارف تعارف عميق ولفترة كافية للتعارف الحقيقى وبعدها ونظرا لاعجابه بعقلى وشخصيتى وكيانى يجد اننى الزوجة المناسبة ان اكون شريكة لحياتة وأم لاولادة , كنت اود ان يكون انسان مستقل فى كل شىء لكن هذا الذى يُدعى وليد يعمل مع والده وسوف يعيش فى بيت والده معنى ذلك ان والده سيكون الآمر الناهى الحاكم المالك لكل شىء و الشاب الذى يقع تحت رحمة والده لا يستطيع ان يستقل بحياتة اطلاقا فاذا والده غضب عليه سيطرده من العمل ومن البيت ويصبح ضائع فكيف له ان يستقل وكيف له ان يفعل ما يحلو له او ما يروق لكيانه اذا كان فى امكانه ان يكون صاحب كيان من الاساس !
انا لست مقتنعة اطلاقا بالتعارف بهذه الطريقة انها طريقة فاشلة بكل المقاييس يكفى انه تعارف سطحى وكأنه مشهد تمثيلى مثل مشاهد الافلام او المسلسلات , ولكن ليس عندى مانع ان اضغط على نفسى وافعل شىء انا غير مقتنعه به من اجل إسعادك انت وعمى ولكن اريد وعد لا يحتمل الخيانة وهو ..
فقالت فوزية مقاطعة لها وماهو هذا الوعد ؟

اذا اكتشفت انه لا يصلح لى , اذا اكتشفت انه يدعى شخصية ليس لها علاقة بحقيقتة , اذا اكتشفت ان هناك كذب فى اى شىء جعلنى اوافق على الارتباط به , اذا قررت انه لا يوجد بينى وبينه اى توافق وخاصة فى فلسفة كلا منا فى حياتة .. سأنهى العلاقة فورا ولن استمر معه ابدا ولن اضحى بحياتى ومستقبلى مقابل ان اصبح سيدة متزوجة وانتم تقفوا بجوارى ولا تعارضون قرارى النهائى مهما كان .. (هكذا قالت صوفيا لزوجة عمها فوزية)
فنظرت لها فوزية وقالت .. اوعدكِ يا صوفيا ان القرار الذى سوف تأخذينه هو القرار الصائب لن نجادلك ولن نعارضك ولن نفرض عليكِ شىء رغما عن إرادتكِ ثم ابتسمت وقالت .. انتظر حتى ياتى عمك واحكى له ثم احدد موعد مع أم فريال ووليد كما طلبت منى ؟؟
فنظرت لها صوفيا وهزت رأسها لاعلى ولاسفل بمعنى موافقة ولكن الحزن والقلق سيطر على نظرة عيونها الجذابة !!
قامت فوزية من مكانها واتجهت ناحية المطبخ لتستكمل اعمالها وقالت لصوفيا وهى متجهه ناحية المطبخ .. اتركيها على الله يا صوفيا ونصيب الله هو الغالب على كل شىء وربنا يكتب لكِ الخير ..

نظرت صوفيا امامها وبدأت تسترجع ملامح فريال من ذاكرتها وتنظر لها بدقة اكثر وتحاول تفرس نظرات عيناها اكثر وظلت تفكر وتفكر حتى شعرت بثقل شديد فى رأسها وغلبها النوم وهى جالسة فى مكانها ..
فوجدت صوفيا نفسها تتقدم بخطواتها تجاه حفرة كبيرة جداااا فى مكان مظلم لا تعرفه ولم تذهب اليه من قبل ثم نظرت خلفها فوجدت فريال وقد تحولت ملامحها الى ملامح قبيحة جداااا ومخيفة ثم جائت وراء فريال سيدة عجوز ملامحها مُخيفة اكثر ثم ظهر فجأة رجل كبير فى السن قصير ويحمل وجهه ملامح الشيطان ووقفوا الثلاثة خلفها وملامحهم المُخيفة جعلتها تكاد تموت خوفا , نظرت صوفيا الى الحفرة فوجدت شاب يبدو عليه ابله مجنون ينظر لها من الحفرة فاستدارت خلفها وسالتهم من يكون هذا الذى ينظر لى هكذا ؟ من هذا الابله ؟ من هذا المخلوق الغريب ؟ فضحكوا جميعا ضحكة عالية وقوية ثم اجتمعوا الثلاثة واقتربوا منها ودفعوها بكل قوتهم فسقطت فى الحفرة ...
صوفيا .. صوفيا .. ما الذى جعلكِ تنامى هنا ؟ لماذا لم تنامى فى غرفتك ؟؟
(هكذا قال سعيد متولى عم صوفيا)
فاستيقظت صوفيا مفزوعة على صوت عمها وهو يحاول ايقاظها من غفلتها وهى تقول .. اااه , ماذا ؟
فقال لها عمها .. حبيبتى ماذا بكِ اكنتِ تحلمين ؟؟ انه كابوس ! (هكذا كان جواب صوفيا على سؤال عمها) ثم قالت وهى تكاد تكون غير منتبهه جيدا .. بعد اذنك يا عمى سوف ادخل غرفتى اننى فى حاجة الى الصلاة .

-12-
الشبكة جاهزة

ان زيارتى لكم اليوم لم تكن بنية مشاهدة العروس فأنا اعلم جيدا انها ست الحسن والجمال , ولم تكن بنية التعارف عليكم فنحن جيران منذ زمن واعرفكم جيدا واعلم حق المعرفة انكم اسرة طيبة ونسب مُشرف ولكنى جئت الى هنا لاقدم لكم الشبكة , شبكة العروسة ولكن اعذرونى فهى ينقصها الدبلة فالعروس خطيبتة السابقة قررت الاحتفاظ بالدبلة ونحن تركناها لها واخذنا باقى الشبكة وها هى علبة الشبكة امامكم واخرجتها من حقيبتها ووضعتها على المنضدة ..!

هكذا قالت ثنية والدة حامد حينما جائت الى منزل سعيد متولى بصحبة ابنها حامد والذى كان جالسا على المقعد الذى بجوارها فى الصالون وبحضور سعيد متولى وزوجتة فوزية وابنتهم منار التى ذابت عشقا فى حامد ! , بعدما حدد لهما سعيد متولى والد منار موعد لزيارتهم هى وابنها حامد بعد رفض قاطع منه ومناقشات حادة وقد وافق على تحديد موعد للزيارة والقبول المبدئى لتلك الخُطبة بعدما اخبرته زوجتة فوزية ان منار امتنعت عن الطعام والشراب لحزنها الشديد بسبب رفضه خُطبة حامد لها وبعد إلحاح شديد من فوزية من منطلق خوفها على منار التى هزل جسدها وشحب وجهها وتاهت روحها حزنا على الحب الذى يقف والدها فى وجهه رافضا اياه ان ياخذ طريقة الى الزواج ! ضعف سعيد الاب الحنون وقرر التنازل عن موقفه خوفا على ابنته وعشما فى ان ترى الحقيقة وتعود الى صوابها قبل فوات الاوان ..

وما ان انهت والدة حامد كلماتها ووضعت علبة الشبكة امامهم على المنضدة واشتعل الغضب فى عين سعيد والد منار والإمتعاض والإشمئزاز الممزوج بالحزن تجسد على وجهه ونظر نظرة غضب الى منار فوجدها مبتسمه وتنظر الى حامد نظرة حالمة رقيقة وكانها لا تبالى بسوء اخلاق والدتة وسوء تصرفها وحديثها وقال فى نفسه .. لماذا تبتسمى يا منار ؟ الا ترين الإهانة التى القتها والدة حامد فى وجههنا جميعا الان ؟ الى هذا الحد الحب الاحمق اعمى عيناكِ وياترى عن ماذا سيعميكِ ايضا والى متى ستظلى عمياء ؟ اخشى ان تظلى مصابة بالعمى الجميل حتى يفوت الاوان ..!!

ثم نظر الى فوزية زوجتة فوجد الخوف والقلق يحتل كل ملامحها ..! فقال فى نفسه .. ولما كل هذا الخوف يا زوجتى الطيبة ؟ اخائفة انتِ ان اصمم على رفض حامد بعد هذا التصرف الوقح من والدتة ؟ ام تعلمين شىء وتخفية عنى وهو سبب خوفك الان من رفضى ؟؟

توقف لسان سعيد عن القدرة على الكلام فهو لا يعرف ماذا يقول ايوبخ أم حامد على وقاحتها ؟ ام يقوم بطردها ؟ ام يتغاضى عما قالته وفعلته من اجل ابنته العمياء ؟

ثم استطردت أم حامد حديثها قائلة .. انا ارى ان لا داعى اطلاقا لحفلة الخُطبة فهما لا يحتجان الى فترة للتعارف فلنأخذ فرصة لتجهيز شقة العروسين ثم نحدد موعد للزفاف , وماذا عن رأيك يا حاج سعيد ؟

ظل سعيد ينظر لها ولا يستطيع النطق ثم تغلب على عجزة عن الكلام وقال بامتعاض مكتوم وإقتضاب .. فلنترك موعد تحديد الزفاف الان ..
فنظرت منار الى والدتها فوزية بخوف وقلق وكأنها تقول لها تحدثى انتِ حتى لاتغضب أم حامد ويذهبون دون تحديد موعد للزفاف ..
فقالت فوزية مسرعة لام حامد .. ان صوفيا ابنة عم منار تقدم لها عريس ولم نحدد موعد حفل الخُطبة حتى الان فى انتظار الموافقة النهائية لصوفيا وان كان هناك نصيب فلنجعل الفرحة فرحتين وتكون تلك الليلة حفل الخُطبة لمنار وصوفيا معا ..

فنظرت لها أم حامد وكانها تفكر ثم قالت .. لا مانع عندى فبدلا من تكاليف ليلتين تكون اثنين فى واحد تكلفة واحدة للعروستين ليس لدى اى مشكلة وخاصة اننى لم اكن انوى دفع اى تكاليف لحفلة الخُطبة ولم اكن انوى ان اقوم بعمل حفلة الخُطبة من الاساس ..!!

نظر لها سعيد ولم يتمالك نفسة ولم يتمكن من السيطرة على اعصابة هذه المرة فقام وترك مكانه متجها الى غرفتة !

****

كيف لمنار ان تقبل بمثل هذه الاهانة ؟ كيف لها ان تشعر بالسعادة وسط كل تلك الاهانات التى تعرضت لها اليوم ؟ ماذا ترى فى حامد مقابل ان تُدهس كرامتها وكبريائها الى هذا الحد ؟
عجبا لكِ يا منار ...!!
حتى لو كنتِ تحبيه الى درجة العشق رغم اننى ارى انه لا يستحق حبك اطلاقا لا شىء فى العالم يستدعى ان تتنازلى عن كبريائك الى هذا الحد !
كون والدتة تاتى ومعها الشبكة لا يعنى شىء سوى ان رأى اسرتك لا يُشكل اى اهمية او الموافقة مضمونة ولماذا تكون الموافقة مضمونة الا اذا كانت العروسة واقعة فى حب العريس من قبل ! الا تضع فى الاعتبار كرامة والدك ووالدتك كم هى سيدة وقحة ويبدو عليها انها ستجعلك تُشاهدين الشمس فى عز الظهر يا منار يا رقيقة يا ابنة عمى وابنة الاصول !
وكيف لها ان تتحدث بتلك الوقاحة وتقول بمنتهى الاستفزاز انا لا انوى عمل حفلة الخُطبة انا لا انوى تحمل تكاليف ما كل تلك الوقاحة ؟
ماذا حدث لكِ يا منار لتقبلين كل تلك الاهانات ؟
ثم زفرت صوفيا زفرة توحى بالنفور ثم تنهدت تنهيدة عميقة نابعة من غضب شديد بداخلها وهى تتجول فى غرفتها محدثه نفسها واستطردت قائلة .. وهل الحب يجعلكِ تفعلين فى نفسك وفى اسرتك هكذا ؟ ولماذا احبتية من الاساس ؟؟
ثم عادت لتجاوب نفسها على سؤالها وقالت .. اعلم انكِ رومانسية وعاطفية وللاسف الشديد ..
ان الانسان العاطفى يكون رؤيته للامور غير صحيحة وبالتالى قرارته غير صائبة !

ثم اتجهت ناحية سجادة صلاتها والتى هى مفروشة على الارض دائما وهمهمت قائلة سوف اصلى ركعتين قضاء الحاجة والحمد لله انى مازلت على وضوئى ..

وقفت صوفيا تصلى وما ان انتهت من صلاتها وظلت جالسة مكانها على الارض ورفعت يداها للسماء وقالت .. يارب ..يارب .. ابعد عنى ولاد الحرام والقلوب الخادعة .. ابعد عنى السطحية والرؤية الضبابية للامور .. يارب كن معى واحمينى من مشاعر وهمية تقودنى الى اللانهائية من العذاب .. يارب انا خائفة جدا .. يارب انا لا اشعر باى راحة تجاه هذا الذى يُدعى وليد هو ووالدتة ذات الوجه الاحمر فانا اشعر انها حرباء تتلون بلون الذى يناسب هدفها وغايتها .. لا اشعر بالراحة تجاه والده القصير اللئيم .. لا اشعر بالراحة تجاه شقيقتة التى نظرات عيناها غبية ولا تنم الا على الشؤم والخراب .. نعم انها مُعجبة بى ولكن شعرت انها غيورة ولن تكون لى بمثابة الاخت .. يارب اننى خائفة .. فاذا كان هذا الموضوع فيه خير لى فقربه منى وقربنى منه واذا لم يكن فيه خير لى .. فانقذنى يارب .

عادت صوفيا من عزلتها وحوارها مع الله الى الواقع على صوت دقات الباب ودخول فوزية زوجة عمها لتقول لها ... تعالِ يا صوفيا عمك سعيد يريدك ..

فتركت صوفيا سجادة صلاتها مكانها واتجهت وهى لا تزال ترتدى ملابس الصلاة الى غرفة عمها وما ان وقفت على باب الغرفة ولمحها بطرف عينيه الا وقال لها .. صوفيا تعالِ .. تعالِ اجلس هنا بحوارى ..
فتقدمت صوفيا بخطواتها تجاه عمها وجلست بجوراه وقالت .. خير يا عمى ؟

فقال لها والامتعاض الشديد فى عينيه الممزوج بدموع الحسرة الحبيسة بين جفونه .. اسمعتى ما قالته أم حامد عندما كانت هنا ؟ أرايتى كم الاهانه التى سقطت فوق رأسى ؟ قولى لى يا صوفيا لماذا تفعل منار هكذا فى نفسها وفينا ؟ اهى ترى نفسها قليلة وابنة رجل قليل الى هذه الدرجة ؟؟

لالا يا عمى لا تقل هذا منار اى انسان يتمنى ان يفوز بها , وانت رجل معروف باخلاقك واصلك واى عائلة تتمنى ان يكون صهرها رجل مثلك (هكذا كان جواب صوفيا على سؤال عمها) , فقاطعها عمها سعيد بعصبية وقال .. طالما ان الامر كذلك لماذا تفعل منار هكذا فى نفسها لماذا تقبل تلك الاهانة ؟

يا عمى ان مرآة الحب عمياء كما يقولون ان منار ابنتك عاطفية ورومانسية وتعتقد انها تخطو بخطواتها تجاه الحب والسعادة والحياة التى تشبه الحياة التى تشاهدها فى الافلام الرومانسية لذلك لقد اغلقت عيونها عن كل نواقص حامد وفتحتها بكل قوتها على حبه لها !

يا عمى انت اذا رفضت زواجها من حامد لن تنظر اليك على انك خائف على مصلحتها وحياتها بل ستنظر اليك على انك الرجل الذى وقفت فى وجه سعادتها وفرقت بينها وبين الحب الجميل الذى ارسله لها القدر !

(هكذا كان جواب صوفيا على سؤال عمها) ..

فصمت عمها سعيد وزفر زفرة كادت تخرج من بين عظام صدرة المشتعلة بنار الغضب وقال .. دعينا من منار الان وقولى لى ماذا عن قرارك النهائى بخصوص موضوع العريس وليد ؟؟ انا ارى انهم اسرة طيبة ووليد شاب محترم ولا ينقصة شىء وعندما سالت عنه وعن اسرته لم يُعيب فيهم اى شخص بلا استثناء وهذا جعلنى مطمئن جدا عليكِ وماذا عن رايك انتِ ؟؟

ومن الذين سالتهم عن وليد واسرتة يا عمى ؟ اليس جيرانهم والمقربون لهم ؟ وهل من المنطقى ان جيرانهم يذكرونهم باى سوء حتى لو كان حديثهم صحيح وليس مجاملة او خوف من الوقوع فى حوارات مقلقة ومثيرة للمشاكل ان الناس لا يمكن ان نعرفها على حقيقتها الا بعد العشرة فالمواقف والايام هى التى تُظهرالحقيقة ! والحقيقة يا عمى اننى لم اشعر باى راحة تجاه تلك الاسرة اراهم ممثلون يتقمصون شخصيات مثالية وهى ابعد ما تكون عن حقيقتهم .. (هكذا كاد رد صوفيا) , فنظر لها عمها وابتسم رغم حزنه وقال .. صوفيا يا حبيبتى انا اثق برأيك جدا وسعيد بكِ لانكِ عقلانية ولستى تريدى الزواج من اى رجل بهدف الزواج فى حد ذاته مثل بناتى عديمات العقل ولكن ارى ان كل ما تقولينه مجرد شكوك

ليس لها اساس فى الواقع وكما قلتى ان المواقف والعشرة هى التى تُظهرالناس على حقيقتها ولذلك اقترح ان تعطى لنفسك فرصة لتتأكدى اذا كان رأيك فى محلة ام مجرد شكوك لا اساس لها من الصحة فماذا عن رأيك اذن ؟

فصمتت صوفيا واطرقت برأسها فى الارض وكأنها تفكر وقالت .. انا اصلى استخارة واطلب من الله ان يوجهنى للصواب الذى لا يعلمه الا هو سبحانة وتعالى ولذلك لا مانع عندى ان اوافق موافقة مبدئية على هذا الموضوع واذا كان فيه خير لى سوف يُيسر الله كل شىء ويتم على خير وان لم يكن فيه خير سيبعده الله عنى وينتهى كل شىء فى الوقت المناسب ..
فربت عمها سعيد على كتفها وقال .. اتفقنا يا حبيبتى والله يجعل نصيبك فى الخير !

خرجت صوفيا من غرفة عمها وهى متجه لغرفتها سمعت منار تنادى عليها بصوت خافت وحينما التفتت لها اشارت لها بمعنى تعالِ الى هنا .. فاقتربت منها صوفيا فدخلت منارالى الغرفة وتبعتها صوفيا وظنت انها تناديها لكى تأخذ رايها فى ان تستمر مع حامد بعد الذى حدث من والدتة اليوم ام تأخذ قرار حاسم فى قطع العلاقة وغلق الموضوع نهائيا ولكن فوجئت صوفيا ان منار مجتمعه فى الغرفه هى ونرمين ومفيدة ومعهم والدتهم فوزية والسعادة والفرح على وجوههم وقالت منار لصوفيا .. نريد ان نأخذ رأيك فى الفستان الذى سارتديه ليلة الخُطبة تعالِ وشاهدى معنا المجلة التى اشتريتها اليوم هى مجلة خاصة بفساتين السهرة !
وقالت مفيدة .. انا ساطلب من عماد خطيبى ان يشترى لى فستان احضر به خُطبتكم !
فردت عليها نرمين متهكمة وقالت .. من .. من .. ستطلبين ؟ من عماد خطيبك ؟ الذى منذ ان خطبك وهو لا يشترى لك اى الاشياء التى لا يزيد سعرها عن ربع جنيه ! وضحكت ضحكه عالية ساخرة , فنظرت لها مفيدة بغضب وقالت .. ولماذا تسخرين من عماد الا تريدى السخرية من خطيبك مصطفى الذى ياتى الينا فى العاشرة صباحا مثل بائع اللبن ؟ والذى اذا فكر ان يحضر هدية لكِ ياتى ومعه فطيرة صنعتها والدتة ؟ فغضبت نرمين وردت عليها متهكمة باسلوب ساخر ممزوج بالغضب وقالت .. يكفى انه جميل ليس مثل خطيبك السخيف الذى دمة اثقل من دم البق !
فقالت منار بثقة وفرح اما انا فخطيبى حامد لا احد يقدر ان يقول عليه انه بخيل او سخيف او قبيح ان ملامحة جميلة ودمة خفيف وكريم جداااا جداااا لن تستطيع اى واحدة منكن ان تعايرنى ابدا !
فنظرت نرمين ومفيدة الى بعضهن البعض ونظرت اليهن والدتهن فوزية وتجسدت فى عين صوفيا نظرة دهشة والتزموا الصمت جميعا ... !!
فنظرت منار الى صوفيا وقالت .. اليس كذلك يا صوفيا ؟
فصمتت صوفيا حائرة ثم قالت .. اهم شىء يا منار جمال الجوهر اتمنى ان يسعدك وتجدى معه الراحة التى تتمنيها !
فقالت مفيدة متهكمة .. وايضا تجدى معه قهوة على الريحة , وضحكت ضحكة ساخرة !

فشعرت منار بالضيق من سخريتها الواضحة وقالت .. اهم شىء عندى انه يحبنى جدا انا لايهمنى اى شىء اخر سوى الحب ابحثى انتِ عن حقيقة خطيبك الذى انتِ بالنسبة له مجرد عروسة مناسبة ولا يحمل لكِ بداخله اى حب او اى احساس واكبر دليل على ذلك بخله معكِ طوال الوقت !
فردت عليها مفيدة قائلة .. انا لا يهمنى الحب فالحب شىء ترفيهى انا يهمنى ان يكون رجل قوى يمتعنى ويشبع إحتياجاتى ويسعدنى فقط وساترك الحب لكِ وللقهوجى الذى تحبينه .

-13-
عشاء بنكهة الكلاحة

قررت فوزية ان تدعو مصطفى خَطيبُ نرمين وعماد خَطيبُ مفيدة وحامد خَطيبُ منار ووليد خَطيبُ صوفيا على العشاء لتكن فُرصة تسمح لهم بالتعارف على بعضهم البعض وفى نفس الوقت فُرصة لصوفيا ووليد للاقتراب من بعضهم اكثر وذلك قبل تحديد موعد لحفلة الخُطبة الرسمية , ولقد رفض سعيد زوجها الفكرة لانه لايريد ان يرى اى واحد منهم سواء كان مصطفى او عماد او حامد ولكنه وافق فقط من اجل صوفيا والتى بحاجة للتعرف على وليد اكثر ..

اول من جاء الى منزل سعيد وفوزية كان مصطفى خَطيبُ نرمين فلقد جاء فى العاشرة صباحاَ ! ودخل عليهم بمنتهى الثقة والهدوء المُعتاد وكأنه جاء فى وقت مثالى جدا ولم يهتم بحالة الدربكة التى وقعت بسبب قدومة مبكرا والتى تحدث عادةً كلما حضر اليهم فى مثل هذا الوقت وكعادتة دائما جاء بدون اى شىء معه تنفيذا لوصية وتعليمات والدتة التى تحرص على النقود كحرصها على روحها بحجة ان النقود لا تُصرف الا على الاشياء الهامة و علبة جاتوة او شيكولاتة يدخل بها على خطيبتة واهلها ليس شىء هام اطلاقا !

ارتدت نرمين ملابسها بسرعة وخرجت لتقابلة وجلست بجواره وقالت له همساً .. انا قلت لك يا حبيبى انها دعوة على العشاء لماذا جئت مبكرا هكذا ؟؟ انهم لن ياتوا الا فى المساء على موعد العشاء ؟

اعلم جيدا ان العشاء يكون فى المساء ولكننى لن استطيع ان اتأخر بعد اذان المغرب لان أمى تقلق كثيرا وبشدة اذا تأخرت الى بعد المغرب , فانا سأمضى يومى معكِ وحتى المغرب وياريت يكون العشاء قبل المغرب لاننى لن اتاخر عن ذاك الموعد ! (هكذا قال مصطفى) ,

صمتت نرمين وكعادتها لم تبالى بحقيقة شخصيتة التى تحتوى على قدر عالى جدا من البرود والسخافة وكانت مستيقظه من نومها وهى لاتزال تحت تأثيرحلم جميل جمع بينها وبين مصطفى وكان حلم فى غرفة نوم وردية وكانت بين احضانه يضمها

بكل قوته وهى تضع رأسها على صدره كالطفله الصغيرة وقالت وهى تقترب منه شىء فشياَ وهى لاتزال تحت تاثير الحلم الجميل الذى عاشته منذ لحظات قليلة قبل دق جرس الباب وقدوم مصطفى .. عموما انا سعيدة لانك ستمضى معى وقت طويل وحتى حلول المساء وظلت تنظر فى عيناه وهى عن كثب منه وهو يبادلها نفس النظرات وظلت تقترب دون وعى وهو يميل اليها بالتدريج ودون ادنى سيطرة منه حتى افترقت شفته العليا عن السفلى وتجسدت رغبته فى ان يقبلها على ملامح وجهه وشفتيه الذى كاد اللعاب ان يسل منها ... وفجأة وفى لحظة انعدام للوعى ضمها فى صدره بكل قوته فشعرت نرمين انها عادت الى الحلم ولكن فى حالة استمتاع اقوى ومال برأسه على وجهها وأخذ شفتيها بين شفتيها وقبلها قبلة عميقة وطويلة كادت فيها ان تفقد الوعى ...

خرجت مفيدة من غرفتها فجأة لتذهب الى الحمام وهى لم تكن تعلم ان مصطفى خَطيبُ نرمين موجود عندهم فى هذا الوقت وفوجئت بنرمين ومصطفى فى هذا الوضع ان نرمين ومصطفى كانوا يشعرون بالامان رغم وجودهم فى الصالة لان والدتها فوزية فى المطبخ مشغولة جدا ومفيدة نائمة ووالدها سعيد فى العمل ومنار هى الاخرى فى عملها وصوفيا ايضا ليست فى المنزل ...

مرت مفيدة الى الحمام بحيث لا تلفت نظر نرمين انها رأتها هى ومصطفى ولكن لم تنجح فمرورها جعل نرمين ومصطفى يعودوا الى الواقع سريعا ..!

انتابت مفيدة حالة من الشبق وشعرت بالغيرة لان نرمين عاشت مثل هذه اللحظة وتمنت بكل قوتها ان تجد وقت مناسب يمنحها مثل تلك الفُرصة الجميلة التى هى تعتبر اجمل فرصة من وجهة نظرها وقررت ان تتصل بخطيبها عماد لتستعجل قدومة وبالفعل لم يهدأ لها بال الا بعدما اتصلت به وهو وعدها ان يأتى مبكرا بقدر الامكان ..!

ورغم انه وعدها ان يُلبى طلبها وياتى مسرعا الا انه لم يحضر الا الساعة الخامسة وجاء بوجه مرسوم عليه ابتسامته السخيفة المُعتادة ويده فارغه كالعادة وحينما قالت له بعصبية شديدة لماذا تأخرت الم اقل لك تعال بسرعة ؟

رد عليها وهو مُبتسم وقال .. فعلا ولكن انتظرت حتى ينهتى وقت العمل الرسمى وبعدها ذهبت الى البيت لأنال قسط من الراحة وأمى صممت ان اتناول الغداء اولا وبعدها جئت الى هنا , كيف حالك ؟

بعصبية وامتعاض شديد قالت .. حالتى جيدة جداا !!

ولكن الغريب ان الساعة دقت الخامسة ومنار لم تاتى بعد رغم انها عادة تعود الى المنزل فى تمام الساعة الثالثة والنصف ما سبب تأخرها الى الان ؟ والدتها تسال وجميعهم يتسألون ؟؟!!

هيا بنا نصعد الى الاعلى ولكن لن نصعد معا فساصعد انا اولا ثم تلحقنى انت (هكذا قالت منار لحامد) فى نهاية جلستهما معا فى الشقة التى هى فى الطابق الارضى فى منزلها والتى كانت جالسة فيها هى وحامد منذ عودتها من العمل وحتى الان ..

فحامد عندما رأها وهى عائدة من العمل وتدخل الى البيت دخل ورائها ليسلم عليها وقال لها وهو ينظر فى عيناها .. منار .. حبيبتى .. وحشتينى جدااا ..
فقالت له بخجل .. وانت ايضا !
فقال : كنت اود ان اجلس معكِ قليلا فانا مشتاق اليكِ وبشدة
فقالت : نحن سنجلس معا اليوم على العشاء ولوقت طويل جدااا
فقال : كلا يا حبيبتى انا اريد ان اجلس معكِ بلا عذول !
ثم نظر الى باب الشقة وقال لها .. شقة من هذه ؟
فقالت : انها شقة فارغة كانت شقة جدتى رحمة الله عليها
فقال بهدوء وهو ينظر فى عيناها .. وهل معكِ مفتاح بابها ؟؟
فقالت وقد بدأت تذوب من رقة نبرة صوتة .. لا ليس معى مفتاح ولكنها شقة فارغه تماما ولذلك الباب مفتوح ...
فاقترب منها قليلا وهو يهمس فى اذنيها .. اذن فلنجلس معا قليلا قبل ان نصعد الى اعلى
فبدا على منار التوتر والخوف وتلعثمت وقبل ان تنطق بكلمة واحدة قال لها .. حبيبتى .. ان كنتِ تحبينى فعلا لا ترفضى .. ولا تخافى .. فانا اخاف عليكى اكثر من نفسى .. هل تحبينى ام لا ؟؟
فقالت مسرعه : نعم .. احبك
فاخذها ودخل بها الى الداخل ...
ومر الوقت مسرعا وحينما انتبهت منار الى ساعة يدها وفوجئت بالوقت الذى مضى بسرعة البرق قامت مسرعة وصعدت الى اعلى حيث شقتهم وقالت لحامد اتبعنى بعد قليل او اذهب الان وتَعَال على موعد العشاء مباشرة ...
وبدلا من ان تصعد منار الى شقتهم صعدت حتى سطح المنزل وهى بلا وعى وفوجئت انها وصلت الى السطح ولكنها هبطت مسرعة لانها تعلم ان والدتها ستكون الان قلقه جدا عليها ..
دخلت منار الشقة واتجهت مسرعة الى غرفتها وحمدت الله كثيرا ان لا احد التفت لغيابها نظرا لانشغالهم فى المطبخ وغرفة نومها فارغه ايضا ..

وقفت منار امام المرآة لتخلع ملابسها وترتدى ملابس اخرى وظلت واقفه امام المرآة تتحسس جسدها وتنظر لنفسها نظرة كلها فخر وثقة بالنفس وهى تهمهم وتقول .. الى هذه الدرجة حامد يحبنى ومُتلهف على امتلاك قلبى وكيانى ,
ولمست شفتاها وقالت .. عندما قبلنى كانت قبلة قوية وعميقة وطويلة جدا وكلها شوق ولهفة ان القُبلة بهذه القوة لا تعنى الا شىء واحد فقط الا وهو انه يحبنى بكل قوتة ومتلهف على الحياة معى ومتلهف على الارتشاف من عسلى فهو قال لى اننى اريد ان ارتشف عسلك وانتِ فى عينى كل جزء من جسدك هو منبع للعسل ! ثم ضمت نفسها بكل قوتها وقالت .. يا حبيبى يا حامد الى هذه الدرجة تحبنى حقا ان حبك لى هذا يستحق التضحية ويستحق ان اقف بوجه اى شخص يحاول ان يبعدنى عنك .. ثم تنهدت تنهيدة حارة وقالت .. ان الحنان الذى شعرت

به وانا فى حضنه يستحق التضحية والسعادة التى شعرت بها وهو يُقبلنى حقا تستحق التضحية .. اااااااااااااه متى ياتى اليوم الذى نكون فيه معا فى غرفة واحدة حتى نستمتع بالعسل وحتى اخر العمر ..

وعادت من حديثها مع نفسها على صوت جرس الباب فانتبهت وانتابتها السعادة والفرح وقالت اكيد انه حامد حبيبى لم يستطيع ان يتأخر اكثر من تلك الدقائق , ولكن سرعان ما ذهبت فرحتها حينما سمعت والدتها فوزية تقول .. اهلا اهلا يا وليد !

جلس وليد وصوفيا فى غرفة الصالون حتى يتم تجهيز العشاء وقدوم سعيد عمها ليتناولا العشاء جميعا ..
وطالت فترة صمت وليد فقررت ان تبدا هى الكلام فقالت له .. لماذا تأخرت لماذا لم تاتى مبكرا اكثر ؟
عندما سمح لى بابا ان اترك المعرض جئت الى هنا فورا (هكذا كان جوابه على سؤال صوفيا)
فقالت له : ان العشاء اليوم فرصة لنتعارف اكثر على بعضنا البعض
فقال لها : فعلا بابا قال لى اذهب فهى فرصة للتتعرف عليهم اكثر
انتاب صوفيا حالة من الدهشة من اسلوبه واجوبته التى كلها لا تخلو من كلمة " بابا "
فقالت له : افضل شىء كانت فكرة الخُطبة العائلية وان شاء القدر ان نستمر فليكن حفل الزفاف حفل كبير لنفرح جميعا
فقال لها : اذا كنتِ تُريدى فرح كبير قولى لـــــ " بابا " فهو المسؤل عن كل شىء
تجسدت الدهشة فى عيون صوفيا ثم قالت : وهل بابا هو الذى سيتحمل التكاليف ؟
فقال لها : لا ولكننى اترك له كل شىء لانه هو الكبير
فشعرت بضيق شديد وقالت له : اشرب العصير .. اتفضل اشرب
فقال لها بمنتهى البساطة : لا
فقالت له ولماذا ؟ الا تحب ان تشرب عصير البرتقال ؟
فقال : لا انا احب البرتقال كثيرا ولكننى لا اريد ان اشرب هذا , شكرا
وفجأة صوت جرس التيلفون ...
فوجدت صوفيا ان الرد على التليفون فرصة جيدة للخلاص من هذا الشخص المُمل فقالت له بعد اذنك سوف ارد على التليفون
فاتجهت صوفيا الى الصالة ورفعت السماعة..
صوفيا : الو .. اهلا .. كيف حالك فريال ؟
فريال : بامتعاض واضح فى صوتها .. الحمد لله انا بخير .. هل وليد عندك حقا ؟
صوفيا : نعم .. هل تريدى ان تتحدثى معه ؟
فريال : ياريت .. بعد اذنك .. ان امكن !
فاخذت صوفيا تنادى على وليد وهى تقول تَعَال من فضلك فريال على التليفون ...
فذهب وليد مسرعا فى اتجاه صوفيا واخذ منها سماعة التليفون وقد بدا عليه الاضطراب وقال .. الو .. حاضر .. حاضر .. حالا !
ثم وضع السماعة ليغلق الخط !
فقالت له صوفيا خير ؟ هل حدث شىء ؟

فقال لها بتوتر شديد .. لا ابدا ان فريال تقول لى تَعَال حالا لتتناول العشاء معنا مثل كل يوم بعد اذنك سوف انزل حالا
فنظرت له بدهشة وذهول وقالت .. الا تعلم فريال انك مدعو على العشاء عندنا الليلة ؟؟!
نعم تعرف ولكنها تعودت منذ ان جئنا الى الدنيا ان نتناول العشاء معا بعد اذنك انا سوف انصرف حالا !
(هكذا كان رد وليد) ! , وهل يصح ان يدعوك عمى على العشاء وتأتى وتنصرف دون ان تجلس معه وتشاركه العشاء كما اتفق معك ؟؟ انتظر حتى ياتى عمى حتى لا يغضب منك ! (هكذا قالت صوفيا) ,
اسف جدا لابد ان انصرف حالا لن استطيع ان انتظر دقيقة واحدة لان فريال تنتظرنى على العشاء ! (هذكا قال وليد) , وتركها واتجه ناحية باب الشقة للانصراف مثل الطفل الصغير الذى يخشى من عقاب والدتة غليظة الطباع بسبب تأخرة عن الموعد المحدد !!
وقفت صوفيا تنظر اليه والحسرة الممزوجة بالدهشة قد انتابتها وبشدة !!!
وظلت واقفة مكانها كالمسمار الذى دق الشاكوش فوق رأسه فظل ثابتا مكانه !
وما لبس ان اغلق وليد الابله الباب خلفه وفُتح مرة ثانية ولكن هذه المرة عمها سعيد ويبدو على ملامحه الدهشة وقال .. صوفيا قابلت وليد على السلم وكان يجرى مسرعا أحدث شىء اغضبة ؟؟
فقالت ببضىء وكان الكلمات لا تقوى على الخروج من بين شفتيها .. لا ابدا ان شقيقتة فريال اتصلت به على التليفون وقالت له تَعَال بسرعة فتركنى وذهب مسرعا !
فبدا على عمها سعيد الضيق ولكن قال : ربما يا ابنتى حدث شىء سىء فى البيت او ظرف طارق !
كلا .. كلا يا عمى انه قال لى ان فريال طلبت منه ان يذهب اليها بسرعة ليتناول العشاء معها لانها هكذا اعتادت منذ زمن !
فاطرق رأسه فى الارض وحاول ان يجد مُبرر حتى ينتشلها من حالة الحزن التى هبطت عليها وقال : لا تعطى للموقف اكبر من حجمه يا حبيبتى لا تعلمى ماذا حدث ابتسمى وهيا اخبريهم اننى جئت لنتناول العشاء معا ..
جلسوا جميعا على السفرة والتى كانت مليئة بانواع مختلفة من الطعام فكان فى منتصف السفرة صنية كبيرة من المكرونة البشمل وبجوارها طبق كبير جدا من محشى ورق العنب , جلاش باللحم المفروم , ملوخيا , صنية بطاطس مطبوخة وعليها طبقة من قطع الدجاج المشوى , طبق كبير به شرائح البطاطس المقلية , طبق كبير جدا به كفتة , طبق كبير جدا به شيش كباب بالاضافة الى برامات الارز بالحمام وبرامات الارز باللحم العَجَالى والسلطات بمختلف انواعها وامام كل فرد منهم كوب كبير به مياه غازية وبانواع مختلفه فصوفيا امامها نوع بالبرتقال ومنار نوع بالتفاح ونرمين نوع بالصودا ومفيدة نوع بالصودا و بالليمون وسعيد بالبرتقال وفوزية ايضا اما مصطفى وعماد فاختاروا الصودا لتساعدهم على الهضم , وعلى رأس السفرة سعيد وبجواره فوزية وبجوار فوزية مفيدة وبجوارها خطيبها عماد وبجواره مصطفى خطيب نرمين والتى كانت تجلس بجواره اما على الطرف الاخر للسفرة جلست منار وبجوارها مقعد فارغ من اجل حامد الذى لم يأتى بعد وبجوار سعيد صوفيا التى ايقنت انها وحيدة فى هذه الليلة !

كانت تبدو السعادة على وجه مفيدة ولان عماد يجلس بجوارها والذى وضعت امامه قطعة كبيرة من لحم البط وبعد ان تناولها كلها سألته فوزية : ما رايك ؟
فقال بمنهتى البساطة .. ان أمى دائما تطبخ لنا البط ولكن هى تطبخه بطريقة تجعل طعمه لذيذ جدا لم اجد مثله ابدا !
فرمقة سعيد بنظره كلها غباء وكأنه كان يريد ان يقول له يالك من قليل الذوق حقا !
اما نرمين فكانت سعيدة هى ايضا لجلوس مصطفى بجوارها ولانها ارتشفت بعضا من العسل قبل العشاء فتح شهيتها على الطعام فاخذت تاكل وتضع امام مصطفى ولكن مصطفى لم ينتظر ان يسأله احد عن رأيه فلقد قال من تلقاء نفسه .. اننى احب جدا الارز بهذه الطريقة ولكن يبدو انكم لا تجيدون عمل برامات الارز فسوف اجعل امى تقوم بعملها واحضرها لكم معى فى يوم فلا احد يستطيع ان يجهز برامات الارز بالحمام مثل امى !
فنظرت له فوزية بدهشة ونظرت لسعيد فبادلها نفس نظرات الدهشة ولكن همهم قائلا .. حقا انه شىء غريب !
اما منار فلقد فقدت شهيتها فلقد تاخر حامد واخذت الافكار تتصارع فى عقلها .. فلماذا تأخر وهل لن يأتى ؟ ولكنه اتفق معى انه سيلحقنى فورا ماذا حدث ؟ انه كان سعيد جدا بعدما قضينا وقتا لذيذ معا فى الشقة التى فى الطابق الارض فماذا حدث ؟ ثم حاولت ان تُلهم نفسها الصبر وقالت فى نفسها ربما يكون قد استغنى عن العشاء لان عسل شفتاى كان كفيل فى ان يجعله يشبع ولا يحتاج الى تناول اى طعام بعده .. ولما لا ؟؟

اما صوفيا فلقد ظلت شاردة واغُلقت شهيتها عن الطعام ولم يعد لها اى قدرة على فتح فمها ! وظلت تفكر وتفكر وشعرت بخيبة الامل وقالت فى نفسها .. يبدو ان وجهة نظرى فى محلها .. يبدو ان رأيى فى فريال هذه رأى صائب .. ويبدو انه ُمنساق خلفهم بلا إرداة .. انه جلس خمس دقائق لم يقول فيها الا .. بابا قال لى .. بابا .. بابا .. والله شعرت كانى جالسة مع طفل فى الحضانة وبمجرد ان قالت له فريال تَعَال فورا نسى كل شىء ونسى انه مدعو على العشاء وانصرف فورا كالطفل الخائف من والدتة الشديدة الحمقاء !!
ولكن اذا قلت لعمى لا اريد هذا الموضوع فلننهيه فورا سيعترض ويقول لى اكيد هناك مُبررات لما حدث واعطى لنفسك فُرصة وكلام من هذا القبيل ولذلك سامضى فى الموضوع حتى اقبض يدى على الحقيقة ووقتها لن يعارضنى احد فى فسخ الخُطبة اذا كانت الحقيقة مثلما انا متوقعة ...
سعيد نظر لمصطفى فوجده ياكل بكل قوته فقال محدثا نفسه .. اما الطعام لم ينال اعجابك وتاكل بنهم شديد هكذا اما لو كان الطعام نال اعجابك كنت كيف ستأكل ؟؟ عجيب !
ثم نظر الى عماد فوجده هو الاخر ياكل بمنتهى الحرية والنهم وقد تناول كل ما وضعته امامه مفيدة فقال محدثا نفسه .. هو الاخر يقول ان طعام والدته الافضل اما الامر كذلك لماذا تناولت كل هذا الكم ؟؟ غريب والله !
ثم نظر الى منار ووجدها حزينه فقال فى نفسه .. حزينه لان حامد لم ياتى اكيد يتناول العشاء مع والدته التى تشبه البلطجية !

ثم نظر الى صوفيا فوجدها شاردة فانتابه الحزن وقال فى نفسه .. اتمنى ان تكون ظنونك ليست فى محلها يا صوفيا فكم انتِ تستحقين السعادة ..
ثم اطرق برأسه فى الارض وقال فى نفسه .. مخلوقات عجيبة فعلا .. حقا ان العشاء اليوم بنكهة الكلاحة !

-14-
صدفة جميلة

كانت صوفيا تتجول فى احدى المولات مع نرمين وخطيبها مصطفى ومفيدة وخطيبها عماد ووالدتة ومنار وخطيبها حامد ووالدتة ايضا بهدف مشاهدة فساتين الزفاف والتعرف على الاسعار ولم تكن صوفيا تريد ان تذهب معهم ولكن عمها سعيد هو الذى طلب منها ان تُرافقهم بحجة ان تشترى ملابس واكسسوارت وتشاهد ملابس العرائس هى ايضا وذهبت معهم صوفيا تلبية لطلب عمها سعيد الذى يثق فيها وبشدة ولكن صوفيا لم تكون تنوى شراء اى شىء او حتى مشاهدة اى شىء من مستلزمات العرائس لانها كانت ولازالت تفكر فى اتخاذ القرار السليم والنهائى بخصوص إرتباطها بوليد فهى قررت بينها وبين نفسها ان تتخذ القرار النهائى اولا ثم بعد ذلك تفكر فى موضوع شراء المستلزمات فيما بعد ..

وطوال فترة التجول بين المحلات كانت ينتابها الاحساس بالضيق والاشمئزاز الممزوج بالدهشة وفى كل مرة ينتابها هذا الاحساس تُساورها شكوك وظنون فى سبب الذى يجعل فتاة تتمسك برجل مثل هذا الذى يُثير اشمئزازها ..

فعند اختيار نرمين فستان زفاف وقفت تنظر له والفرحة تحتل عينيها وقالت لخطيبها مصطفى .. انظر يا حبيبى الى هذا الفستان انه جميل جدا اريد ان اراه على جسدى وان كان مطابق لمقاساتى اشتريه لى اتفقنا يا حبيبى ؟

فنظر لها مصطفى بغباء وبرود وقال .. اشترية لكِ ! طبعا لا ! ان ثمنه غالى ! وايضا لماذا نشترى فستان غالى او رخيص وما المشكلة فى ان تشحتى فستان من احدى صديقاتك واللاتى تزوجن من فترة قريبة ؟ بصراحة اكثر .. بدلا من ان اشترى لكِ فستان وبدلا من التكاليف التى لا اهمية لها الافضل ان اضع ثمن الفستان فى شىء له اهمية , فنظرت له نرمين بغضب ودهشة وقالت .. وما الشىء الاهم من ليلة عمرى التى لن تتكرر مرة ثانية ؟ وهل انت فقير حتى تجعلنى اشحت من صديقتى فستانها القديم ؟؟
فنظر لها مصطفى نظرة غلفتها الدهشة وفتح فمه وبدا عليه الذهول وقال .. الاهم والمهم عندنا نحن ان نضع القرش على القرش لنشترى ارض ونوسع مساحة ارضنا الزراعية .. وانا لست فقير ولكن ماذا يحدث اذا ارتديتى فستان صديقتك القديم ؟ هل الناس ستُعايرك وتقول لكِ انتِ ايتها العروسة التى ترتدى فستان قديم !!!

فنظرت له نرمين وشعرت بالحزن والتزمت الصمت !!

وانتاب صوفيا حينها الاحساس بالضيق والاشمئزاز من هذا المخلوق المادى الذى يفضل الماديات على المعنويات ويواليتها اى معنويات انها شىء لن يتكرر فى العمر الا مرة واحدة فقط ! ثم عادت وقالت فى نفسها .. رغم اننى شعرت بالضيق من اجلك يا نرمين لكن سأُواسى نفسى واقول لها ان نرمين هى التى فعلت هكذا فى نفسها عندما اغمضت عينيها عن كل شىء واقعى وقررت ان تكتفى وتنظر بكل قوتها لحالة الاستمتاع التى تشعر بها بعد كل قبلة عميقة من مصطفى والتى تظن انها دليل الحب الصادق والعطاء بصرف النظر عن اى شىء اخر وكأن العمر كله سيكون مجرد لحظات تجمعهم فى غرفة النوم وكأن العلاقة ستكون فقط مجرد قُبلة والاحساس الذى يعقُبها !
اما عماد خَطيبُ مفيدة فهو صريح وواضح جدا فى موضوع البخل هذا منذ اول يوم دخل فيه بيتنا ومفيدة تعلم هذا جيدا وتغلق عيناها بكل قوتها وتفتح عيناها فقط بكل سعادة واستمتاع بعد قُبلة منه وكأنها قبلة من اجمل رجل فى العالم وليست من رجل سخيف مثل عماد فرد فعله عند اختيار مفيدة لفستان الزفاف لم يكن غريب بل كان شىء عادى جداا ..

فكلما اختارت مفيدة فستان وتقول له ماذا عن رأيك فيه ؟ ينظر الى والدتة ويقول لها ماذا عن رأيك يا أمى ؟
وعندما اختارت مفيدة فستان قالت لها والدتة انه غالى فلنبحث عن فستان ارخص ! فنظرت مفيدة الى عماد منتظره منه الانصاف ولكن خاب ظنها فيه وقال لها .. نعم ان امى معها حق فلنبحث عن فستان ارخص !
وظلت مفيدة وأم عماد فى صراع معا طوال الوقت بين ما تُريده مفيدة والسعر الذى تُريده أم عماد وفى كل مرة تتوهم مفيدة ان ينصفها عماد ويحاول اسعادها ويشترى لها الفستان الذى ينال اعجابها ولكن فى كل مرة تتكرر خيبة الامل وينقاد خلف رأى والدتة والتى هى صاحبة دروس البخل التى يسير عليها مثل الصراط المستقيم !

لم تُشفق صوفيا على مفيدة ولم تحزن من اجلها ليس لان مفيدة تكره صوفيا وتُسىء التعامل معها دائما وتغار منها وتحقد عليها .. لالا ان صوفيا انسانة لا تضع الاعتبارات الشخصية فى الاعتبار ولكن لان مفيدة مخلوقة ذات طبع حيوانى وكل شىء واضح امامها من البداية وهى قررت ان تغمض عيناها عن كل السلبيات التى لا تُطاق فى عماد والتى ابسطها البخل وتابعيتة لوالدتة مقابل ان تتزوج وتمتلك رجل يُشبع رغباتها الشهوانية المُلحة منذ سنوات والتى بدات فى الإلحاح مبكرا جدا !!

اما حامد خَطيبُ منار فتحول من رجل شديد الاهتمام وعاشق وهدفة الاساسى هو اسعاد حبيبته الى رجل مُهمل ولا يُبالى ومُتغطرس فاصبح يتعامل معها بتكبر واستعلاء شديد جداا ! وهى امامه ضعيفة جداا !
الكلمة كلمته هو والرأى رأيه هو والاختيار اختياره هو ..!! فطوال الوقت منار لا تجرأ على الاختيار او اتخاذ قرار فهو الذى يشاهد ويختار وهى توافق فقط !!

اصابت صوفيا الدهشة من حال منار اكثر من حال نرمين ومفيدة وقالت فى نفسها .. كيف له ان يتكبر ويتغطرس على فتاة مثل منار فهو لاشىء بالنسبة لها ؟؟
ولكن يبدو ان الرجل حينما يكون اقل من شريكة حياتة احساسة بالدونية هو الذى يقود العلاقة فيجعلة يتعامل معها بتكبر واستعلاء حتى يتخلص من احساسه بانه اقل ويجردها من احساسها بانها الاعلى والافضل !

شردت صوفيا عن الاتجاه الذى يسيرون فيه جميعا وهى لا تشعر بنفسها فلقد اثقل التفكير والذهول رأسها واخذت تتقدم بخطواتها وهى شاردة الذهن وفجأة اذا بصوت ينادى عليها ويعيدها من شرودها الى الواقع فتوقفت ونظرت خلفها واذا بصديقتها "سالى " والتى لم تراها منذ نهاية امتحانات الليسانس ..

اقتربت منها سالى وتقدمت بخطواتها مُسرعة جدا وقالت .. صوفيا وحشتينى موت ..
وارتمت فى احضان صوفيا وتبادلا القبلات والاحضان وقالت لها صوفيا .. انتِ ايضا وحشتنيى جدا جدا , كيف حالك يا سالى ؟ ماذا عن اخبارك ؟
فرحلت الابتسامة التى كانت على وجه سالى بسرعة هائلة وتجسد الحزن فى عيناها واطرقت برأسها فى الارض وقالت .. انا تزوجت بعد نهاية الامتحانات بأيام قليلة !
فقالت لها صوفيا . الف مبروك حبيبتى الله يديم عليكِ السعادة ويرزقك بالذرية الصالحة
فصمتت سالى واختنقت الدموع فى عنينيها وقالت .. سعادة !! لم ارى السعادة منذ ان خطت قدمى عتبة بيت الرجل الذى تزوجتة !
صوفيا بدا عليها الحزن وقالت .. لماذا يا حبيبتى ؟ ماذا حدث ؟
فقالت لها سالى وعيونها تحبس الدموع بين جفونها .. صوفيا ماذا عن رأيك فى ان نجلس فى اى مكان قريب من هنا لنتحدث على راحتنا ؟؟
فقالت لها صوفيا مؤيدة لرغبتها .. ليس عندى اى مانع !
ولم تنسى صوفيا انها مُرتبطة ببنات عمها ولكن قررت ان تُفضل زميلتها الغالية التى يبدو عليها انها فى اشد الاحتياج لمن يستمع لها ويواسيها فى الازمة النفسية التى تجسدت وبدت متجلية على وجهها وكلماتها ..

دخلت صوفيا ومعها سالى الى اول كافيا قابلهما وتجولت سالى بعينيها فى المكان لتختار ركن هادىء وبعيد عن الناس حتى تتمكن من الحديث مع صوفيا بدون ازعاج ووقعت عيناها على منضدة فى احد الاركان وكل المناضد حولها لاتزال فارغة لا احد يجلس عليها ..
فاشارت سالى على المنضدة وقالت فلنجلس هناك يا صوفيا ؟
فقالت لها صوفيا ليس عندى مانع ..
تقدمت صوفيا وسالى خلفها وجلسن على المنضدة التى اشارت عليها سالى من بعيد ..
جلست سالى وعلى المقعد المقابل لها جلست صوفيا وقالت .. احكى لى يا سالى ماذا حدث معكِ يا حبيبتى ؟

فتنهدت سالى تنهيدة حزينة وقالت .. بعد انتهاء الامتحانات فورا تقدم لى عريس وقال اننى مستعد للزواج فى اسرع وقت ممكن فى خلال شهر ليس اكثر فشقتى فى بيت اهلى جاهزة لا ينقصها سوى قطع الاثاث فقط وفى خلال شهر ليس اكثر ستكون جاهزة لاستقبال العروس , وبالطبع اهلى فرحوا جدا لانه مُستعد للزواج فى وقت قصير جدا فى البداية اعترضت على تلك المُدة القصيرة فهى لن تكفى حتى نتعارف على بعضنا البعض بشكل كافى ولكن ماما قالت لى العريس المُستعد للزواج فى اقصر وقت ممكن افضل من العريس الذى يحتاج الى سنوات حتى يكون مُستعد للزواج فالزواج مبكرا افضل من الانتظار عام او عامين او اكثر .. وفعلا اقتنعت برأيها وكان الشهر المحدد لاتمام الزواج كان كل ما يشغلنى فيه هو شراء مستلزمات العروسة وملابس النوم وتجهيز جسدى ايضا ليكون يوم الزفاف ابيض وناعم لينال اعجاب العريس واصبح كل تفكيرى مُنصب على شىء واحد فقط .. وهو .. شهر العسل .. و الاشياء الجميلة التى تحدث بين الرجل والمرأة فى شهر العسل ! وكنت اعتقد انها قمة فى الجمال والروعة وجمالها لا يمكن وصفه لانه هكذا وهمنى .. فكان كلما لمحت له اننى اشعر بالخوف والقلق وكنت اقصد من الحياة مع رجل غريب عنى لم تُتاح لى الفرصة الكافية ان اعرفه جيدا وان اقترب منه بالدرجة التى تُزيل الحواجز بيننا يكون جوابه الوحيد .. لا تخافى ولا تقلقى ابدا فأنا حنون جدا وساكون حنون جدا معكِ .. وسأسعدك جدا .. ولا داعى للخوف .. فهى اشياء .. جميلة جدااا .. وستكونى سعيدة جدا جدا ! وفى كل مرة أُشير له عن خوفى وقلقى من الحياة القادمة مع رجل لا اعرفه حق المعرفة يكون له نفس الرد بلا تغير او محاولة لفهم معنى اخر لخوفى وقلقى !! ثم وضعت عيناها فى الارض واستطردت قائلة .. اصبحت بسبب اسلوبه وتلميحة الدائم عن العلاقة بين الزوجين وعن تلك اشياء الجميلة التى يتعجل بسببها الزواج فى اسرع وقت ممكن .. اصبحت انام واستيقظ وتلك الاشياء لا تفارق ذهنى وتوقف قلقى من الزواج بسرعة من رجل لا اعرفه وانطلقت رغباتى بكل قوتها تجاه الاشياء الجميلة التى ستحدث بيننا فى .. شهر العسل !

فقالت لها صوفيا بخجل وتردد .. ان الزواج فى مدة قصيرة ليس له اى مميزات من وجهة نظرى فما الميزة التى تكمن فى الزواج من رجل لم اتمكن من التعرف عليه اى سوف اعيش مع رجل غريب تحت سقف واحد والمشكلة الكبرى اننى ساضع حياتى ومستقبلى فى يده ومن يضمن لى ان يده هى اليد الامينة ! والمصيبة الكبرى ان الزواج ليس علاقة مؤقتة بل علاقة المفروض انها ستكون دائمة وخاصة بعد انجاب طفل ! ولكن للاسف إن الاهل لا يفكرون ويعتقدون ان العريس المستعد للزواج بسرعة عريس يجب الا يُرفض ابدااا ! ثم اخذت نفس عميق واستطردت حديثها قائلة .. المهم اكملى حديثك يا حبيبتى اعتذر على المقاطعة ..

فنظرت لها سالى وقالت : بالعكس يا صوفيا كم هو جميل كلامك وكم هى صائبة وجهة نظرك ياليتنى كنت اخذت رأيك قبل التورط فى هذا الزواج الفاشل ..

فنظرت لها صوفيا وقالت فى نفسها .. يبدو انكِ لم تقولى لى ولم تخبرينى بزواجك من الاساس لانكِ اعتقدتى وهما اننى ساحسدك واستكثر عليكِ الزواج من عريس مثل هذا !!

ثم استطردت سالى حديثها وقالت : وتم الزواج وجاءت ليلة الزفاف التى طالما حلمت بها ولا انكر انها كانت ليلة جميلة جداااا ولم يكذب حينما قال لى انها اشياء جميلة حقا .. ولكنى اعتقدت ان كل الايام ستكون مثل تلك الليلة وشهر العسل سيكون ليس ثلاثون يوما بل سيكون العمر كله !
ولكن يا صوفيا ان شهر العسل كان هو فقط تلك الليلة وما ان طلع النهار وذهب الليل وذهبت معه كل احلامى الوردية ووقفت مذهولة امام شخصية غريبة لا تعرف حنان او انسانية !

فنظرت لها صوفيا ووقالت بفضول : ماذا حدث بعد ليلتكم الاولى معا ؟
فزفرت سالى زفرة حارة وكانها جائت من قلب الجحيم وقالت : انتهت ليلة الدخله واستيقظت فى الصباح وكانت حوالى الساعة الثانية عشر ظهرا وانا لازلت تحت تأثير الحلم الجميل الذى كنت فيه ليلة أمس ولكن فتحت عيونى لم اجده بجوارى فقلت لنفسى ربما يكون فى الحمام او يُجهز لى الفطور مثلما يفعل العريس مع عروسته يوم الصبحية وكما ارى فى الافلام الرومانسية !

واين وجدتيه ؟؟ (هكذا كان سؤال صوفيا وبفضول شديد) ,, فقالت لها سالى بحسرة والم .. وجدته فى شقة والدتة يتناول الافطار معها هى واخوته !

فنظرت لها صوفيا بدهشة وقالت : معقول هذا ؟؟!!
اه والله يا صوفيا (هكذا كان رد سالى) ثم استطردت قائلة .. وعندما قلت له بمنتهى الادب والهدوء لماذا لم تنتظرنى حتى استيقظ لنفطر معا رد بمنتهى البرود وقال : انا احب ان اتناول الطعام مع امى واخوتى لاننى احب اللمة على الطعام ..!! وان كنتِ لا تريدى ان تأكلى وحدك تعالى معى الى شقة أمى وشاركينا الطعام !

والله يا صوفيا شعرت ان قطع حجارة ضخمة تتساقط واحدة تلو الاخرى فوق رأسى حتى فقدت الوعى وظللت واقفة مكانى كالتائهه التى لا تعرف كيف تتحرك من مكانها والى اين تذهب ؟!

شىء عجيب فعلا !!
ولكن اعتذر يا سالى ارجو ان تسامحينى فيما ساقول ولكن ..
يبدو ان الزواج بالنسبة له مجرد شىء ضرورى وان الزوجة بالنسبة له مجرد موظفة لها دورين فى حياتة الاول خدمتة والثانى متعتة ! (هكذا كان رد صوفيا على ماقالته سالى) ..

فقالت لها سالى .. لالا لا مكان للغضب منكِ فانتِ تقولين الحقيقة فعلا !
ولكننى لم اكتشف هذه الحقيقة الا بعد فوات الاوان , ثم وضعت يدها على بضنها وقالت .. اننى حامل يا صوفيا ولذلك نصحنى اهلى ان اتحمل واصبر ..

فقالت لها صوفيا : الف مبروك حبيبتى وحاولى ان لا تشغلى بالك به وباهله واشغلى كل تفكيرك بالطفل الذى سيأتى وان شاء الله سيكون عوض من الله لكِ ..

فابتسمت سالى ابتسامة حزينة وقالت : انه سياتى ليرى والدتة وهى تُضرب وتُهان وتُعامل مُعاملة الخادمات والجوارى !
فتجسدت الدهشة فى عيون صوفيا وقالت : ماذا تقولى ؟ اهو يَضربك ؟ ولماذا لم تطلبى منه الطلاق ؟ طالما انه حيوان الى هذه الدرجة ؟؟

فصمتت سالى قليلا ثم قالت : انه الحمل الثانى يا صوفيا , انا وبعد اسبوعين من الزواج ارتديت ملابسى وقررت ان اذهب لزيارة بيت اهلى وبعدما خرجت من باب الشقة ورغم اننى كنت استأذنته مسبقا ووافق ولم يمانع رأتنى والدتة وقالت لى الى اين انتِ ذاهبة ؟ فقلت لها لزيارة امى وبيت اهلى , فقالت لى .. عودى الى شقتكِ انتِ حامل وفى الايام الاولى من الحمل ولن اسمح لكِ بالنزول مطلقا ,, فقلت لها ولكننى استأذنت من زوجى وهو موافق , فخرج زوجى من الشقة وقال لى .. نفذى تعليمات امى بلا نقاش , والحق يقال اننى تعصبت عليه جدا وشعرت بالضيق ولم يكن له اى رد فعل سوى انه لطمنى على وجهى امامها وامام اخوته جميعا ومن قوة اللطمة سقطت على السلم وسقط الحمل !
وبعدها صارحت اهلى اننى لا اريد ان استمر معه واريد الطلاق فصرخت امى فى وجهى وقالت لى .. اتريدى الناس تقول عنكِ مطلقة ومطلقة بعد اسابيع من الزواج ؟ تحملى وارضى بنصيبك يا ابنتى !
فقالت لها صوفيا تعاطفا معها ومحاولةً تهدئتها : حبيبتى يا سالى كل انسان به عيوب وله سلبيات وهل زوجك ليس له مميزات اطلاقا ؟ دائما قاسى معكِ ؟ هل هذا معقول ؟
فابتسمت سالى ابتسامة حزينة مقهورة وقالت : الحق يُقال ان الرجل حنون جدا معى وهادىء جدا ويعاملنى معاملة الاطفال ولكن فى حالة واحدة فقط .. فقط عندما يريد ان استسلم له على فراشه ليُشبع رغباتة فى جسدى وما ان ينتهى من إلتهام جسدى ويعود الى حقيقتة الحيوانية القاسية مرة اخرى وهكذا الحال على نفس المنوال منذ ان تزوجتة وحتى الان !! يتقمص دور انسان عندما يريد جسدى وبعدها .. تعود ريمة الى عادتها القديمة !
فاطرقت صوفيا عيناها على الارض وقالت .. شىء مؤسف حقا !
فاستطردت سالى حديثها قائلة : والمؤسف اكثر اننى لا اجد اى خصوصية نهائى فالشقة التى اعيش فيها والتى تُسمى امام الناس شقتى لا اتهنى على الجلوس فيها براحتى لحظة واحدة فشقيقتة التى لاتزال بلا زواج حتى الان جالسة معى دائما وكأنها تراقبنى وتعُد انفاسى وحتى عندما اكون انا وزوجى بمفردنا فى الشقة فى المساء تظل جالسة معنا وحتى يغلب عليها النوم !! وكانها تغار على شقيقها منى !!
وطبعا عندما قلت له اننى اشعر بالضيق من هذا الاسلوب لم اجد رد منع سوى الاهانة والوقاحة !

ثم تنهدت تنهيدة قوية وصمتت قليلا ثم قالت : وانتِ يا صوفيا ماذا عن اخبارك ؟ , فظلت صوفيا صامتة وكأنها تفكر فى شىء بعيد جدا ثم انتبهت لسالى وقالت : انا ؟؟ تمت خطبتى منذ شهور

فنظرت سالى فى اصابع يد صوفيا وقالت : ولكننى لا ارى دبلة الخُطبة فى يدكِ ؟

فقالت لها صوفيا بحزن شديد : لا اطيقها فى يدى يا سالى اننى اشعر انها ليست دبلة فى احد اصابعى بل اشعر انها طوق حديد فى رقبتى .. !

فسالتها سالى بفضول وقالت : لماذا ينتابك هذا الشعور ؟ اذا كنتِ ترينه غير لائق بكِ لا تستمرى معه ولا تتركى نفسك تقعى فى نفس الخطأ الذى وقعت انا فيه ..

والله يا سالى انا وافقت على تلك الخُطبة بهدف التعارف فقط وقرار الزواج كان قرار متعلق برأيى النهائى عنه هو واسرته ولكننى منذ ان عرفته وانا لا اشعر بشىء سوى شىء واحد .. الا وهو .. الإهانة !

(هكذا قالت صوفيا ردا على سالى) ثم استطردت قائلة .. ولكن بعد دراسة لشخصيتة واسلوب تربيتة ودرجة وقوعة تحت تاثير اسرته سأتخذ القرار النهائى قريبا ..

اذا كانت شقتة فى بيت اهله لا تستمرى معه يا صوفيا فوالله لن تنعمى بالراحة لحظة واحدة وستكون حياتك تحت رقابة اسرتة وسيقتحمون حياتك وخصوصياتك بكل الطرق !

اذا كان ضعيف الشخصية ويقع تحت تأثير والدتة او والده او اسرته بصفه عامة لا تستمرى معه يا صوفيا فوالله لن تشعرى بشىء طوال حياتك معه الا بشىء واحد فقط .. انكِ تتعاملين مع رجل مجرد جسد فقط ولن تجدى له رأى او موقف فكما يقولون له سيفعل ولن يعدك بشىء وينفذه ابدا فعقله لن يكون فى رأسه بل يكون فى يد اسرته الواقع تحت تاثيرها يتلاعبون به كيفما يشاؤن وعلى حسب اهوائهم الشخصية !

اذا كان بخيل لا تستمرى معه يا صوفيا فوالله لا يجعل الزوجة تكره حياتها وتكره زوجها الا البخل وخاصة اذا كان البخل معها هى فقط اما الكرم والجود مع اسرته فقط وكانهم هم الاحباب وهى الغريبة التى يجب التعامل معها فى اضيق الحدود وباقل شىء ممكن !

اذا كان لا يعى جيدا معنى قوة الشخصية الحقيقى , ومعنى الرجولة الحقيقى , ومعنى الاحساس بالمسؤلية الحقيقى .. لا تستمرى معه يا صوفيا فوالله لن تجدى معه الا شبه رجل فالرجل الذى لا يفهم جيدا تلك المعانى ستجدى انه لاشىء فى صورة رجل !

فالرجل يا صوفيا ان لم يكن رجل بمعنى الكلمة فسيكون كالحائط المائل الذى اذا استظلت به زوجتة وقع فوق رأسها وأدى الى تحطيمها ..! (هكذا قالت سالى ناصحة لصوفيا) ..

فقالت لها صوفيا.. والله يا سالى ان كل مافلتيه الان هو مُلخص بسيط عن الشىء الابله الذى القى به القدر فوق رأسى , واضيف على كلامك الصائب وبشدة جملة واحدة ايضا .. انه مثل الولايا مكسورين الجناح المغلوبين على امرهن اللاتى يظلن جالسين بجوار الحائط متفرغين للبكاء والشكوى فى انتظار ولى امرهن صاحب الامر والنهى , انه مثل البنت الخائبة التى لا تجرؤ ان تقول الا ما تلقنه لها أمها ولا تجرؤ ان تتحرك من مكانها الا بعدما ياذن لها ابوها وبلا عقل ومسلوبة الإرادة .. فى جسد رجل !

يا الله .. انفدى بجلدك يا صوفيا قبل فوات الاوان (هكذا كان رد سالى على صوفيا) , ثم نظرت سالى فى ساعة يدها وقالت .. ان الحديث معكِ اخذنى بشدة وكنت مشتاقة لكِ والله كانت صدفة بالنسبة لى حلوة جدا لكن اعتقد انها بالنسبة لكِ صدفة ازعجتكِ واصابتكِ بالشقيقة وابتسمت ساخرة من نفسها لانها تحدثت كثيرا جدا .. فنظرت لها صوفيا وقالت : بالعكس يا سالى ان كنتِ تحدثتى كثيرا عن نفسك لكنكِ منحتينى نصائح وخلاصة تجربتكِ والتى ستفيدنى اكيد .. بالعكس .. انها كانت .. صدفة جميلة .. حقا .

-15-
أخــر مــرة

كانت صوفيا جالسة فى غرفتها وفوجئت بفوزية زوجة عمها تدخل عليها الغرفة بعدما استاذنت منها وهى تمسك التليفون ذو السلك الطويل جداا وهى تقول بصوت خافت .. صوفيا .. حبيبتى .. تليفون لكِ
فانتبهت صوفيا وقامت من مكانها حيث كانت جالسة على المقعد الهزاز الخاص بها وهى تقول .. من المتصل ؟؟ فقاللت لها .. انه وليد خطيبك
فاخذت صوفيا التليفون واتجهت ناحية السرير وجلست على حافته وفى نفس اللحظة خرجت فوزية واغلقت الباب خلفها ...
وضعت صوفيا سماعة التليفون على اذنها اليسرى وقالت : الوو
وليد : كيف حالك يا حبيبتى , وحشتينى جداا ..
صوفيا : انا الحمد لله بخير , كيف حالك انت ؟
وليد : بخير , لكن اسمعى ما سوف اقوله لكِ .. انه شىء هام جدا
صوفيا : انتبهت وقالت بتركيز.. خير ان شاء الله ؟
وليد : بابا يقول انكِ لابد ان ترتدى الحجاب ولذلك انا قررت ان ترتدى الحجاب !
صوفيا : انا عندما اقرر إرتداء الحجاب سيكون هذا القرار من اجل ارضاء الله ولكن من حق الرجل الذى سيكون زوجى ان اظهربالصورة التى لا تخدش كبريائة كرجل فاذا طلبت منى إرتداء الحجاب فلا مناع عندى ولكنى لن افعل شىء لان والدك هو الذى يريده انا ساكون زوجتك انت او زوجة ابيك ؟؟
وليد : نعم .. نعم .. كلامك صح ولكن طالما ان بابا قال هذا فيجب ان يُنفذ .. بالاضافة الى ..
بابا يقول انكِ يجب عليكِ ان تستأذنى منى قبل الخروج من المنزل ولذلك انا قررت الا تخرجى
من المنزل قبل ان تستأذنى منى اولا !

بابا يقول انه قرر ان يزوجنا قريبا ولذلك استعدى وجهزى حالك على هذا الاساس !
ماما تقول ان صوفيا اهم حاجة يحب ان تتعلمها هى التدبير والتوفير , ماما تشعر بالقلق وتقول ان صوفيا
ستأتى الى بيتنا وهى مُعتادة على الرفاهية فى بيت عمها ولذلك هى تشعر بالقلق على نقودى التى ربما
تضيعينها انتِ بطريقة تفكيرك ولذلك ماما قررت ان نعيش معها فى نفس الشقة ونأكل معها فى نفس
الطبق .. ! ثم قطع حديثه وقال : صوفيا .. لماذا لا تتكلمين ؟؟ اين ردك على كلامى ؟؟
صوفيا : اننى اسمع ! , هل انهيت كلام ماما وبابا ام لازال هناك باقى لحديثهم لم تقوله بعد ؟؟!
ومتى سيكون لك كلام خاص بك ؟؟
وليد : ماذا تقصدين ؟؟
صوفيا : ثم صمتت قليلا وكانها تركز فى شىء ما ثم قالت .. ما هذه الاصوات التى اسمعها ؟ هل يوجد احد يجلس بجوارك ؟؟
وليد : نعم انه بابا ..
صوفيا : وهل يصح ان تتحدث مع خطيبتك وبابا يجلس بجوارك ؟؟ اليس هناك شىء عندكم يسمى خصوصية ؟؟
وليد : بانفعال وعصبية شديدة قال .. بابا فقط هو من لدية الخصوصية وشىء عادى جدا ان يكون جالس بجوارى , وما المشكلة فى ذلك ؟ انا اعيش فى بيته وأكل وأشرب من خيره , اتريدنى ان اقول له اخرج ودعنى وحدى فى الغرفة لاتحدث مع صوفيا ؟؟
صوفيا : كلنا نعيش فى بيوت اهلنا وكلنا ناكل ونشرب من خير اهلنا ولكن لكل منا خصوصيته وهذا شىء وملكية البيت لمن تكون شىء اخر !!
وليد : بعد ان صمت قليلا ثم قال .. بابا يقول لكِ انه من حقه ان يعرف كل شىء عنا وخصوصا مشاكلنا حتى يُحلها لنا انه يجلس معنا لمصلحتنا
صوفيا : وهل نحن اطفال صغار حتى نجلس معا تحت رقابة ورعاية الكبار ؟؟ إن كان ابوك يراك طفلا فانا لست طفلة ! والى متى ستظل هكذا ؟ الى متى ستظل تكرر كلمات ابوك ؟ الم يأن الوقت لتقول كلمات نابعة من عقلك انت ؟ ان تكون شخصية مستقلة ؟ ان تكون صاحب عقل مكانة فى رأسك وليس فى يد من حولك يتلاعبون به مثل الكرة ؟؟
وليد : بانفعال وعدوانية شديدة قال .. انا هكذا وسأظل هكذا طالما ان بابا وماما راضين عنى كل الرضا فهم جنتى وهم نارى ..
صوفيا : انا منذ ان عرفتك وانا احاول ان اصنع منك رجلا لكن للاسف انا اشعر انك مجرد ذيل مركب فى جسد ابوك وحقا إن حالتك ميؤس منها ولذلك لن استطيع الاستمرار معك اكثر من هذا ..
وليد : بعد فترة صمت قليلة وصوت بجواره يتحدث لكنه غير مفهوم لصوفيا قال .. وانا لن اتركك وساتزوج بأخرى خلال ايام ..

صوفيا : ضحكت ضحكة ساخرة وقالت متهكمة .. الم اقل لك انك مجرد ذيل مركب فى ظهر ابوك !! ولكن قبل ان انهى هذه المكالمة والتى هى آخر مرة

تسمع فيها صوتى وآخر مرة اقول لك فيها شىء رغم اننى اعرف انك لن تتعلم ابدا ولن تتغير حتى نهاية وجودك فى الحياة ولكنى ساقولها لك ..

ان انعدام الشخصية والتابعية الفكرية والعقلية وضيق الافق من أهم اسباب الضياع .

اغلقت صوفيا سماعة التليفون ووضعته على السرير وقامت واقفة وهى منفعلة بشدة وغاضبة جدا واخذت تتجول فى الغرفة ثم وقفت تنظر الى الصورة المعلقة على الحائط والتى صورتها هى ووليد فى حفلة الخُطبة وظلت واقفه تنظر بتركيز شديد وكأنها تسترجع احاسيس بعينها وقالت لصورتها .. لم تكن على ملامحك اى علامات الفرح او حتى التفائل وكانك كنتِ على يقين ان هذا الشىء واسرته لن ياتى من خلفهم خير ابدااا .. ثم نظرت الى صورة وليد وظلت تحدق فيها بكل قوتها وقد تحولت نظرة عيناها الى نظرة مشتعلة بالغضب الممزوج باللاشمئزاز والنفور والدهشة والتعجب ووجدت نفسها تهمهم قائلة ..

يا غريب الاطوار .. من اتى بك الى دربى

اكانت خطة لاستعمار قلبى .. ام كانت مؤامرة من عدوا اراد قتلى

اى غزوا هذا الذى غزيته لعمرى .. غزو من اجل الامتلاك ام فقط لتشويه قدرى

على ورقة سوداء كانت رسوم الخطة .. وبزيف قلم اتخذت الى كيانى مسار

فانحرفت عن الصواب حياتى .. واقتحمت انت مدينتى والبستها ثوب الدمار

ولكنك لعقلى جاهلا ... ولاتدرى اننى لااستسلم لغزو ولا يشغلنى رغبة الاستعمار

وبعقلى وبعون ربى ... اخرجتك ذليل من مدينتى ولم تكن فى يوما من الاخيار

ولست نادمه فانه لم يكن يوما سوء اختيار ... بل كانت خطة من مرضى اشرار .

ثم انتبهت فجأة وكانها كانت لا تدرى كيف قالت تلك الكلمات ثم قالت فى نفسها .. كيف قلت تلك الكلمات ااصبحت اقول شعرا ؟؟ حقا .. كم من كلمات نابعة من عذاب وأهات !!

استعادت صوفيا قوتها وهدئت اعصابها وقررت ان تخرج الى عمها لتحكى له ماحدث وتقول له خلاصة استنتاجاتها عن شخصية وليد الإمعة الابله والتى كانت حصيلة علاقتها به طوال عدة الشهور الماضية وتخبره بقرارها النهائى والذى لا رجعه فيه ..

فتحت صوفيا بابا غرفتها واذا بها تجد عمها وزوجة عمها ونرمين ومنار ومفيدة وجميعهم متواجدين فى الصالة معا ..

وبمجرد ان لمحها عمها سعيد قال لها .. تعالى يا صوفيا ..

فاقتربت صوفيا وجلست على المقعد المجاور لمقعد عمها واصبحت فوزية وبناتها الثلاثة جالسين بجوار بعضهن البعض ..

ثم قال لها عمها سعيد : انا كنت اود ان اجتمع معكِ انتِ وبنات عمك اليوم لنتحدث سويا ونتخذ القرار النهائى فى قرار زواجك انتِ وبنات عمك , ثم نظرالى بناته الثلاث واستطرد حديثه قائلا .. وقبل ان اعرف منكن قراركن النهائى اود ان اقول ان هذه المرة .. هى .. آخر مرة .. احاول فيها ان اساعدكن لاتخاذ القرار النهائى السليم , هى .. آخر مرة .. احاول ان اساعدكن على فتح عيونكن على الحقيقة .. قبل فوات الاوان .. قبل ان تقع الفأس فى الرأس كما يقولون فى الامثل الشعبية ! فانا ان كنت وافقت على خطبتكن فكانت موافقة مبدئية بهدف ان اعطيكن فرصة للتفكير على اساس واقعى ..

ثم نظر الى نرمين وقال لها سنبدأ بكِ يا نرمين .. هل ستستمرى مع خطيبك مصطفى ام لا ؟

فنظرت له بخجل وقالت : نعم .. انه متعجل جدا على اتمام الزواج ويريد ان نحدد موعد الدخلة باسرع وقت

فنظر لها وقال : دامت فترة التعارف بينكم اكثر من سنة ارجو ان تقولى لى ما العيوب والسلبيات التى وجدتيها فيه ؟ وهل ستكونى قادرة على تحملها او على التاقلم معها ؟

فاطرقت نرمين برأسها فى الارض ثم رفعت عيناها قليلا وقالت .. انه حريص بعض الشىء ولا يهتم بالنواحى المعنوية بل المادية عنده اهم وفى المقام الاول ويحب والدتة كثيرا ويحترمها ثم غمغمت الكلام وقالت ولكنه يحبنى يا بابا ومتعجل جدا على الزواج ويقول اود ان تكون ليلة الدخلة اليوم قبل غدا , نعم ساستمر معه ..

فقاطعها والدها قائلا .. تريدى ان تستمرى فلا مانع ولكن قولى يا بابا انا هستمر معه رغم انه بخيل , رغم انه قليل الذوق , رغم انه النقود عنده اهم من سعادتى وروحى المعنوية , رغم انه يطيع والدتة مثل الطفل الصغير , رغم انه ليس له علاقة بالرقى الاخلاقى , فقط لانه متعجل على اتمام الدخلة !! اتفقنا يا نرمين ولكن لا تاتى فى يوم وتقولى لى يا بابا انقذنى منه

اتفقنا (هكذا كان رد نرمين على والدها سعيد) ..

ثم نظر الى منار وقال لها .. وانت يا منار ؟

نعم ساستمر معه يا بابا انه يريد ان نتزوج سريعا (هكذا كان رد منار)

فقال لها .. استمرى يا منار ولكن اياكِ ان تنسى ما سوف اقوله لكِ الان .. ان الرجل حينما يكون اقل من زوجتة ويشعر بالنقص ناحيتها يحطمها ويحطم مستقبلها بدون اى تردد وبلا وعى !

وارجو ان لا تتناسى شىء اخر ألا وهو انه منذ ان تمكن منكِ ومن مشاعركِ وهو يتعامل معكِ بتجاهل وتكبر وبات يستضعفكِ بسبب تعلقك الزائد به , استمرى يا منار ولكن اياكِ ان تاتى وتشتكى وتقولى لى كنت مخطئة يا بابا لان وقتها لن ينفع الندم والاعتراف بالخطأ .

ثم نظر الى مفيدة وقال متهكما .. طبعا انتِ ستسمترى معه رغم انفه فأنتِ اهم شىء عندك انكِ اصبح لديكِ رجل طالما حلمتى بامتلاكه رغم انه .. بخيل وسخيف وقليل الذوق وتابع لوالدتة واسرته وكل السلبيات فيه

فقالت له مفيدة نعم بتبجح .. نعم ساتزوجة لاننى اريد ان اتزوج وهو ايضا متعجل على اتمام الزواج مثلى وارجو ان تحدد موعد لزفافى لاننى اريد ان اتزوج بسرعة وهو ايضا

فرمقها بنظرة اعادتها الى صمتها خوفا من تدهور الموقف وخروج والدها عن شعوره !

ثم نظر الى صوفيا وقال .. جعلتكِ تنتظرين حتى انُهى حديثى معهن حتى يكون ختامة مسك , لعلهن يدركن كيف للعقل ان يفكر ويدبر ويتخذ القرارات الصائبة التى لا ندم بعدها وبعد فوات الاوان , هل ستكملى علاقتكِ بخطيبك يا صوفيا ولماذا ؟؟

لم تمر لحظة واحدة فقط شعرت فيها انه رجل ..

لم تمر لحظة واحدة شعرت فيها انه انسان ..

انه لا يقول الا ما تلقنه له والدته ويُصرح بهذا بمنتهى القوة وكانه هو الصواب بعينه ..

انه لا يجرؤ على فعل شىء او حتى التحر ك من مكانه الا بعد ان يسمح له والده ويتباهى بذلك وكانه هو حق لوالده عليه ..

انه لا كلمة له ولا رأى ..

انه مثل العرائس الخشبية التى يحركها اخرين باطراف اصابعهم من خلف الستار ..

انه بلا عقل فعقله فى يد اسرته تلعب به كيفما تشاء ..

انه ابله وامعه بكل ما تحمله الكلمة من معنى ..

انا من البداية لم اشعر تجاهم باى راحة ولكننى قررت ان اخوض التجربة حتى اتاكد اننى على حق ولا اصدر احكام على الناس باطلة وبدون وجه حق ..

انه ليس له كلمة ولا يفى بوعد , فيقول لى شىء ثم يعود ويغيره ! , يوعدنى بشىء ثم يخلفه ! بمنتهى البساطة لانه ليس صاحب قرار وليس مالكا حتى لنفسه ! انه هو وكل شىء ملك لوالده ..

انه فى مرة قال لى اننى احبك جدا ..

فرحت ولكن لم تتركنى والدتة انعم بالفرحة فلم يمُر ثوانى الا واتصل بى مرة اخرى وقال .. اياكِ ان تعتقدى لاننى احبك سوف اتركِ تتدللين على وتفعلين ما يحلو لكِ وتركبى على وتسوقينى حيثما تُريدى !

فتعجبت ولكن لم يتركنى اتعجب كثيرا فاستطرد حديثه قائلا ان أمى قالت لى اقول لكِ هذه الكلمات !

ولم تكن اول مرة ولا آخر مرة انه هكذا منذ عرفته حتى الان ..

حاولت ان استوعبه بعقلى الكبير واحاول ان اغيره واجعل منه رجل واجعل منه اسنان طبيعى ولكن انه ليعطى لى ايحاء انه رجل اهاننى بدلا من المرة اكثر من مرة على مسمع من والدتة ووالده وشقيقتة ليروا كم هو رجل ويعرف كيف يُسىء الى خطيبته ويهينيها جيدا !

وعندا فقدت الامل فيه واجهته وصارحته وقلت له متى ستتغير ؟ قال لى .. لن اتغير !

يا عمى انا وبعد تفكير عميق ومحاولات للتغير وبعد ان استنفذت كل طاقتى مع مخلوق غريب الاطوار فاشل ضعيف مجرد جسم متحرك بلا عقل مجرد ذيل مركب فى جسد ابيه .. انا قررت ان انهى تلك العلاقة واحذفه من حياتى واستكمل حياتى وحدى حتى يشاء القدر ويرسل لى رجل بمعنى الكلمة اشعر معه بالامان واجد معه الحماية من غدر الزمان و الانسان وان كان من دمه

(هكذا كان جواب صوفيا على سؤال عمها سعيد)

فنظرت لها نرمين وقالت .. حبيتى يا صوفيا ولكنى عندما انظر فى عيناه وهو ينظر لكِ اشعر انه يحبك راجعى نفسك يا صوفيا ..

وهل الجماد يمكنه ان يعشق ؟ هكذا هو جسد متحرك بلا عقل مثل العرائس الخشبية يحركها اخرون من خلف الستار , لذلك لن يعرف معنى الحب ولن يتمكن من حب إمرأة مثلى عقلها فى رأسها وليس فى يد الاخرين مثله , الحُر هو فقط من يجيد فن الحب والعطاء اما العبد فليس له الحق فى العشق والحنين **, الحب** ليس للضعفاء المُفلسين .. (هكذا كان رد صوفيا على نرمين)

فنظرت لها منار بنظرة عيناها الحالمة الرومانسية وقالت .. انا ارى انكِ يا صوفيا تنظرين بكل قوتك الى العيوب والسلبيات فلتاخذى الامور برومانسية اكثر انتِ رقيقة وجميلة وستكون حياتكم معا كلها رومانسية ..

الرومانسية جميلة واعشقها حقا ولكن .. الرومانسية لا تصلح ان تكون اساس قوى ابنى عليه حياتى , والرومانسية ستكون لحظات ولكن طوال الوقت ساكون فى مواجهة مع الواقع المُر..

(هكذا كان جواب صوفيا على منار)

فرمقتها مفيدة بنظرة احتلها الغباء وسيطر عليها الحقد وقالت .. سأتزوج انا ومنار ونرمين وستظلين انتِ هنا وحدك , اتريدى ان تظلى وحدك ؟؟

الوحدة قاسية ولكنها اكثر رحمة وارقى إحساسا من الجرح والعذاب والتضحيه من اجل وهم ..

(هكذا كان جواب صوفيا على مفيدة) ,

فعادت نرمين وقالت : انتِ يا صوفيا فى اشد الاحتياج الى انسان يحبك والله اننى ارى انه يحبك ومنذ ان عرفك وهو متعجل على الزواج منكِ ..

اننى لن ابحث عن العشق فهو يكمن بداخلى متوهجا بين احشائى ولن ابحث عن العشيق فالقدر سيسوقة الى فى وقت ما حيثما اكون ولن يتأخر عن موعده لحظة واحدة .. ولذلك حتى لو كان يحبنى لن اضحى واغامربحياتى مع مخلوق عديم الكيان والعقل مثل هذا (هكذا كان جواب صوفيا على نرمين) ,

فنظرت لها فوزية زوجة عمها وقالت : والله انتِ اصابكِ الحسد يا صوفيا كنتِ بخير وفجأة قررتِ ان تتركى خطيبك والله انه حسد !

تتجمع الانفعالات البسيطة وتترسب فوق بعضها البعض حتى تصبح كومة عملاقة داخل الانسان فتصيبه بالاختناق الشديد والرغبة المُلحة فى الانفجار بهدف دفعها خارجا قبل ان تقتله فيثور بكل قوته وحينها يعتقد الاخرين انها حالة هيجان عصبى مفاجىء ليس له سبب او اصابة بالحسد والعين ! (هكذ كان رد صوفيا على فوزية زوجة عمها) ,

ثم عادت منار لحديثها الرومانسى الخيالى وقالت : امنحيه فرصه يا صوفيا ربما يؤنب ضميرة انه اغضبكِ ويعود بعد قليل ويطلب منكِ السماح ..

تأنيب الضمير وشبح الاخطاء لا يطارد الا اصحاب الأنا العالية الذين أجبرتهم الظروف على الخطيئة .. واما الذى مثله فلن يؤنب ضميره اطلاقا لانه مجرد جسد بلا كيان ! (هكذا ردت صوفيا على منار)

صوت اذان العشاء ..

فقطع سعيد الحديث وقال : سوف انزل لاصلى العشاء وسوف نكمل حديثنا فيما بعد ..

وتركهم واتجه ناحية باب الشقة وخرج واغلق الباب خلفه ..

فنظرت مفيدة الى صوفيا وقالت : بدلا من ان تفكرى فى عيوبه وسلبياته فكرى فى ليلة الدخلة فى السرير فى شهر العسل ..

وقالت منار : فكرى فى الحب والليالى الرومانسية ..

وقالت نرمين : فكرى فى نظرات الحب التى تملاء عيناه وهو ينظر لكِ فكرى فى حبه لكِ ..

وانا ساقول لكم شىء اخر .. لا تنساق خلف أهوائك من البداية وحتى يفوت الاوان ثم تعود تبكى وتطلب العون .. حكم عقلك من البدايه حتى لاتندم بعد فوات الاوان !

فرمقتها مفيدة بنظرة كلها غل وغباء وقالت بانفعال ومتهكمة : ماذا تريدى ان تقولى؟ انكِ الوحيدة التى تفهمى كل شىء ؟ انكِ العاقلة ونحن المجانين ؟

فنظرت لها فوزية والدتها وقالت بعصبية : مفيدة ! , ثم غمغمت الكلام ووجهته لصوفيا وقالت : حبيبتى يا صوفيا اننا نريد ان نفرح بكِ ونطمئن عليكِ فى بيتك سعيدة ..

السعادة لا تكون مع اشباه الرجال يا زوجة عمى ! , السعادة ليست فى الجنس يا مفيدة !

السعادة ليست فى الرومانسية وحدها يا منار ! , السعادة ليست فى الشكل الجميل يا نرمين !

السعادة ليست فى الكلام المعسول , والحب ليس بالكلام فالحب تصرفات وافعال !

والعلاقة بين الزوجين ليست هى شهر العسل ..

ان شهر العسل ثلاثون يوما وان كان ثلاثون حقا , اما العلاقة الزوجية فهى دهرا , فكيف لى ان أراهن على عمرى مقابل شهرا ؟؟!

-16-
ليلة نرمين

اغسطس 2000

جلست نرمين فى الكُوافير والذى وقع عليه الإختيار من مصطفى لانه يعتبر صاحب اقل تكلفة وخاصة فى خدمة مكياج العروسة , ومعها صوفيا , منار ومفيدة ..

وفجأة سمعوا صوت طبل ومُزمار واصوات ناس كثيرة جدا فقالوا جميعا يبدو ان العريس قد جاء بصحبة الزفة والتى ستُرافق العروسين عند خروجهما من الكُوافير ..

خرجت صوفيا تنظر وفوجئت بمصطفى قد جاء فعلا ولكن معه عدد كبير جداااا من الناس وكأنهم اهل قريته جميعا بالاضافة الى الاطفال الصغار والنساء وحتى السيارة التى من المفروض ان يستقلها العروسين بها ناس واطفال ..!!

دخلت صوفيا الى الكُوافير مرة اخرى ولكنها لم تنطق باى كلمة فسألتها نرمين .. هل هذا مصطفى ؟ فقالت لها صوفيا .. نعم ! والتزمت الصمت بعدها ..

دخل مصطفى العريس الى الكُوافير فانتبهت له نرمين ونظرت له بسعادة بالغة وظلت عيناها مُتعلقة عليه لا تُحركها يمين او يسار ! فقال لها مصطفى .. هيا بنا يا عروسة

فقامت نرمين من على المقعد التى كانت جالسة عليه ووقفت ولكن حينما وقفت اصبح فستان الزفاف الذى ترتديه يبدو على حقيقتة اكثر فهو يبدو كبير عليها وطويل جداا , ذلك لان صديقتها التى اقترضت منها الفستان اطول واسمن منها ولذلك فان الفستان يبدو على نرمين غير مُهندم بالمرة ..

فقالت صوفيا فى نفسها : هكذا يكون مظهرك ليلة زفافك يا نرمين فستان قديم ارتدته صديقتك من قبل , ومكياج وتسريحة شعر على مستوى غير لائق اطلاقا هكذا يكون شكلك يوم زفافك يا نرمين يا من لم تعرفى يوما سوى معنى الرفاهية !

ثم اقتربت فتاة من ضمن الفتيات اللاتى قمن بوضع المكياج للعروسة نرمين وقالت مُوجه الحديث لمصطفى .. الف مبروك يا عريس , اين الإكرامية لى انا والبنات ؟

فنظر لها مصطفى بغباء وقال : انا دفعت تكاليف الكُوافير كاملة ولن ادفع اى شىء اخر !

فصعقت الفتاة ونظرت لزميلاتها وقالت همسا : ما هذا الرجل الغريب انه مُقرفُ حقا ؟؟

شعر الجميع بالإحراج ما عادا نرمين لم تُعير اى اهمية للموقف ولسخافة مصطفى وظلت كما هى هائمة حالمة مبتسمة لا تشعر باى شىء مما حولها .. !

اخذ مصطفى نرمين فى يده وخرج من الكُوافير وخلفه منار وصوفيا ومفيدة والثلاثة كانوا فى ابهى صورهن فكلا منهن كانت ترتدى فستان غالى جدا وانيق وتضع مكياج هادىء رقيق وتسريحة شعر رائعة جداا ولانهن قاموا بعمل المكياج وتسريحات الشعر فى كُوافير اخر غالى جدا وقد اعتادوا على التعامل معه منذ سنوات طويلة ..

كانت والدة نرمين فوزية ووالدها سعيد يستقلون سيارتهم الخاصة والتى كانت تقف بالقرب من الكُوافير وما ان ظهرت نرمين وهى فى يد مصطفى على باب الكُوافير وانهمرت الدموع من عين فوزية والدتها ووالدها سعيد هو ايضا لم يستطيع ان يتمالك نفسه ويحبس دموعه وقالت فوزية : اهكذا تكون ليلة نرمين ؟ ليلة زفافها تكون على هذه الصورة ؟ بلا فرح كبير ؟ بلا فستان انيق ؟ حتى بلا زفة نفرح بها ؟ وكل هذا من اجل توفير التكاليف ؟ لماذا تفعل فى نفسها هكذا ؟

فنظر لها سعيد وقال : اليس هذا هو إختيارها ؟ اليس هى من تمسكت بشخص مثل هذا لانه شكله جميل ؟

فمسحت فوزية دموعها وقالت : خلاص يا سعيد ارجوك كل انسان لا يأخذ الا نصيبه !

تقدمت نرمين لتستقل سيارة العروسين وما ان فتح لها مصطفى الباب الا ووجدت اطفال صغار جالسين على الكنبة الخلفية التى من المفروض التى تجلس عليها نرمين ومصطفى !!

فنظرت مفيدة وقالت : ما هذا ؟ اليس من المعروف ان هنا ستجلس العروسة وعريسها ؟ ونظرت للنساء القادمين مع مصطفى وقالت : هؤلاء الاطفال من ابيهم او امهم لتاتى وتأخذهم ؟

فنظرت لها احدى النساء التى كانت تقف بجوار السيارة وقالت لها بامتعاض شديد : انهم اطفالى وماذا فيها ان يجلسون هنا انهم يريدون ان يجلسوا بجوار العروسة !

فنظر مصطفى لنرمين وقال لها اركبى انت وانا سوف احمل الاطفال على قدمى !

ركبت نرمين والغيظ الشديد من مفيدة ومنار وصوفيا محيط بها وركب مصطفى ايضا وذهبت منار وصوفيا ومفيدة ليركبن سيارة سعيد والدهم ليتبعوا نرمين حتى تصل الى بيت عريسها مصطفى ..

اندفعت سيارة العروسين وخلفها سيارت نصف نقل مُحملة باقارب مصطفى والذين جاءوا معه ليرافقوه وهو يأخذ العروسة من الكُوافير وخلفهم سيارة والدها سعيد واسرته ..

كانت نرمين تنظر من نافذة السيارة وهائمة وشاردة ولا تشعر باللحظة التى تعيشها الان بل تعيش فى عالم آخر وكانها فى حُلم وكان الطريق جميل جدااا وممتع والليل ساحر وما ان بدات السيارة تقترب من القرية التى يسكن فيها مصطفى والتى ستكون مقرها الدائم والاساسى ابتداء من اليوم بدات تشعر بالضيق فالطريق مُظلم جدااا وبشكل مُخيف واصوات الضفاضع توحى ان الضفاضع فى كل مكان , وشكل الاشجار والزرع مع ظلام الليل مُخيف جدااا فقالت نرمين فى نفسها .. لماذا انتابنى الضيق انادمة على قرارى ؟ ولكن سرعان ما تمسحت فى الامل وقالت .. ان الجو مُخيف حقا ولكننى لن اسير على قدمى فى ذلك الليل المُخيف انها كلها لحظات واكون فى غرفة نومى انا ومصطفى عريسى الجميل .. ان الليلة هى ليلتى .. ان الليلة هى ليلة دخلتى .. ان الليلة هى اول ليلة فى العسل .. انها ليلتك يا نرمين فلا داعى ان تفسدى على نفسك الفرحة واجعلى كل تركيزك فى .. العسل .. شهر العسل .. والذى سيبدأ بعد قليل ...

وصلت سيارة العروسين الى المنزل وكانت والدة مصطفى ومعها نساء كثيرة ومنهن طبعا نساء اشقائه الذكور واقفين على باب المنزل لاستقبال العروسين ..

نزلت نرمين ومصطفى من السيارة واتجهوا نحو باب المنزل ولكن قابلت والدة مصطفى العريس مصطفى بالاحضان وقابلت نرمين العروسة بنظرات حقد وغل وكانها تقول لها لقد جئتى الى سوء قدركِ ..

ظنت نرمين ان الناس الكثيرة التى رافقتهم من الكُوافير الى القرية سينصرفوا بمجرد وصولهم الى البيت ولكن الغريب ان مصطفى اخذ نرمين وصعدوا الى شقتهم وصعد خلفهم الناس الكثيرة !

فقالت نرمين فى نفسها : ما هذا اسيظلون معنا هؤلاء الناس ؟؟ شىء غريب !

دخل مصطفى ومعه نرمين الى غرفة النوم والغريب ان الناس دخلوا ورائهم !

فقالت نرمين لمصطفى بصوت خافت : ما هذا لماذا هو متواجدون معنا ؟ الم يأن الوقت لينصرفوا ؟

فأوما لها مصطفى بوجهه اى بمعنى اصمتى !

فجاء شاب من المتواجدين وهو ممسك فى يده كاميرا وقال : اريد ان التقط لكم مجموعة مناظر وانتم على السرير , فنظرت نرمين الى مصطفى وقالت .. لا

فقال مصطفى للشاب : لا مانع عندى ! , واخذ نرمين من يدها وقال لها تعالى نجلس على السرير ليلتقط لنا بعض الصورهو يريد ان يفرح بنا ويقوم معنا بالواجب , تعالى ..

شعرت نرمين بالغضب والضيق ولكنها اضطرت اسفه ان تنفذ رغبة مصطفى منعا للاحراج ..

صمم الشاب ان يلتقط لهم صورا وهم نائمين على السرير وصورا وهم جالسين بالقرب من بعضهم البعض على السرير ايضا واخذ لهم مجموعة صور جعلت نرمين تشعربالضيق الشديد فهذا لا يصح اطلاقا امام الناس وقالت فى نفسها : حقا شاب ليس عنده دم واحساس ! ثم حاولت ان تمتص غضبها واستطردت حديثها مع نفسها قائلة : الان سينصرفوا هؤلاء الناس وانعم وحدى بزوجى فى اول ليلة من شهر العسل !

ولكن لم ينصرف الناس ولم يتوقف الشاب السخيف عن التقاط الصور فشعرت بالضيق ولم تستطيع ان تتمالك تفسها فى تلك المرة وصرخت وقالت : يكفى , يكفى الى هذا الحد , لا اريد صور اكثر من ذلك , انا مرهقة من الطريق !

فنظر النساء لبعضهن البعض وقالت احدهن : يبدو ان العروسة مُتعجله على ان تكون بمفردها مع عريسها !

وقالت اخرى : يبدو انها خائفه ! كلنا كنا مثلك هكذا فى هذه الليلة !

وانفجرت التعليقات السخيفة المجردة من الحياء والاحساس واحدة تلو الاخرى فسقطت دموع نرمين من شدة الخجل والضيق !

فنظر لها شقيقه الاكبر وقال .. هيا بنا يا جماعة ودعونا نترك العريس والعروسة معا ثم نظر الى نرمين وقال على فكرة ابوكِ وامكِ عندنا فى الطابق الارضى عند الحاجة الكبيرة وهم فى ضيافتنا وسنقدم لهم الواجب فلا تخافى ولا تقلقى ..

انصرف الناس وراء بعضهم البعض وهم يتغامزون ويتلامزون ويصدرون التعليقات السخيفة المزعجة حتى وصلوا الى الباب واغلق شقيقة الباب خلفه ..

شعرت نرمين بالهدوء والراحة قليلا وقالت فى نفسها : اول مرة افعل شىء رغما عنى لم اكن اود التقاط مثل هذه الصور ولم اكن ارغب فى وجود هؤلاء الناس معى هنا ولعلها تكون اول واخر شىء اجبر عليه واتحمله رغما عنى , ثم تنهدت تنهيدة الحمد والشكر ومنحت نفسها الامل من جديد فى باقى الليلة فالليلة هى اول ليلة فى العسل ..

بعدما اغلق شقيق مصطفى باب الشقة خلفه دخل مصطفى الى نرمين فى غرفة النوم واغلق الباب خلفه بالمفتاح فانتاب نرمين القلق وبدا عليها التوتر وقالت برقة وهدوء .. لماذا تغلق الباب بالمفتاح ؟

فقال لها وهو يخلع البدلة قطعة قطعة وبسرعة وتوتر من على جسده .. حتى لا يدخل علينا احد فجاة ويزعجنا !

فقالت نرمين فى نفسها كيف هذا وباب الشقة مُغلق ؟ يبدو انه متعجل على الارتشاف من عسلى ولذلك لايأخذ باله ماذا يقول بالضبط ..

ثم استطرد مصطفى حديثه وهو مازال يخلع ملابسه بسرعة وتوتر .. هيا يا نرمين اخلعى ملابس بسرعة وارتدى ملابس النوم فليس عندنا وقت كافى ..

فقالت له نرمين بخجل .. ليس عندنا وقت كافى لماذا ؟ نحن معا وعلى راحتنا ..!

فقال لها وهو يتحدث مسرعا : لو جاء الصباح وانا لم ادخل عليكِ واذا سألنى أهلى واقاربى اين القماشة البيضاء فماذا اقول لهم ؟؟

فبدا على نرمين الحيرة والقلق وقالت : قماشة بيضاء ؟ انا لا افهم ماذا تعنى بالضبط ؟

اعنى اننى لابد ان ادخل عليكى فورا وبعدها احتفظ بالقماشة البيضاء التى سيسيل دمك عليها , لان اهلى واقاربى عندما ياتون فى الصباح ليقدموا لنا التهانى سيطلبون القماشة البيضاء ليتاكدوا من اننى دخلت عليكِ وانكِ كنتِ عزراء , افهمتى او لا ؟

فانتاب نرمين عصبية شديدة جدا وقالت : ما هذا القرف انه قلة ادب , كيف يسمحون لانفسهم ان يطلبون شىء مثل هذا ؟ ما هذه الهمجية ؟ لالالا تعطيهم شىء انه شىءخاص بنا لا تسمح لهم ان يتدخلوا فى امورنا الخاصة !

فقال لها بتوتر .. انه ليس شىء خاص بنا بل خاص بهم ايضا ومن حقهم ان يعرفوا كل شىء ! فارجوكِ اتركِ الحديث فى هذا الموضوع الان انا لابد لى ان ادخل عليكى قبل الصباح فان جاء الصباح ولم ادخل عليكى ماذا سيقولون عنى ؟ ربما يقولون اننى لست رجل ! وانا لا اقبل اى حديث مثل هذا , هيا .. هيا ارقدى على السرير فليس عندى وقت ولم يعد عندى طاقة حتى اتحمل دلعك هذا .. هيا ..

فصرخت نرمين فى وجهه بعصبية وانهمرت الدموع من عينيها وقالت : ما هذه الطريقة التى تعاملنى بها فى اول ليلة من شهر العسل ؟

فتحولت ملامح مصطفى الى ملامح همجية واحمرت عيناه غيظا واقترب منها وهو يقول .. انا لم يعد عندى طاقة لدلعك هذا وحملها والقى بها بقوة على السرير المفروش عليه مفرش لونه ابيض ناصع ...

فتحت نرمين عيونها فوجدت نفسها فى غرفة بيضاء وعلى سرير ليس سريرها وتشعر بثقل شديد على رأسسها وشعور بالغثيان والم شديد جدا فى اعضائها التناسلية !

فحاولت ان تنظر بقوة اكثر للتاكد ان كانت ما تراه حقيقة ام كابوس ؟ ولكن سرعان ما تأكدت انها فى مستشفى او ماشبه ذلك وبجوارها سيدة ترتدى زى الممرضات وتقول لها .. كيف حالك الان ؟ هل تسمعينى جيدا ؟ كيف حالك الان يا عروسة ؟

فنظرت لها نرمين وظلت صامته وكأنها تتذكر انها حقا كانت عروسة فى هذه الليلة ام لا ؟ ولكن سرعان ما تذكرت ان اللية كانت ليلة زفافها ثم عادت تُفكر وما السبب الذى جعلنى اكون هنا ؟ فاغمضت عيناها وكانها تاهت قليلا ثم تذكرت آخر لحظة وهى فى غرفة النوم ومصطفى انقض عليها مثل الوحش الكاسر !

فاغلقت عيناها وانهمرت منها الدموع واشاحت بوجهها عن الممرضة حتى لا ترى دموع عيناها والخجل مما حدث لها ثم قالت فى نفسها يبدو اننى فقدت الوعى ولذلك جاء بى مصطفى الى هنا ؟

وفجأة سمعت اصوات متداخله ولكن كان هناك صوت اكثر وضوحا وقوة وعندما تحدث اختفت جميع الاصوات انه يقول .. هل تلك الفتاة عروسة ؟؟ ومن الحمار الذى تزوجها ؟؟

انه صوت الطبيب الذى وَقع الكشف على نرمين واجرى لها الاسعافات الاولية خارج الغرفة ومعه مصطفى واشقاؤه الذكور ..

فاقترب مصطفى من الطبيب وقال له بخجل : انا زوجها

فنظر له الطبيب باشمئزاز وسأله .. عندما دخلت على العروسة كيف دخلت عليها ؟ هل باستخدام عضوك الذكرى ام برأسك ؟؟

فاطرق مصطفى رأسه فى الارض والتزم الصمت وشحب وجهه من شدة الخجل ..

فاستطرد الطبيب حديثه قائلا : اكنت تعتقد ان القوة المفرطة والعنف كلما زاد كلما كنت رجل اكثر ؟ اكنت تعتقد كلما كانت كمية الدماء شديدة كلما كان هذا يعنى انك اقوى رجل فى العالم ؟؟ اين تعلمت انت ؟ اشعر انك لم تستخدم معها اسلوب يليق بالبشر! اسمع يا سيدى اسمعنى جيدا ممنوع وغير مسموح لك ان تقترب من زوجتك او تلمسها حتى تنتهى فترة العلاج الذى ساكتبه لها والا زوجتك لن تصلح لمعاشرة الرجال بعد هذا اليوم , افهمت جيدا ام اكرر لك تعليماتى مرة اخرى ؟

فقال له مصطفى وهو يضع رأسه فى الارض .. فهمت !

****

استيقظت نرمين من نومها ونظرت على يمينها الى المُنبه الموضوع على الكميدينو لترى كم تكون الساعة الان ؟ فقالت فى نفسها ان الساعة الحادية عشر وطبعا مصطفى اكيد ذهب الى الحقل مبكرا كعادتة كل يوم ثم انهمرت الدموع من عينيها وقالت ..لانه لا يستطيع النوم معى وفقا لتعليمات الطبيب لا ينام بجوارى اليس من الضرورى ان يحدث بيننا شىء حتى يوجد بجوارى ؟ الا يصلح ان يوجد بجوارى ليربت على كتفى او يضمنى فى حضنه ويشعرنى بالحنان والامان ؟ او حتى يقبلنى قبلة صغيرة تمنحنى طاقة وتحفزنى على الشفاء ؟ اليوم انتهى الاسبوع الاول من شهر العسل والاجازة التى اخذتها من عملى بدون مرتب ايضا لمدة شهر والذى لم ارتشف فيه قطرة عسل واحدة بل كانت بداية القصيدة كُفر ! وقضيت ليلتى فى الوحدة الصحية ودموعى على خدى والدم ينهمر منى كالذبيحة !

وتنهدت تنهيدة حارة وكأنها قادمة من بين حريق مشتعل واستطردت حديثها مع نفسها وقالت .. اشعر بخيبة الامل ! , ثم عادت تُحفز نفسها محاولة ابعاد خيبة الامل بقوة الامل فى القادم وقالت .. ربما تكون الايام القادمة اجمل واستمتع فيها بالعسل فاكيد الظروف التى حدثت هى التى جعلته بعيد عنى وبعد ذلك سيكون بجوارى دائما ويغمرنى فى العسل ..

صرخت نرمين مفزوعة ونهضت مسرعه ..

فلقد فوجئت بزوجة شقيق مصطفى امامها فى غرفة النوم !

فقالت لها نرمين .. ما هذا كيف دخلتى الى هنا والباب مُغلق ؟

فردت عليها بمنتهى البرود وكانه شىء عادى جدا ان تقتحم شقتها وتدخل الى غرفة نومها وقالت : الباب مُغلق فعلا ولكنى فتحته بالمفتاح

فقالت لها نرمين والدهشة تملأ عينيها .. المفتاح ؟ مفتاح شقتى معك ؟ ولماذا ؟

فردت عليها زوجة شقيق مصطفى وقالت .. هنا ليس عندنا شىء اسمه مفتاح شقتى .. هنا اى شقة لها مفتاح ويكون مع سيدة الدار الكبيرة حماتك يعنى .. والمفتاح هنا للجميع لان الشقه نفسها للجميع فمن يحتاج شىء يدخل الى اى شقة ويأخذه منها لان هنا كلنا شخص واحد واى شقة هى شقتنا جميعا ..

فنظرت لها نرمين بدهشة وذهول وشعرت بإختناق شديد وكانها تقول لنفسها ما هذا الذى اسمعه ؟ شى غريب ! ثم قالت .. اين مصطفى ؟ وهل مصطفى على علم بهذا ؟

فابتسمت زوجة شقيق مصطفى إبتسامة احتلتها السخافة والغباء وقالت .. اكيد اليس مصطفى واحدا من هذا البيت ؟

إنتاب نرمين شعور لم تستطيع ان تُعبر عنه بالكلمات وتجمدت فى مكانها ولم تستطيع الكلام او اصدار اى رد فعل مهما كان !

ثم استطردت زوجة شقيق مصطفى حديثها وقالت .. للعلم العروسة هنا نتركها اسبوع مع زوجها وبعد ذلك تهبط الى الطابق الارضى الخاص بسيدة الدار الكبيرة " حماتك " وتبدا فى القيام بالاعمال المخصصة لها ..

فنظرت لها نرمين بإسغراب وقالت .. اعمال ؟؟! اى اعمال تقصدين ؟

اعمال المنزل هنا , الا تعلمين ان هنا لنا اعمال خاصة بنا , نحن هنا شىء والمدينة شىء آخر الا تعلمين هذا ؟ (هكذا كان جواب زوجة شقيق مصطفى على نرمين) ,

فقالت نرمين بقوة وعصبية ممزوجة بالتوتر .. لكن انا لا اعرف اى شىء عن اعمال الفلاحين !

انا سوف اقوم بتعليمك كل شىء , لان هنا كل سيدة لها اعمال مخصصه لها ولن يقوم احد بالعمل بدلا منها (هكذا كان جواب زوجة شقيق مصطفى على نرمين) ,

فانتاب نرمين الحيرة والتوتر وشعرت كالتى سقطت فى بئر ولا تعرف كيف تخرج منه وكيف يكون المفر ؟ ثم قالت .. اين مصطفى ؟ وهل مصطفى يعرف هذا الكلام الذى تقوليه الان ؟

فضحكت زوجة شقيق مصطفى ضحكة ساخرة تحمل فى طياتها شماتة ممزوجة بالحقد وقالت .. مصطفى عاد من الحقل منذ قليل ويعرف جيدا ما اقوله لان والدته الحاجة الكبيرة هى التى قالت لى ان ابلغك بهذا الكلام وهو كان جالس بجوراها ..

وقفت نرمين ثابتة فى مكانها وكانها تريد ان يعود الزمن بها للخلف وتتراجع عن تلك الزيجة التى بدت لها ورطة كبيرة او ان يكون كل ما مر عليها حتى هذه اللحظة هو كابوس وستستيقظ منه حالا ..

ولكن للاسف بعد فترة صمت وتركيز طويلة اكتشفت نرمين انه واقع وليس كابوس !

ثم قالت لها زوجة شقيق مصطفى ستظلى واقفه مكانك هكذا ؟ هيا بدلى ملابسك وارتدى عباءة وضعى على رأسك على إشرب او خمار مثل كل الفلاحات هنا لان اول شىء ستقومى بعمله هو ملىء المياه من الطلمبه العمومية لان هنا ليس عندنا ماء وكل واحدة منا تقوم بملىء الماء مرة او مرتين فى اليوم , وبعد ذلك ستقومى بتنظيف عشة الدجاج والبط ووضع الطعام لهم , وآخر شىء ستفعلينه اليوم هو تنظيف الطابق الارضى اى شقة الحاجة الكبيرة حماتك

ظلت نرمين واقفة تنظر لها وتتخيل نفسها وهى تفعل مثل هذه الافعال التى لاتليق بانسانه مثلها عاشت فى رفاهية ونظافة ولم تعتاد او حتى تعرف مثل هذه الاشياء من قبل , وكانها تتمنى الارض تنشق وتبتلعها فورا اهون عليها مما تشعر به فى هذه اللحظة !

و اذا هى لم تستفيق من صدمتها وغرابة الموقف الذى فيه الا وجاء مصطفى ووقف امامها فتمنت من داخلها ان يكون جاء لينقذها من الجحيم الذى سقطت فيه فجأة فنظرت له بكل قوتها والدموع حبيسة فى عينيها وكانها تنتظر يده تمتد اليها لينتشلها فقال لها .. الحاجة تريد التليفزيون الملون الجديد ليكون عندها فى شقتها حيث تتجمع العائلة كلها ..!

فنظرت له بدهشة وخيبة امل عظيمة وقالت .. اى تليفزيون هذا ؟ تليفزيونى تقصد ؟

فنظرت لها زوجة شقيق مصطفى وقالت متهكمة .. قلت لكِ هنا كل شىء ملك للجميع لم يمر وقت طويل على كلامى حتى تكونى نسيتى ما قولته لكِ !!

فنظرت نرمين لها بعصبية ثم نظرت لمصطفى وقالت باصرار .. ان التليفزيون هذا بابا هو الذى اشتراه لى لم تدفع ثمنه انت حتى تأخذه الحاجة !

فنظرت سعدية زوجة شقيق مصطفى لمصطفى وقالت متهكمة .. هو انت هتشور عليها ؟ يبدو ان الكلمة ستكون كلمتها والشور شورها !

فاشتعل مصطفى غضبا وصاح فى وجه نرمين وقال .. سوف ينزل التليفزيون عند الحاجة ولن اتراجع عن هذا !

فصرخت نرمين بعصبية والدموع تنهمر من عينيها التى اشتعلت غضبا وقالت .. لالالا لن تأخذ شىء

فنظر الى سعيدة زوجة شقيقة ووجدها تلوى فمها تارة ناحية اليسار وتارة ناحية اليمين فانتابه شعور انها تستهزء به وتنظر له باستخفاف فاقبل على نرمين وصفعها على وجهها فسقطت ارضا ثم امسك رأسها فى يده واخذ يضرب به الحائط وهو يقول .. انا هنا الرجل الكلمة كلمتى والشورة شورتى هل فهمتى ام لا ؟؟

وتركها على الارض وحمل التليفزيون الذى اشتراه لها والدها وحمله بقوة ونزل به الى والدته لتضعه عندها كما أمرت !

ظلت سعدية زوجة شقيق مصطفى واقفه تنظر الى نرمين ثم اقتربت منها وقالت لها .. تسببتى فى ضربك وإهانتك بعد ذلك الكلمة التى تقولها الحاجة تُنفذ فورا والشىء الذى تطلبه يعتبر امر واعلمى جيدا ان الرجال هنا طوع اشارة من امهاتهم , هيا هيا قومى اغسلى وجهك وبدلى ملابسك حتى اذهب الى شقتى واحضر لكِ عباءة وخمار ترتدينهم لتخرجى لملىء المياه كما قلت لكِ انا اعلم انا ملابسنا ليس عندك مثلها ولذلك ساعطيكى من عندى , اااه واحب ان اقول لكِ ان هنا زوجة الاخ الاكبر تأمر وتنهى هى الاخرى ولها كلمة تُسمع ولا تُرد .

-17-
(12) ساعة عسل

حقا ان ليلة دخلتى كانت جميلة جدا جداا جدااا وحامد حبيبى كان رقيق معى الى اقصى حد وعاملنى برقة وصبر ودللنى كما يدلل الطفلة الصغيرة التى بحاجة لمن يحتويها ويمتص قلقها وتوترها , حقا كان معى كل الحق حينما استعجلت الزواج وحينما وافقت على عدم اقامة حفل زفاف وتلك المظاهرالتقليدية الكاذبة واقتصرالموضوع على عقد القران فى مسجد الحى ومن المسجد الى البيت مباشرة والى غرفة النوم التى لم اخرج منها منذ 12 ساعة تقريبا , رغم ان ماما وبابا كان يبدو عليهم الحزن والضيق لان حامد رفض اقامة حفل زفاف كبير يليق بى وباسرتى لكنهم لو عرفوا مقادر السعادة التى اشعر بها وتذوقوا طعم العسل الذى غرقت فيه طوال ال 12 ساعة الماضية لطاروا من على الارض وحلقوا فى السماء من شدة السعادة حقا انهم كانو 12 ساعة عسل , لهم حق الناس يطلقون عليه اسم .. شهر العسل .. اننى قضيت 12 ساعة عسل واشعر بسعادة لا توصف اما اذا عشت عمرى كله فى هذا العسل كيف سيكون شكل سعادتى بهذا العسل , ان شاء الله ستكون حياتى كلها مثل ال 12 ساعة الماضية .. عسل فى عسل , والذى يجعلنى اشعر بهذا الشعور ان حامد حبيبى كان رقيق معى جدا لانه يحبنى ويعشقنى ولذلك لن يتغير اسلوبه معى فى علاقتة بى وخاصة عند .. إرتشاف .. العسل !

اننى كنت ليلة امس اشعور بقلق شديد جدااا وانتابتنى حالة من الخوف الرهيب وكلما قترب منى حامد ابتعدت انا , وذلك بسبب حالة نرمين فعندما ذهبنا لزيارتها

بعد الزواج باسبوع وجدناها شاحبة الوجه ويبدو عليها الإرهاق الشديد وكانها مريضة وعندما حكت لى عما حدث من مصطفى زوجها ليلة الزفاف انتابنى خوف شديد ورغم ان مر حوالى شهر على تلك الزيارة الا اننى كلما اقترب موعد زفافى اشعر بالخوف وشبح ماحدث لنرمين يُحاصرنى وتُساورنى شكوك ان حامد سيكون قاسى معى فى تلك الليلة او عصبى ومتوتر وطبعا من شدة حبه لى ورغبتة القوية فى الاستمتاع بجسدى الذى يعشقه , ولكننى صارحته بخوفى وقلقى والحمد لله عاملنى بمنتهى الرقة والهدوء والإحتواء ليلة امس .. طبعا لانه انسان رقيق ويحبنى جدا اما نرمين فلقد حدث لها هذا لان مصطفى همجى ولا يجيد فن التعامل مع النساء ..هناك فرق كبير جدا بين حامد ومصطفى ولذلك ليلة دخلتى كانت ليلة ليس هناك اجمل منها ولان حامد يحبنى سيظل هذا الجمال يُخيم على كل لياليا ..

هكذا قالت منار محدثه نفسها وهلى لازالت على فراشها الابيض وترتدى ملابس النوم البيضاء ثم نظرت على يسارها فلم تجد حامد بجوارها فقالت فى نفسها .. يبدو انه فى المطبخ يجهز لى الفطور ليحضره لى هنا على السرير فكم هو رقيق معى ويحاول يسعدنى بكل الطرق حقا انه .. شهر العسل

جرس الباب يدق بطريقة مُفزعة وبشكل متواصل لا ينقطع ..!!

انتفضت منار من على سريرها مفزوعه ووقفت على الارض وهى تقول لنفسها .. ما هذا ؟ من الذى يضرب الجرس بهذه الطريقه ؟ واندفعت مسرعه وهى ترتدى الروب الابيض وخرجت من الغرفة فى اتجاه باب الشقة لترى من هذا المُزعج ؟؟

وهى فى طريقها لباب الشقة فوجئت بحامد يخرج من باب الحمام وهو يضع الفوطة فوق رأسه محاولا تجفيف شعره وقال .. انتظرى وقفى مكانك وسأرى انا من على الباب !

وقفت منار مكانها وهى مثل الطفلة الرقيقة والتى بدا عليها السعادة اعتقادا ان حبيبها حامد يغار عليها ولا يريد احد ان يراها وايضا لا يريد ان يُرهقها ويجعلها تُرهق قدميها وتذهب الى الباب .. هكذا اعتقدت منار الرومانسية الرقيقة !

فتح حامد الباب فوجد والدتة ثنية فى وجهه وملامحها عابثه بشدة والامتعاض فى عينيها وقالت وهى تصرخ فى وجهه .. ما هذا الى هذا الوقت مازلتم نائمين ؟ ساعة وانا واقفة على الباب هل اصابكم الطرش ؟؟

فانتاب منارالذهول من اسلوبها وخاصة ان اليوم هو يوم الصبحية !

فقال لها حامد وهو يحاول إرضائها .. تعالى يا أمى انفضلى , انا اسف جدا , اننى كنت فى الحمام

فدفعته بيدها واقتحمت الشقة وقالت وهى تُشير الى منار .. وست الحسن والجمال الهانم اين كانت ؟ ونظرت لها وقالت .. الم تسمعى صوت الجرس يا هانم ؟؟!!

ظلت منار تنظر لها بإستغراب شديد و التزمت الصمت وملامحها تبدلت بملامح الدهشة وظلت صامتة لا تنطق باى كلمة وكأنها اصيبت بالخرس !

فغمغم حامد الكلام وقال وهو ينظر لوادتة ثنية .. تعالى .. تعالى يا امى تفضلى فى الداخل لا يصح ان تظلى واقفة على الباب ..

فنظرت له بنظرة كلها تحدى وغباء وقالت .. انا لست ضيفه حتى تدعونى للجلوس انا صاحبة بيت

طبعا يا امى .. (هكذا رد حامد على والدتة) , ثم نظرت الى منار وقالت .. حامد ابنى الصغير والذى له مكانة فى قلبى خاصة ولا احد يحل مكانه ابدا ولا استطيع ان ابتعد عنه ابدا ابدا ولذلك فلقد قررت ان تكون اقامتى من اليوم هنا .. مع ولدى حبيبى .. فى هذه الشقة .. وسانزل الى شقتى عند النوم فقط !

ظلت منار تنظر لها وكانها لا تُصدق ما تراه وفقدت القدرة على التفكير وكأنها اصيبت بالشلل ! ثم اندفعت الى غرفتها واغلقت الباب خلفها وارتمت على السرير وظلت تبكى بكاء ممزوج بالدهشة والخوف !

ودخل عليها حامد فجلس بجوارها وقال .. منار حبيبتى , انها أمى فماذا افعل ؟ هل اقول لها لا اريدك معى هنا ؟ انه بيتها وليس لى هنا اى شىء , منار اسمعينى جيدا ان اخى الكبير شريف عندما تزوج فعلت معه نفس الشىء ومن شدة احساسها بالغيرة على ابنها وشعورها انه اصبح ملك امرأة آخرى اخذت تتصرف وتتحدث بمثل هذه الطريقة ولكن سرعان ما شعرت بالملل وتركتهم بمفردهم وعادت الى شقتها , صدقينى انها ستفعل معنا نفس الشىء وستمل سريعا وستتركنا وتعود الى شقتها ..

فرفعت منار وجهها من على السرير وكفكفت دموعها وقالت .. ومتى تركتهم وعادت الى شقتها ؟

عندما اصبحت مها زوجة شريف حامل ! (هكذا كان جواب حامد) ,

فعادت منار الى البكاء مرة ثانية وقالت .. حامد ارجوك انا لا اطيق مثل هذا الوضع انك لم تتفق معى على هذا ولم يصدر عنك حتى لو اشارة عن مثل هذا الوضع !! اكنت متفقين من البداية ؟ وانت لم تصارحنى ؟

فصمت حامد قليلا ثم قال بشدة .. منار , هى امى ولا تشعر بالراحة الى وهى بجوارى والشىء الذى يسعدها لن ارفضه اطلاقا ولذلك عليكِ ان تتقبلى الوضع الذى يُريح أمى , ثم استطرد حديثه متهكما وقال .. او تذهبى الى بيت ابيكِ فهو ليس ببعيد عنا انه امامنا مباشرة وعرضى نفسك وسيرتك للقيل والقال فكل الناس ستقول عادت الى بيت ابيها يوم الصبحية يا ترى ماذا وجد العريس فيها حتى يعيدها الى بيتها بعد ليلة واحدة معها ؟

استيقظت منار من نومها وقد مر اسبوع على زواجها والذى لم ترى فيه الا 12 ساعة عسل فقط وبعدهم كل لحظاتها كانت دموع وقهر بسبب تصرفات والدة حامد وتواجدها معهم فى شقتهم وحتى فى المساء لم يكن ينام معها فى غرفتهم كل ليلة فلقد قالت والدة حامد له وعلى مسمع من منار .. اتريد ان تنام معها كل ليلة انا اخشى على صحتك فلتنام معها ليلة ومعى وفى حضنى ليلة فانت ابنى حبيبى وملكى انا من الاساس !

وفى خلال الاسبوع الذى انقضى كانت والدة حامد تجعلها تستيقظ من نومها فى الصباح الباكر وتبدأ فى اعمال المنزل فتقوم بتجهيز الفطور لحامد ووالدتة ثم تبدا فى تنظيف الشقة الخاصة بها ثم تنزل الى شقة حماتها والدة حامد وتقوم بتنظيفها ثم تصعد الى شقتها مرة اخرى لتقوم بتجهيز الغداء وتظل والدة حامد تخترع لها اى اعمال حتى لا تتركها تنال قسط من الراحة وحتى ميعاد عودة حامد من القهوة تكون منار قد حل عليها تعب اليوم كله ومن الطبيعى ان تلجأ للنوم بعد يوم طويل من العمل الشاق بلا راحة !

وانتهى الاسبوع والذى كان بمثابة اجازة من العمل وقررت منار ان تعود الى عملها رغم انها كانت تنوى ان تمُد الاجازة حتى تستمتع بالعسل اطول وقت ممكن ولكن قررت العودة بعد نهاية الاسبوع مباشرة بعدما حدث من والدة حامد وخيبة الامل جعلتها تقرر الهروب من المنزل الذى تحول الى جحيم بوجود والدة حامد الى العمل على الاقل ستجلس وتمضى وقت مع زميلاتها اللاتى تحبهن كثيرا ..

حتى حامد عاد الى العمل فى القهوة بعد يومين فقط فلا داعى لوجوده فى البيت مع منار ووالدتة جالسة بينهم عزول بصفة دائمة !

جمعت منار ملابسها وملابس حامد التى فى حاجة الى الغسيل واتجهت بهم ناحية الحمام لتضعهم فى الغسالة واذا بثنية والدة حامد تدخل عليها الحمام وهى تتحدث بعنف وعصبية وتقول .. كيف لكِ ان تستخدمى الغسالة بدون اذنى ؟؟

فالتفت لها منار ونظرت لها بدهشة وقالت .. ماذا ؟ وهل من المفروض ان استأذن منكِ قبل ان استخدم غسالتى ؟؟!!

فصاحت والدة حامد فى وجهها قائلة .. طبعا ! وبعد ان اعطى لكِ الاذن تاخذني ملابس وتغلسينها اولا قبل ملابسك وقبل اى شىء آخر انا هنا سيدة البيت كله ام تعتقدين انكِ الكل فى الكل وانا هنا طرطور ؟!

ظلت منار تنظر لها بدهشة واذا بصوت باب الشقة يُفتح فشعرت ان حامد قد عاد وسينقذها من والدتة التى تتصرف تصرفات مجانين !

فاقترب حامد من الحمام ونظرالى والدتة ومنار وقال .. ماذا حدث اسمع صوتكم وانا مازلت فى الطابق الارض ماذا حدث ؟؟

فصمتت منار وقد اشعل الغضب وجهها والامتعاض تجسد فى عينيها ولم تتمكن من النطق خوفا من اندفاع الدموع من عينيها وسقوطها امام والدة حامد !

فقالت له والدتة .. ابدا لم يحدث شىء اننى اقول لها ان تغسل ملابسى انا اولا وهل هذا شىء خطأ ؟؟

فنظر حامد بغضب لمنار وقال بنبرة بها عصبية .. طبعا يا منار ملابس أمى تُغسل اولا قبل ملابسك وقبل ملابسى افهمتى ؟

لم تستطيع منار السيطرة على دموعها اكثر من ذلك فتركتهم فى الحمام واندفعت الى الخارج متجه الى غرفتها واغلقت الباب خلفها ...

اخذت ثنية والدة حامد ابنها حامد فى يدها واتجهت به ناحية الصالون وجلست وقالت له .. اجلس هنا بجوارى اريد ان اتحدث معك فى موضوع مهم , ام لا تريد ان تجلس معى ومتعجل على الذهاب الى ست الحسن والجمال لتصالحها وتراضيها ؟!

فجلس بجوارها وهو يقول .. بالطبع لا يا ست الكل يا أمى , خير ان شاء الله ؟

فاقتربت منه وكانها تخشى ان يسمعها احد وقالت وهى تهمس فى اذنه اسمع يا حامد يا ابنى يا حبيبى لقد سمعت منار وهى تتحدث مع والدتها فى التليفون وتقول .. ان اجازتها التى اخذتها من العمل انتهت وستعود للعمل ابتداءً من الغد ..

فنظر لها حامد بدهشة وقال .. نعم انا اعلم هذا انه ستعود الى عملها غداً وما المشكلة فى ذلك ؟!

(هكذا كان رد حامد على والدتة) , فاستطردت حديثها وقالت .. اسمعنى جيدا ان الزوجة حينما تكون لها وظيفة ودخل شهرى تكون قوية ومستقلة وتخرج من تحت طوع زوجها , والعمل سيجعل منار تتكبر وتتعالى عليك , انها ستذهب الى وظيفتها وانت ستذهب الى القهوة اتلاحظ الفرق ؟؟ لكن اذا اجبرتها على ان تترك عملها ستكون رهن إشارتك وطوع امرك , وحتى تتفرغ لخدمتك وخدمتى ايضا ولكن اذا ذهبت الى العمل ستعود مُرهقة وستُقصر فى واجباتها نحو البيت ونحوك ولن تجرؤ ان تنطق كلمة واحدة فى وجهها فابسط رد منها سيكون .. انا موظفة وانفق على نفسى من عملى وعرقى وليس لك حق فى ان تتحدث معى بسبب تقصيرى فى البيت , ولذلك عليك ان تجبرها على ترك عملها وتصبح سيدة منزل مثل كل النساء , وهل سيدة المنزل شىء قليل ؟ انا سيدة منزل ولا اعمل وهل هى احسن منى ؟؟

أخذ حامد يهز رأسه لاعلى واسفل والامتعاض تجسد فى عينيه والممزوج بالاحساس بالنقص وبدا عليه الاقتناع الشديد برأى والدتة ثنية الشرانية كما تطلق عليها العمة فريدة !

ظل حامد جالسا بجوار والدتة وحتى بعد انتهائها من حديث الشيطان الذى ملأت به عقله وحتى قررت والدتة ان تذهب الى غرفتها عندما غلبها النوم فقام هو الاخر واتجه ناحية غرفتة ..

دخل حامد الى الغرفة ووجد منار جالسه على السرير وخيبة الأمل تُخيم على وجهها وكل كيانها وعندما انتبهت الى حامد رمقته بنظرة جانبية كلها حزن وندم !

فقال لها حامد كنت اعتقد انكِ نائمه ..

فقالت له وهى لاتنظر اليه .. لم اتمكن من النوم

فقال لها حامد .. ولماذا ؟

فصمتت منار خوفا من ان تخرج مافى قلبها وهى فى هذه الحالة فيغضب منها حامد وينفعل ويكون رد فعله قاسى عليها فظلت صامته ثم قالت .. لاننى سأستيقظ مبكرا ولذلك اشعر بالقلق ولم استطيع النوم !

فنظر لها حامد بهدوء وبرود وقال .. تستيقظى مبكرا لماذا ؟

لاننى ساعود الى عملى غدا (هكذا كان جواب منار على سؤال حامد) , فقال .. اى عمل ؟ انا قررت ان تتركى عملك وتتفرغى للمنزل

فنظرت له منار بدهشة وبعصبية قالت .. انا لن اترك عملى , وانت لم تطلب منى هذا قبل الزواج ولم تكن مُعترض على عملى من الاساس فماذا حدث لتطلب منى ان اترك عملى ؟

اريدك ان تتفرغى لى وللبيت (هكذا كان جواب حامد على سؤال منار) , ولكننى لم اقصر معك او فى اعمال البيت اذا قصرت فى اى شىء فلتطلب منى وقتها ان اترك العمل ..(هكذا قالت منار ردا على حامد)

فنظرلها حامد نظرة كلها حنان مُصطنع واقترب منها وهمس فى اذنيها وقال .. انا اريدك ان تتركى عملك لاننى اغار عليكِ وبشدة , لا اريد اى رجل ان يراكِ , لا اريد اى رجل ان يسمع صوتك الحنون , انا فقط من استمتع بجمالك وجمال صوتك وجسدك وكل شىء فيكِ انا اراكِ منبع للعسل ولا اريد اى رجل ان يستمتع بعسلك , انا فقط , افهمتى الان لماذا اريدك ان تلتزمى البيت ؟ ثم اقترب منها اكثر , واخذ يقترب شيئا فشيئا حتى اصبح اكثر التصاقا فيها وهمس فى اذنيها قائلا .. هيا .. تعالى الى حضنى .. فلقد اشتقت لكِ كثيرا .. واشتقت الى .. العسل , فظلت منار تنظر فى عيناه وقد تحولت نظرة عيناها الغاضبة الى نظرة حالمة هادئة شادرة عن الواقع فى اتجاه الخيال والاحلام ... وغاصت منار بين احضان حامد وذابت بين ذراعيه كذوبان الجليد عند سقوط اشعة الشمس فوقه وارتشفت العسل الذى طالما حلمت به واغمضت عيناها عن الفروق الشاسعة بيها وبين حامد من اجل شىء اسم الحب , ومرت ساعات الليل وكانها لحظة ..!

وظلت منار فى حالة من الاستمتاع حتى الصباح ورغم ان حامد مع شروق الشمس نهض من على السرير وترك الغرفة ونزل الى عمله الا انها ظلت نائمه ومتوسده المكان الفارغ بجوارها ظنا منها انها مازالت على صدر حامد ولكن اقتحمت غرفة النوم والدة حامد فجاة وقالت بصوت عالى .. انتِ مازلتى نائمه ؟

الا يوجد معكِ هنا سيدة كبيرة تريد ان تتناول الفطور ؟ الى متى هذا الدلع ؟ هيا .. انهضى .. انا جائعة !

فنهضت منار مفزوعة على صوت والدة حامد وقالت لها بدهشة .. ماذا حدث ؟ فقالت لها متهكمة .. لا شىء يا ست الحسن والجمال فقط انا جائعة والمفروض ان تنهضى سيادتك لتجهزى لى الفطور !

فاقت منار من غفلتها واحترق الحلم الجميل الذى كانت تعيشه فى نومها وفتحت عيونها على هجمية وغباء والدة حامد فنهضت من على السرير ووضعت قدميها على الارض وهى تتمنى ان تنشق الارض وتبتلع والدة حامد التى سقطت فوق رأسها كالجحيم ..

اتجهت منار ناحية الحمام فوجدت والدة حامد خلفها تقول لها .. وهل انا ساظل فى انتظار حضرتك حتى تنتهى من حمامك ؟ جهزى لى الفطور اولا ..

فابتعلت منار غيظها وتوقفت عن باب الحمام واتجهت الى المطبخ وفتحت باب الثلاجة واخرجت منها طبق به جبن ابيض وطبق به حلاوة ووضعتهم على منضدة المطبخ ثم اخرجت الخبز من الفريزر ووضعته على البوتجاز لتقوم بتسخينه .. فقالت لها والدة حامد ما هذا الذى تفعليه ؟

سوف اجهز لكِ الفطور (هكذا قالت منار وهى تبتلع غضبها بكل قوتها) , وهل انا فى السجن حتى يكون فطورى خبز وحلاوة ؟؟ انا اريد ان افطر كرشة ..

فقالت لها منار .. ماذا ؟؟

فقالت لها والدة حامد متهكمة .. كرشة الا تعرفينها ؟ هى عندك فى الفريزر فلتخرجيها وتقومى بتسويتها حالا .

-18-
أنا جائعة

والله عام 2000 هذا عام سعيد جدا ففيه تزوجت نرمين وبعدها باسابيع قليلة منار وبعدها بشهرين مفيدة والحمد لله اطمئن قلبى ان كل واحدة منهن فى بيت زوجها وفى حماية رجل ولم تيبقى الا صوفيا ربى يكتب لها السعادة هى ايضا .. (هكذا قالت فوزية زوجة سعيد متولى له وهم جالسين معا على السفرة لتناول وجبة الأفطار) , فنظر لها سعيد بأمتعاض بعد ان ترك الشوكة من يده ووضعها بجوار قطعة الجاتوة فى الطبق وقال متهكما .. ولهذه الاسباب تعتبرين عام 2000 عام سعيد ؟ ولم يتبقى الا صوفيا ؟ المفروض تقولى ان صوفيا هى التى نفدت بجلدها قبل فوات الاوان , صوفيا هى التى اخذت القرار السليم , فاطرقت فوزية بوجهها فى الارض ثم رفعت عيناها وجعلتها على كوب الكاكو باللبن الموضوع امامها وامسكته بيدها اليمنى لتتفادى استمرار النقاش مع زوجها سعيد , ثم استطرد سعيد حديثه قائلا .. سعيدة انتِ لانكِ زوجتى بناتك الثلاثة , وهل

سعيدة لان نرمين قضت ليلة دخلتها فى الوحدة الصحية ؟ لانه همجى وحيوان , ام سعيدة لانه لم يكلف نفسه ويُحضر لها طبيب فى المنزل لان الطبيب سيأخذ نقود كثيرة ؟ ام سعيدة لانها تحولت من فتاة مُرفه الى خادمة فى بيت عائلة قروية ؟ , والهانم منار التى تخوض رحلة من التنازلات فى البداية تزوجت قهوجى لا يليق ان اضع يدى فى يده ثم استمرت رحلة التنازلات واجبرها على ترك عملها حتى لاتصبح ذات قيمة ووضع إجتماعى اعلى منه وتحولت هى الاخرى الى خادمة للست الوالدة التى لم تمنحها حتى فرصة الاحساس بكونها عروسة جديدة , والهانم مفيدة التى باعت نفسها بالرخيص من اجل الزواج من اى رجل حتى تتزوج فقط رفض ان يدفع اى تكاليف , رفض اقامة حفل زفاف , حتى قطع الاثاث التى اختارتها هى قام بشراء قطع اخرى وبمنهتى الوقاحة لم يخجل او يبرر موقفة او حتى يعتزر بل ضحك وكانه فعل شىء لذيذ او لطيف او مُضحك ؟ وبمنتهى الوقاحة والكلاحة قبل الزفاف بيوم يتصل بى ويقول لى ياريت يا عمى تملأ لنا الثلاجة بالطعام لان النقود التى معى نفدت ولم يعد معى ولا مليم ؟
بالله عليكى يا فوزية هؤلاء الثلاثة يمكن ان نعتبرهم رجال نطمئن على بناتنا معهم ؟ هل تلك الزيجات تعتبر زيجات مُفرحة لقلوبنا ؟ اتضحكين على نفسك يا فوزية ؟ فغمغمت فوزية الكلام وقالت .. كل انسان لا يأخذ الا نصيبه , ونرمين اصبحت حامل ومنار ايضا فالنحمد الله ان اكرمهن بالحمل بسرعة وبعد الدخلة مباشرة لنفرح باحفادنا قريبا , دعنى اقوم لاتصل بمفيدة واطمئن عليها .. قامت فوزية وجلست على الكانبة بجوارالمنضدة الموضوع عليها التليفون واخذت تطلب رقم مفيدة فوزية : الو ..
مفيدة : الو .. ماما !
فوزية : كيف حالك يا مفيدة ؟ ارجو ان لا اكون ازعجتك وجرس التليفون تسبب فى استقاظك من نومك ؟
مفيدة : وصوتها يكاد يكون مخنوق جدااا .. ماما .. أنا جائعة يا ماما !
فوزية : نظرت الى سعيد بقلق ثم استدارت مرة اخرى وقالت .. جائعة ؟ وهل كل الطعام والماكولات التى تركتها لكِ فى الثلاجة خلص ؟ وصنينة العشاء التى تركتها على المنضدة فى المطبخ تناولتيها كلها لم يتبقى منها شىء ؟

مفيدة : صنية العشاء التى تركتيها فى المطبخ تناولتها انا وهو لاننا كنا جائعين جدا اما كل الطعام والماكولات التى كانت تملأ الثلاجة أكلها هو ووالدتة ..

فوزية : والدتة ؟ هل جائت لزيارتكم ؟
مفيدة : انها تأتى كل يوم من العاشرة صباحا ولا تعود الى بيتها الى بعد العشاء !
فوزية : وهل هذا معقول ؟ اليس عندها اى ذوق لتجلس مدة طويلة هكذا مع عروسين فى شهر العسل ؟!

مفيدة : بحسرة وإمتعاض قالت .. شهر عسل !! تصورى اقول له انا جائعة إنزل واشترى لى طعام يقول لى ماما قالت لى العريس لا ينزل من البيت الا بعد اسبوع , قلت له اطلب لى طعام من اى محل لديه خدمة توصيل الطلبات الى المنازل , يقول لى انها ستكون تكلفة كبيرة لا اتصلى باهلك يرسلون لكِ طعام !

فوزية : يبدو عليها الضيق الشديد وتنظر الى سعيد وكانها تشعر بالخجل منه , وتقول .. المهم اريد ان اطمئن عليكى ما خبارك الان ؟

مفيدة : سوف احكى لكِ كل شىء بالتفصيل ..
فوزية : انتظرى .. اين هو زوجك عماد , حتى لايسمعك وانتِ تتحدثين عنه ؟
مفيدة : انا فى غرفة النوم والباب مُغلق اما هو فى غرفة الانترية جالس مع والدتة وعندما شعرت بالضيق تركتهم وجئت الى هنا لاتصل بكِ واقول لكِ انى جائعة جدا , اول مرة اشعر بالجوع يا ماما , فعلا بيت الاب لا يعوض , بيت الخير .. بيت العز ..

فوزية : قاطعتها وقالت .. المهم ماذا حدث فى الموضوع الثانى .. تم ام لا ؟

مفيدة : والله يا ماما انه لحيوان غبى بكل معنى الكلمة فى ليلة الدخلة قلت لنفسى اتدلل عليه حتى أُثير رغبتة ولكى يُدللنى ويُغازلنى قبل ان يحدث بيننا اى شىء وبمجرد ان اقترب منى فامتنعت عنه بدلع غضب غضب شديد وتركنى وترك الغرفة وذهب الى غرفة الانترية وظل جالسا فيها حتى غلبه النوم ..
وقضيت انا ليلتى وحيدة فى غرفة النوم على سريرى حتى غلبنى النوم
واستيقظت فى الصباح على صوت جرس الباب ووجدت نفسى مازلت بفستان الزفاف كما أنا ووجدت والدتة هى التى على الباب ...
والذى اثار غضبى وضيقى اكثر اننى بعدما بدلت ملابسى وارتديت ملابس مناسبة لاخرج واسلم على والدتة وعندما اقتربت من باب غرفة الانترية سمعته يحكى لها عما حدث بينا بالتفصيل الممل ..!!
انتابنى الضيق الشديد وكنت على وشك ان افقد اعاصابى ولكنى سيطرت عليها بكل قوتى ودخلت عليهم الغرفة وسلمت عليها وكاننى لم اسمع شىء وبمجرد ان جلست قال لى اذهبى وجهزى الغداء امى سوف تاكل معنا اليوم ..

فوزية : وهى ماذا قالت له ؟ كان المفروض ان تقول له لا يا ابنى انتم عرسان جدد ولا يصح ان ابقى معكم وقت طويل ..

مفيدة : لالالا لم تقول هكذا ولم تتحرك من مكانها وظلت جالسة حتى ذهبت جهزت لهم الطعام ووضعته على السفرة انه هو والدتة التهموا الطعام وكانهم ياكلون طعام يكفيهم لمدة اسبوع ! وكل يوم تأتى وكل يوم على نفس المنوال حتى انتهى كل الطعام الذى تركتيه لى فى الثلاجة ليكفينى اسبوع او اكثر , انه يأكل بنهم ! هو ووالدتة ولكن كيف يتبع منطق التوفير والان ياكل بمنهتى الشراهة ؟ يبدو ان الاقتصاد والتوفير فى الشىء الذى يدفع ثمنه فقط ام الإسراف والشراهة فى الشىء الذى دفع ثمنه الاخرين يعنى كما يقول المثل .. ابو بلاش كتر منه !

فوزية : بعصبية وضيق .. فعلا والله , المهم اتركينا من موضوع الطعام وطمنى قلبى على الموضوع الاهم

مفيدة : عندما انتابنى الضيق الشديد والعصبية واصبحت كالتى تريد ان تلقى بنفسها من البلكونة الى شارع من شدة الضيق فجأة جاتنى الدورة الشهرية مُبكرا عن ميعادها المُعتاد وبالطبع ازداد ضيقى اكثر وعندما قلت له ابتعد عنى نهائى وظل تاركنى وحيدة وكلما قلت له لماذا تاركنى وحدى اجلس معى نتحدث نأكل معا اى شىء مثل اى زوجين , يقول لى بمنتهى الوقاحة والسخافة .. طالما اننى لن اتمكن من الاقتراب منكِ او الدخول عليكى فلماذا اجلس معك ؟ وعندما وضحت له شعورى بالضيق من زيارة والدتة كل يوم والمدة الطويلة التى تقضيها عندنا , يقول لى .. انا لن اقول لامى لا تاتى ولن اقول لها عودى الى بيتك وطالما اننا لا نستطيع ان نمارس العلاقة الحميمة مثل اى زوجين بسبب ظروفك هذه فلماذا تشعرين بالضيق من امى ؟

فوزية : بضيق شديد وعصبية .. ما هذا الغباء وقلة الذوق وقلة الادب ؟؟

مفيدة : ماما .. انا جائعة .. ارسلى لى طعام بسرعة مع اى احد متواجد عندك .. مع بابا , او مع صوفيا , ارجوكِ .. أنا جائعة ..!

اغلقت فوزية سماعة التليفون وسقطت دموعها على خدها رغما عنها واحمر وجهها من شدة الضيق ونظرت الى سعيد فوجدته ينظر لها نظرة وكانه يقول من خلالها .. هل مازلتِ سعيدة بزواج بناتك الثلاثة ؟ هل مازال عام 2000 يبدو فى عينيك عام سعيد وحمل معه لكِ السعادة ؟

ثم قال : خير يا فوزية ؟ البنت ماذا حدث لها ؟

فنظرت له فوزية بخجل وهى تنظر فى الارض وقالت .. البنت جائعة يا سعيد !

خرجت صوفيا من غرفتها وهى مرتدية ملابس الخروج من المنزل وكعادتها انيقة جدااا فى تصفيفة شعرها البسيطة والمكياج الهادىء جدااا المناسب لفترة الصباح وترتدى بنظلون كلاسك واسع لونه اسود وبلوزة قصيرة جينس ازرق وعلى وجهها ابتسامة رقيقة وفى عينيها نظرة كلها تفاؤل .. وقالت .. صباح الخير يا عمى , ونظرت الى فوزية وقالت .. صباح الخير يا زوجة عمى يا حبيبتى ! وتفرست ملامحها وقالت .. ماذا بكِ ؟ هل حدث شىء ؟

فقال لها عمها سعيد متهكما والامتعاض احتل عينيه .. ان مفيدة .. جائعة !

فنظرت لها فوزية وقالت .. ان مفيدة زوجها لم يدخل بها حتى الان !

شعرت صوفيا بالخجل واحمر وجهها وغمغمت الكلام وقالت .. بعد اذنكم انا مضطرة اخرج لانى ذاهبة الى المكتبة لشراء بعض الكتب التى انا فى اشد الحاجة اليها ..

فنظر لها عمها سعيد بفخر وإعجاب وقال الا تجلسى معى وتاخذى قطعة جاتوة وكوب لبن او كاكو باللبن قبل ان تخرجى من المنزل ؟ .. فقالت له .. ليس عندى اى استعداد للطعام انا مُستعجله على الذهاب الى المكتبة , حفظكِ الله وحماكِ فلتأخذى بالك من نفسك جيدا ! (هكذا كان رد سعيد على صوفيا)

فنظرت لها فوزية وقالت .. صوفيا .. هل يمكن ان تأخذى معكِ بعض الطعام الذى اجهزه لكِ حالا وتمرى على مفيدة فى طريقك تعطيه لها ؟ ممكن ؟ فنظرت لها صوفيا نظرة تعاطف وشفقة وقالت .. طبعا ممكن يا حبيبتى انتِ تأمورينى وانا انفذ فورا , ولكنى لن اجلس عندها حتى لا اضايقها فقط ساعطيها الطعام وانا واقفة على الباب واتركها فورا ..

فلوت فوزية فمها ناحية اليسار وقالت .. لا داعى للإستعجال اجلسى حتى ترتاحى من الطريق والسلم الطويل ولن تضايقها فوالدة عماد عندها من العاشرة صباحا , ثم همهمت قائلة حقا ان سعيد معه حق !

-19-
انها بنت

يونيو – 2001

استيقظ مصطفى زوج نرمين فى السادسة صباحاً كعادتة كل يوم وقبل ان ينهض من على السرير حاول ان يجعل نرمين تستفيق هى الاخرى وقال لها .. نرمين , لاتتأخرى فى نومك اكثر من هذا لتنزلى الى الطابق الارضى وتبدئى فى اعمالك مُبكرا حتى لاتغضب أمى منكِ ..

لم تَرد نرمين رغم انها تسمعه جيدا ولكنها تشعر بانها بين الصحو والغفوة تسمعه ولكن لا تستيطع ان تنطق باى كلمة او حتى تتحرك من مكانها ..

ولكنها اخذت تُحرك رأسها يسارا ويمينا وتفتح فمها وتعاود غَلقُه مرة ثانية وكانها تريد ان تتحدث ولا تقوى على ذلك ثم نطقت بكلمة واحدة وهى .. تعبانة !

فنظر لها مصطفى بجمود وقال بتحجر .. تعبانة ؟ لا تتأخرى فى الاستيقاظ كما قلت لكِ فلا داعى ان تغضبى الحاجة منكِ !

وتركها واتجه الى الحمام وغسل وجهه ثم عاد بعد قليل الى غرفة النوم وبدل ملابسه وهو فى اتجاه باب الغرفة القى نظرة عابرة على نرمين فوجدها وكأنها مستغرقة فى النوم فقال وهو ينظرلها ومتجه ناحية الباب .. انا نبهت عليكى اكثر من مرة وانتِ حُرة فيما سوف يحدث لكِ من الحاجة ..

نزل مصطفى الى الطابق الارضى ليُقبل يد الحاجة ويأخذ الرضا منها ويتناول معها ومع اشقاؤه الفطور كعادتهم كل يوم وجلس على الطبلية وأخذ يأكل من الطيق الذى موضوع امامه وهو طبق ارز ابيض ومضاف اليه لبن حليب ..

وهل نرمين لازالت نائمة حتى الان ؟ (هكذا قالت له والدتة) , فنظر لها وقال .. نعم انها تقول انها تعبانة ولكنى اكدت عليها ألا تتأخر عن النزول الى هنا والقيام باعمالها حتى لاتغضبى منها ..

فقالت له وهى تلوى فمها ناحيى اليسار وقد تحولت ملامحها الى ملامح عابثة همجية .. تعبانة ؟! لقد اقترب موعد ولادتها , ولكننى لا اظن انها تلد اليوم , ام هى تتدعى التعب من الان لتهرب من اعمالها فى المنزل ؟

والله يا حاجة انا لا اعرف ان كانت تدعى ام لا وبالنسبة لموعد ولادتها هو فعلا فى هذا الشهر ولكننى لا افهم فى امورالحريم هذه هل تعتقدى انها حقا ستلد فى هذه الايام ام لازال امامها وقت ؟

فقالت له متهكمة .. تلد هذا الشهر او العام القادم فى هذه الايام او ايام اخرى هذا لا يشغلنى ابدا انها ستأتى لنا ببنت ! فهل هذا يستحق ان اشغل بالى به ؟ انها .. بنت ! , انك منذ ان اخبرتنى بان الطبيب قال لك انها بنت وانا لا اهتم بيوم ولادتها , ثم صمتت قليلا وكأنها تذكرت شىء واستطردت حديثها وقالت بعصبية وغل .. هل ستجعلها تلد بعملية قيصرية كما قال لك الطبيب ؟ حتى لو لابد لها ان تلد بهذه العملية لا توافق ابدا ان تكلفة العملية هذه اسمع انها كبيرة ولماذا لا تلد ولادة طبيعية مثل كل نساء الدار ؟ وهل هى احسن منهن ؟ كما وضعن نساء الدار كلهن طبيعى هى ايضا تلد طبيعى مثلهن , ليس هناك اى داعى لتحمل نفسك تكاليف زائدة لو كان ولد كنا قلنا لا مانع من التكاليف لكن .. انها بنت ! الا يكفى انها بنت وايضا تكاليف مادية اليس هذا حرام ؟

فظل مصطفى ينظر لها بتركيز ثم قال .. الذى ترينه فى الصالح يا حاجة سوف اقوم بفعله وفعلا معكِ كل الحق ..

مرت ساعات ونرمين لم تنزل بعد الى الطابق الارضى لاداء الاعمال المنزلية اليومية التى تُكلفها بها الحاجة أم مصطفى فاشتعلت غضبا وصاحت باعلى صوتها وقالت .. ان البرنسيسة تسوق الهبل على العبط ولم تنزل لاداء اعمالها سوف اصعد انا لها بنفسى حتى ارى ماذا تفعل حتى الان ولماذا لم تنزل مثل كل يوم .. وصعدت لها بعصبية وكان بينهن طار قديم منذ قديم الازل وفتحت باب الشقة بمفتاح للشقة والذى هو معها دائما فكل شقة يكون معها نسخة من المفتاح لتفتح وتدخل هى واى شخص فى اى وقت ودخلت على نرمين فى غرفة نومها بلا استئذان او حتى محاولة مجرد محاولة لتنبيه نرمين التى هى فى غرفة نومها ان هناك شخص فى الشقة وسوف يدخل عليها غرفة نومها الان حتى اذا كانت تبدل ملابسها او فى اى حالة خاصة تسرع وتتخذ الاحتياطات اللازمة لستر نفسها وحجب خصوصياتها عن اعين الاخرين , ولكن والدة مصطفى اقتحمت عليها غرفة نومها بلا اى مقدمات وفوجئت بنرمين نائمة وكانها تتناسى عمدا ان خلفها اعمال منزلية كثيرة فنظرت لها والدة مصطفى بقوة وتركيز وغضب وقالت .. انتِ مازلتى نائمة ؟؟

انتِ يا نرمين الى متى ستظلى نائمة ؟؟

فهمهمت نرمين التى بين الصحو والغفلة وقالت .. اااه , تعبانة جدا , اااه , اشعر وكانى أموت !

فاقتربت منها والدة مصطفى ووضعت اذنها على وجه نرمين وقالت .. ماذا تقولين ؟ هل انتِ نائمة ام مستيقظة ؟

فحركت نرمين رأسها يمين ويسار وهى تهمهم قائلة .. تعبانة , انا اريد ماما ! , هى لاتعرف اننى اموت الان !

فابتعدت والدة مصطفى وبدا على وجهها الدهشة وهمهمت قائلة .. ما هذا الذى تقوله ؟ اهى تعبانة حقا ام تحلم ام ماذا بالضبط ؟ سوف اتركها وانزل انا وساصعد اليها بعد فترة ان لم تفيق هى بمفردها ..

ظلت نرمين يبدو عليها انها نائمة ولكنها فى الحقيقة تعيش حالة غريبة وكانها فى حالة استرجاع للماضى فهى كانت ترى فى تلك اللحظات كل حياتها واهم لحظات مرت بها منذ ان كانت طفلة صغيرة تلهو فى بيت ابيها الى ان اصبحت فتاة جميلة وانيقة الى ان قابلت مصطفى واعجبت بملامحة الجميلة ثم لحظة سقوط قناع الملامح الجميلة وظهور الملامح الحقيقة الوقحة القبيحة ويوم زفافها الذى تحول فيه الحلم الجميل الى كابوس طويل مستمر متصل لا ينتهى ابدا وظلت وقت طويل بين الصحو والغفلة تسمع من يتحدث بجوارها وفى نفس الوقت هى لاترى الا حياتها الماضية والحاضرة وكانها تشاهد فيلم للقطات مجمعة من حياتها قبل ان تسقط فى بئر مصطفى والحياة معه وبعد ان سقطت سقوط لا قيام منه فلقد وقعت الفأس فى الرأس كما يقال فى قرية مصطفى على الاشياء التى تحدث بعد فوات الاوان ..

ولكنها فى النهاية وبعد ان انتهت من مشاهدة اللقطات المجمعة لحياتها منذ ان كانت طفلة صغيرة الى ان سقطت فى البئر .. بئرمصطفى الذى حول حياتها الى كابوس وجدت نفسها واقفة مع نفسها ايضا وكانها نسختين من نرمين ولكن الاولى نرمين الجميلة الرقيقة الانيقة الحالمة التى ترى عيونها كل شىء جميل ونرمين الثانية هى نرمين التى تحولت الى سيدة بائسة حزينة ونادمة بعد فوات الاوان ..

فنظرت نرمين الاولى الى نرمين الثانية وقالت لها .. ما هذا الذى فعلتيه فى نفسك ؟

فردت عليها نرمين الثانية وقالت .. لو كنت اعلم ان هذا هو مصيرى لما كنت فعلت ..

لو كنت اعلم اننى ساتحول فى غمضة عين الى خادمة من السادسة صباحا حتى اذان المغرب لاسرة قروية تُعاملنى كاننى جئت اليهم من الشارع .. ما كنت فعلت !

لو كنت اعلم ان جميل الملامح هو اقبح انسان فى الدنيا وانه حيوان فى صورة انسان جميل قتل حلمى وحوله الى كابوس فى لحظة جمعت بينى وبينه خلف باب مُغلق .. ما كنت فعلت !

لو كنت اعلم اننى ساعيش مع ناس لاتعرف معنى للخصوصية والانسانية .. ماكنت فعلت !

لو اعلم ان شهر العسل هو مجرد لحظات وليس هو كل اللحظات .. ما كنت فعلت !

وحتى تلك اللحظات ربما تُحرم منها الانثى اذا كان زوجها وشريك حياتها همجى شهوانى حيوان !

والله لو كنت اعلم .. ما كنت فعلت !

كنت اعتقد ان الجمال هو اهم شىء واغمضت عينى بكامل إرادتى وياليتنى لم اغمضها فلقد فتحتها على كل القبح بكل انواعه ووجدته مُتجليا بكل قوته طوال الوقت حتى فى الاوقات التى كنت انتظرها بفارغ الصبر اننى لم ارى مع جمال ملامحه الا القبح ولم ارى معه الا الملح اما عن العسل فلم اراه قط !

اننى انا عندما انظر فى ملامحه لا ارى ملامحة الجميلة التى كنت اراها قبل الزواج بل ارى ملامح شيطان او ربما حيوان او مخلوق عجيب التكوين وليس انسان ! حتى الاشياء التى تنازلت من اجلها اعتقادا ان المُتعة الحسدية ستعوضنى عن كل شىء تنازلت عنه اصبحت اكرهها بكل قوتى واصبحت أسوأ لحظات حياتى هى اللحظة التى تجمعنى به على الفراش , اننى اصبحت اترك له نفسس غصبا عنى ورغم إرادتى فقط حتى لا يكون ذنب أُحاسب عليه من ربى , انه هو من جعلنى اكره كل شىء منه انه يهين كرامتى ويعاملنى باسلوب غير لائق امام والدتة وكل نساء الاسرة واخوته حتى يظهر امامهم بانه رجل ثم ياتى فى المساء ويطلب منى جسدى بدون ان يُفكر ان يُصالحنى او يجبر بخاطرى وبدون مقدمات كأننى لست انسانة بل جسد فقط ليس له روح تملكه بل هو جسد ملكا له هو فقط ! , ثم اخفضت صوتها وقالت همسا وكانها لاتريد ان يسمعها احد وقالت .. انه يضرُبنى , وضربنى اكثر من مرة امام نساء البيت جميعهن , ويتعمد ضربى وإهانتى امام اسرته ليقولون عنه انه رجل , يضرُبنى انا ويهنينى انا وانا الذى كان لايحلم ان يعرفنى او حتى يجلس بجوارى ! , فنظرت لها نرمين الاولى وقالت .. الان ادركتى ان جمال الشكل وحدة لا يكفى ؟ الان ادركتى ان جمال الملامح ليس له علاق بالحقيقة ؟ الان فهمتى انكِ تنازلتى من اجل وهم ؟

فبكت نرمين الثانية واطرقت برأسها فى الارض وقالت بصوت مرتعش .. نعم ادركت وفهمت وتعلمت ولكنى سقطت سقوط لا قيام بعده ووقعت فى بئر لا رجوع منه ..

فنظرت لها نرمين الاولى نظرة تعاطف وشفقة وقالت .. لقد فات الاوان وكنت اود ان الهمكِ الصبر واستعين بمنطق المواساة والتفاؤل ولكنى لا استطيع فلقد ابى لسانى وعقلى عن النطق باى كلمة مواساة اتعرفين لماذا ؟ لانه فات الاوان وليس هناك اى ذرة امل فى ان تعودى مرة اخرى وتصبحى مثلى فى يوم من الايام فانا نرمين الاولى توفيت ودُفنت فى داخلك انتِ نرمين الثانية وواحدة منا

هى فقط التى ستظل على قيد الحياة كنت اتمنى ان اكون انا ولكن للاسف الشديد انتِ من ستظلين على قيد الحياة وقيد الندم ايضا ..

آخر شىء ساقوله لكِ يا نرمين الثانية انكِ ستلدين بنت والان ولكنها لن تكون مثلك بل ستكون مثل من حولك وستتكرر معاناتك مرة اخرى فى صورتها فخطأ يا نرمين لم يكن فى حق نفسك فحسب بل انه فى حق ذريتكِ ايضا فهو الخطأ الممتد وهو الندم اللامُنتهى الذى لا فائدة منه ابدا ..

انكِ ستلدى الان يا نرمين انكِ تتالمين الان , هل تريدى منى اى شىء قبل ان اعود الى داخلكِ واسكن طيات النسيان او التناسى قبل ان اعود الى مقبرتى بداخلك ؟ هل تريدى شىء ؟

فصرخت نرمين الثانية وقالت اننى حقا أتالم واشعر بألم الولادة كيف عرفتى ؟ الم اقول لكِ اننى بداخلك ؟ الم اقول لكِ اننى اشعر بكِ ؟ الم قاول لكِ اننى فقط من تتالم من أجلك وتفهمك جيدا ؟ (هكذا كان جواب نرمين الاولى على نرمين الثانية) ثم استطردت حديثها وقالت .. هل ترديى منى اى مساعدة ؟

فقالت لها نرمين الثانية وهى تصرخ والألم يقطع احشائها .. نعم , اريد امى بجوارى , ارجوكِ قولى لها اننى اضع طفلتى الان واريدها بجوارى حتى يطمئن قلبى واشعر بالامان ...

وأخذت تصرخ وتتالم وتتستغيث بأمها وتقول .. ماما .. ماما ..

****

استيقظت فوزية والدة نرمين من نومها مفزوعة وقامت جالسة فجأة وهى تشعر بالضيق وإختناق شديد وقالت .. نرمين ؟ وكأنها تسأل نفسها هل نرمين تنادى على ؟ ثم زفرت زفرة وكأنها قادمة من ضيق شديد جدا ثم نظرت على يسارها وقالت .. اين ذهب سعيد هل استيقظ مبكرا وخرج ؟؟
ثم نهضت وجلست على حافة السرير ووضعت قدميها على الارض وارتدت الشبشب فردة بعد الاخرى ولكن اقدامها كانت تتعثر فى إرتداءه وكانها لاتعرف الفرق بين اليمين واليسار فأخذت تضع قدمها اليمنى فى الفردة الشمال واليسرى فى اليمين ثم عادت وبدلتهما ليكون كل واحدة منهم فى قدمها الصحيحة ..
وفتحت باب الغرفة وخرجت منها وهى يبدو عليها الاضطراب والضيق ونظرت حولها فلم تجد اى شخص فى الصالة فاتجهت ناحية بابا غرفة صوفيا وطرقت الباب باطراف اصابعها حتى سمحت لها صوفيا بالدخول ففتحت الباب ودخلت وهى تقول .. صوفيا !
كانت صوفيا جالسة على المقعد الهزاز الخاص بها وعلى المنضدة بجوارها طبق به شريحة توست وموضوع عليه طبقة من الجبن الابيض وبجوار الطبق كوب من النسكافية .. فنظرت لها صوفيا وقالت .. صباح الخير يا حبيبتى .. تعالى .. اتفضلى

فتقدمت فوزية زوجة عمها وجلست على طرف السرير وقالت .. هل انتِ استيقظتى مبكرا اليوم ؟
فقالت لها صوفيا .. نعم وعلى فكرة عمى سعيد استيقظ مبكرا هو الاخر وجهزت له الفطور وقال لى انه مُسافر اليوم لقضاء بعض المصالح وطلب منى ان ابلغك حتى لاتقلقى عليه ..
فتنهدت فوزية بضيق وقالت .. صوفيا , انا اشعر بالقلق على نرمين , واشعر انها ستلد اليوم ..
معقول ؟ ستلد اليوم ؟ فعلا ان هذا الشهر هو الشهر التاسع لنرمين ولكن اليوم لو هو يوم الوضع اكيد كان مصطفى سيخبرك حتى تكونى معها وبجوارها , لاتقلقى !
فنظرت لها فوزية وكأنها متأكدة ان اليوم هو اليوم الذى ستضع فيه نرمين طفلها وقالت .. لالا يا صوفيا انا اشعر بالقلق الشديد ولن اطمئن على نرمين الا اذا رأيتها بعينى والله ان قلبى مقبوض ولو كنت اعلم انها مع ناس عندهم قليل من الاحساس لأطمئن قلبى عليها لكن اعرف جيدا ان مصطفى واسرته لن يحسنوا التصرف الا تذكرى عندما حدث ماحدث ليلة الدخلة ؟ تركها غارقة فى دمها وبدلا من ان ياتى لها بطبيب فى البيت ليسعفها اخذها الى الوحدة الصحية رغم انها كانت فاقدة للوعى ولم يهتم بالمضاعفات التى ربما تحدث لها بل اهتم فقط بالتكاليف التى ستقع على عاتقة اذا جاء بالطبيب الى المنزل ..
فاطرقت صوفيا رأسها فى الارض وقالت بحزن .. اااه والله فعلا وهذا شىء لا يُنسى ابدا !
اتفقنا زوجة عمى الحبيبة قومى انتِ جهزى حالك واستعدى وانا سوف استعد حالا وابدل ملابسى ونسافر الى نرمين فورا وحتى لو كان احساسك ليس فى محله تكون زيارة نطمئن فيها عليها وستفرح بنا جدا ..
نظرت فوزية بفرحة الى صوفيا وقالت .. الله يكرمك يا صوفيا ويفرح قلبك بالإنسان الذى يستحق ان يمتلك هذا القلب الجميل ..

وفى خلال ثوانى كانت صوفيا وزوجة عمها فوزية جاهزين للخروج والذهاب الى نرمين ولان فوزية تشعر شعورغريب جدا لم تنتبه الى اى شىء سوى ان تخرج من بيتها وتذهب الى نرمين التى تشعر بها وكأنها تستغيث بها من بعيد ..

ظلت صوفيا بجوار زوجة عمها طوال الطريق الذى بدا لفوزية طويل جداا اكثر من اللازم واكثرمن المُعتاد وصوت نرمين فى اذنيها تستغيث يثير خوفها وقلقلها ورغبتها فى الوصول سريعا ..
ظلت صوفيا تربت على كتف فوزية من حين لاخر وتحاول ان تُهون عليها الطريق حتى وصلوا الى القرية التى تسكن فيها نرمين ..

كانت المسافة من السيارة التى نزلوا منها وحتى بيت مصطفى تكاد تكون فى نظر فوزية اطول مسافة واصعب طريق دبت عليه خطوات اقدامها وكانت مع كل خطوة تخطوها تجاه بيت مصطفى تشعر بالضيق والاختناق وكأن روحها تكاد تخرج فى الخطوة التالية وكأنها لن تستطيع ان تصل الى نرمين وستغادرها روحها فى اللحظة الحالية ..

ولانه احساس ناتج عن رغبتها فى سرعة الوصول الى ابنتها نرمين لم يحدث لها شىء ووصلت بالسلامة الى بيت مصطفى هى وصوفيا ..

دخلت فوزية وصوفيا الى بيت مصطفى وبمجرد ان رأتها والدة مصطفى قامت من مكانها وقد كانت جالسة على الارض مُسرعة واتجهت نحو فوزية واخذتها بالحضن وقبلتها قبلات كثيرة ومتتالية وكانها مشتافة لها ولكن لم تهتم فوزية لان قلقها على نرمين احتل كل كيانها فلم تعد تهتم باى شىء اخر وقالت .. اين نرمين ؟

فقالت لها والدة مصطفى .. نرمين فى شقتها لازالت نائمة حتى الان , تقول انها تعابنة !
تعبانة ؟ لماذا ؟ ماذا حدث لها ؟ (هكذا قالت فوزية) , لا تقلقى , لا شىء انه دلع ليس اكثر (هكذا قالت والدة مصطفى) , فنظرت لها فوزية بغباء وقالت .. دلع ؟ اريد ان اصعد اليها لاطمئن عليها ..

فقالت لها .. وانا ايضا سوف اصعد معكِ حتى نطمئن عليها سويا ..
فصعدت فوزية ومعها صوفيا وخلفهم والدة مصطفى وزوجة شقيقة الكبير معهم وما ان اقتربوا من شقة نرمين الا وسمعوا صوت صراخ شديد جداا ...

فزعت فوزية وانتبهت لصوت الصراخ صوفيا ولم تبالى والدة مصطفى وزوجة شقيقة الاكبر ..
دخلت فوزية وخلفها صوفيا الى الشقة والتى كان بابها مفتوح واندفعت فوزية وهى تقول .. نرمين , نرمين اين انتِ ؟
دخلت فوزية وخلفها صوفيا ووجدوا نرمين على فراشها تصرخ وتستغيث وتقول .. ماما , اننى الد الان ! اغيثونى ..
فنظرت فوزية الى صوفيا وقالت .. ألم اقل لكِ اننى شعرت بها ؟
فدخلت والدة مصطفى وخلفها زوجة شقيقة الاكبر فنظرت فوزية الى والدة مصطفى وقالت لها بعصبية .. كيف نتصرف الان ؟ واين زوجها مصطفى كى يكون معنا فى هذا الموقف ؟
فردت عليها والدة مصطفى ببرود وهدوء ممزوج باللامبالاة وقالت .. انه فى الحقل
فنظرت زوجة شقيق مصطفى لحماتها والدة مصطفى وقالت .. الم اقل لكِ انها اقترب موعد ولادتها ؟ ولم تصدقينى وقلتِ ان البكرية تتأخر فى ولادتها ؟
فنظرت لها والدة مصطفى بإمتعاض وكانها تقول لها اصمتى الان , فنظرت لها فوزية وقالت .. اكنتِ تعلمين انها تتألم وحان وقت ولادتها وتتركيها هكذا ؟ اهكذا يكون الحفاظ على الامانة التى تركناها لديكم ؟
فنظرت لها والدة مصطفى وقد تحولت ملامح وجهها الى ملامح يحتلها الغباء وقالت .. ان البكرية تتأخر كثيرا فى ولادتها وبالاضافة الى انها ستلد بنت على ماذا نتعجل ؟ انها بنت !
صرخات نرمين تعلو وتعلو وكادت تصل الى عنان السماء وتصرخ وتقبض بيدها على الوسادة التى تحت رأسها وتصرخ وتجذب شعرها وتصرخ ..
وفوزية تبكى وصوفيا مزهولة والاثنين واقفني عاجزين لا يمكنهم فعل اى شىء !

وفجأة سقطت الطفلة التى فى رحم نرمين من بين ارجلها ..
فنظرت فوزية وصرخت وقالت .. يا إلهى ان الطفل نزل على السرير !
فنظرت والدة مصطفى الى الطفل جيدا ثم قالت متهكمة .. ألم اقل لكِ يا حاجة فوزية .. انها بنت !
فنظرت لها فوزية بغضب شديد وقالت .. ولانها بنت تتركى ابنتى انا تموت ؟ ولانها بنت تتركيها تسقط هكذا بدون طبيب يفعل معها الازم للحفاظ على حياتها ؟
اليست ابنتى انسانة ؟ اليست الطفلة هذه روح سنُحاسب عليها ؟
شىء عجيب فعلا .. (هكذا قالت صوفيا) , عادت زوجة شقيق مصطفى مرة اخرى بعدما نزلت الى الطابق الارضى وقالت وهى تأخذ نفسها بصعوبه وتنظر الى فوزية .. لا تقلقى يا حاجة لقد ارسلت مرسال الى مصطفى فى الحقل ليخبره ان نرمين تلد الان وارسلت مرسال الى الممرضة التى تسكن بجوارنا لتاتى وتفعل معها اللازم , اطمئنى يا خالتى , ونظرت الى نرمين والتى فقدت الوعى وقالت .. لاتخافى يا نرمين سوف نفعل اللازم !
وجلست فوزية بجوار نرمين تجفف لها عرقها وتبكى ودموعها تنهمرعلى وجه نرمين !

فنظرت صوفيا لهم وقالت .. ممرضة ؟؟!!
ثم نظرت الى نرمين فى حالتها تلك الحالة السيئة والتى تنم على قباحة وحقارة الاختيار وحقارة الواقع الذى تعيش فيه وانعدام الانسانية عند من تعاشرهم وقالت فى نفسها ..
حقا يا نرمين ان العسل فيه شفاء للناس ..
لكن العسل الذى اخترتيه انتِ وارتشفتيه هو العسل المسموم ..
حقا مسموم فلقد سمم جسدك وحوله من جسد ينبض بالحياة الى إيهاب ملتصق بعظام ناخرة ..
حقا مسموم فلقد اقتحم قلبك فقتلة ..
واقتحم روحك فدفنها بالحيا ..
انه مسموم يا نرمين قتللكِ كإنسانة وسمم حياتكِ ومستقبلكِ الى أخر العمر ..
وقتل ابنتك قبل ان تراى عيناها النور .. مسموم .. مسموم .. واعتقد انهم لن يتركوكِ لتستعيدى صحتكِ وسيجبرونكِ على الحمل من جديد ..
يا ليتكِ يا نرمين تركتى لعقلك فرصة لمدة لحظة فى التفكير لانقذتى نفسك من هذا الموت الحقير البطىء ..
لكان عقلك اوضح لكِ الامور وقال لكِ ان شهر العسل ثلاثون يوما اما الحياة فهى عمرا ..
لكان قال لكِ لاتُغلقى عيناكِ عن الحقيقة , فليس كل ماتراه العين هو الحقيقة .

-20-
الحب الجميل

يوليو – 2006

خرجت صوفيا من غرفتها وهى ترتدى الحجاب على رأسها وفستان طويل فضفاض ووجهها على طبيعتة بلا اى مكياج او إضافات فنظرت لها فوزية زوجة عمها والتى

كانت جالسة على الكنبة فى الصالة وتضع يدها على خدها وشاردة الى بعيد جداا تُفكر فى حال بناتها الثلاثة وحظهن الشؤم فنرمين بعد ان ماتت طفلتها الاولى بسبب الإهمال وتدهورت صحتها بسبب سوء احوال المعيشة وسوء حالتها النفسية ورغم ذلك اجبرها زوجها على الحمل بعد مرور اربعين يوما فقط ولم تقوى على التصدى له والاصرارعلى رغبتها بمنح نفسها فرصة عام على الاقل حتى تستعيد صحتها ولكن فى تلك المرة اخبرهم الطبيب المُتابع ان نرمين تحمل فى بطنها توأم احدهما ولد ام الاخر فليس واضح امامه ان كان ولد او بنت ولكن فرحة مصطفى ووالدتة بالولد جعلتهم يهتموا بنرمين جيدا والامل فى ان يكون الاخر ايضا ولد جعلهم يهتمون بها اكثر وكانوا حريصين كل الحرص على المتابعة مع الطبيب والإهتمام بموعد الولادة حتى لايحدث لها ماحدث فى المرة الاولى فالمرة الاولى كانت بنت وليس هناك اى مشكلة انها ماتت بسبب الإهمال ولكن تلك المرة ولد فلابد من الاهتمام الشديد .. وفعلا وهبها الله ولد وبنت توأم فرحوا بالولد وتجاهلوا البنت !

وايضا كانت تُفكر فى حال منار التى تحولت الى خادمة من التاسعة صباحا الى التاسعة مساءً تحت اقدام والدة حامد ومن العاشرة مساءً تبدأ فترة خدمتها لحامد الذى تاركها طوال اليوم لوالدتة تفعل فيها ما تشاء ولا يعود من القهوة الا فى المساء والذى لايتردد فى سبها وقذفها وضربها اذا لزم الامر لإرضاء والدتة بعد ان اجبرها على ترك وظيفتها لتهبط الى منزلته , ثم ياخذها الى غرفة النوم ويأخذ منها حقوقه الشرعية بمُنتهى الحيوانية وحتى دون ان يُكفكف دموعها المنهمرة من شدة الإهانة ورغم ان الله رزقها ببنت اصبح لديها خمس سنوات الا انها امتنعت عن الحمل ليس بإرادتها ولكن بسبب سوء حالتها النفسية ورغم ان الاطباء اكدوا لحامد ان توقفها عن الانجاب لاسباب نفسية ولن تنجب مرة اخرى الا اذا شعرت بالراحة والهدوء ورغم ذلك لايريد او حتى يُفكر فى راحتها مقابل ان يرضى والدتة التى تهوى مضايقتها وإهانتها !

وحال مفيدة ايضا تفكر فيه كثيرا , مفيدة لم تنجب حتى الان وعرضت نفسها على الكثير من الاطباء المُتخصصين الا انها لم يرزقها الله حتى الان مما جعلها حزينة ومقهورة طوال الوقت , والغريب ان مفيدة تشتكى من عماد زوجها دائما وتقول انه بخيل ويترك البيت بلا طعام ويتركنى جائعة وتقول ايضا انه شهوانى وحيوان وقليل الذوق دائما وعندما قالت لها والدتها ربما يكون الله منع عنكِ الانجاب حتى يكون لديكِ فرصة فى ان تتركيه وكلما قالت لها والدتها تلك الكلمات تغمغم مفيدة الحديث ويبدو عليها رفضها لفكرة الطلاق مما اثار غضب والدها ووالدتها فقالوا طالما انها تكرهه ولا تشعر بالراحة فى بيته فلما تستمر اذان ؟ ولكنها مفيدة قالتها لوالدتها فى مرة من المرات بمُنتهى الصراحة حيث قالت .. انه ليس فيه اى مميزات ولا اشعر بالراحة اطلاقا معه ولكن يكفى ان لدى مصدر لإشباع إحتياجاتى الجنسية فانا افضل ان اتحمل عماد بكل سخافتة والبخل وقلة الذوق وكل شىء سىء فى شخصيتة افضل من ان اعود الى ايام الحرمان واكون بلا مصدر لاشباع إحتياجاتى !

ظلت فوزية شاردة وعيناها تنظر الى المدى البعيد وكانها لا تنظر الى شىء معين امامها بل تنظر بعيد.. بعيد جدا ..

فقالت لها صوفيا .. زوجة عمى .. حبيبتى .. انادى عليكِ فيما تفكرين ؟؟

فانتبهت لها فوزية وقالت .. صوفيا !

ما هذا الذى ترتدينه ؟ حجاب ؟

فقالت لها صوفيا .. نعم لقد قررت ان ارتدى الحجاب منذ اليوم , ماذا عن رأيك فى ملابسى وشكلى الجديد ؟

فقالت لها فوزية .. جميل جدا والحجاب جميل على وجهك ولكن كنت اتمنى ان تنتظرى حتى تتزوجى اولا ثم ترتدى الحجاب فيما بعد , فانتِ كل شىء فيكِ جميل شعرك وجسمك وكل شىء وانا كنت اريد ان افرح بكِ يا حبيبتى واطمئن عليكِ وانتِ فى بيت الرجل الذى يستحقك ..

فقالت لها صوفيا .. يا زوجة عمى الحبيبة اننى وحتى الان لم ارى فى عين اى رجل نظرة اعجاب بشخصيتى او بعقلى او باى شىء جورهى اننى دائما ارى فى اعينهم نظرة اعجاب بجسدى وجمالى اننى دائما ارى فى اعنيهم نظرات شهوانية , ولذلك قررت ان اضع حاجز بينى وبين الشهونية , اضع حاجز بينى وبين الاراء السطحية , قررت ان احجب عن اعين الناس كل شىء يلفت نظرهم لى , يا زوجة عمى ان الزواج قسمة ونصيب وانا اريد زوج اختارنى انا بالذات اعجابا بصفاتى الجوهرية وهذا الاعجاب سيدوم الى اخر العمر ولا اريد رجل اختارنى انا بالذات اعجابا بصفاتى الشكلية لانه اعجاب سنتهى يوما ما , انا اريد رجل يحبنى انا ولا يحب جمالى فاذا ذهب جمالى بغضنى ونفر منى وبحث عن إمرأة اخرى انا اريد رجل مهما تغير شكلى ومهما ذبل جمالى يظل الحب فى قلبه لى لاننى انا مهما حدث , انا بروحى وبقلبى وبجوهرى الذى اختاره من بين كل من يعرفهم ويراهم .. لا انكر ان كثيرا من الفتيات يحاولن لفت الانظار اليهن من اجل الزواج ويفعلن المستحيل من اجل إمتلاك رجل ولكن صدقينى انهن لا يشعرن الا بشىء واحد فقط وحتى اخر العمر الا وهو .. الدونية وعدم إحترام الذات والاحساس بعدم احترام شريك حياتهن وعائلتهم لهن بالاضافة الى عدم ثقة ازواجهن فيهن والتى تقتلهن وتقلل من شأنهن ..

فنظرت لها فوزية زوجة عمها نظرة احتلها الاعجاب والفرحة غمرتها وقالت .. ماذا اكون انا بجوارك وبجوار عقلك الكبير ؟ حقا اتمنى من الله ان يحفظك ويسعدك ويرفع من شانك الى اعلى الدرجات , اذهبى يا ابنتى الله معكِ ولكن الى اين انتِ ذاهبة ؟

فقالت لها صوفيا .. انا ذاهبة الى الجامعة لاستلم شهادة الماجستير ..

فنظرت لها وقالت .. الله يجعل الفرحة بالماجستير فرحتين وحفل الماجستير الذى قرر عمك سعيد ان يقيمه من اجلكِ يكون حفلين بقدرة الله وكرمه ..

فنظرت لها صوفيا وغلفت عيناها ابتسامة امل وتفاؤل وقالت .. الله لايحرمنى ابدا من دعواتك لى زوجة عمى الحبيبة !

****

صوفيا تفتح باب التاكسى وتنزل منه واذا بدكتور طارق المُشرف على رسالة الماجستير واقفا امامها فانتبهت له صوفيا بعد ان اغلقت باب التاكسى وقالت .. اهلا دكتور طارق صباح الخير !

فظل ينظر لها وكأنه معجب بالتغير الذى قامت به وقال .. اهلا صوفيا صباح النور صدفة جميلة انى رايتك الان لو لم تاتى اليوم كنت سوف اتصل بكِ على تليفونك المحمول لاننى كنت اريدك فى موضوع هام !

فإبتسمت له وقالت بفضول .. خير يا دكتور ؟

فاقترب منها وقال .. ليس من الممكن ان نتحدث هنا فى الشارع

فقالت له .. انا جئت اليوم لاستلم شهادة الماجستير اذا احببت تدخل معى الجامعة ونتحدث بالداخل ؟

فقال لها .. لالا الموضوع الذى اريد ان اتحدث فيه معكِ لا يصلح ان نتحدث فيه فى الجامعة اذا لم يكن عندك مانع نجلس معا فى اى كافيتريا او اى مكان تحبيه قريب من هنا ونتحدث على راحتنا ؟

فبدا على صوفيا التردد الممزوج بالفضول مع الرغبة فى الرفض ولكن الفضول اقوى فقالت له .. ليس عندى مانع ! ولكن مكان عام قريب من هنا

اكيد طبعا .. (هكذا رد عليها دكتور طارق !)

د. طارق طويل القامة , ممشوف القوام , ابيض البشرة , وسيم الملامح , صاحب شعر اسود ناعم جدا وعيون سوداء ايضا , انيق وشيك جدا فى مظهره وجوهرة فهو يُقال عنه فى الجامعة البرنس د. طارق

فهو من عائلة مُحترمة ولها وضعها الإجتماعى المرموق وله اخت تعيش فى امريكا مع زوجها الذى يعمل فى السلك الدبلوماسى وأخ طبيب جراح ومتزوج من طبية مثله , ووالدتة ووالدة اصحاب عقليات متفتحة جدا ويؤمنون بالحرية الشخصية والاستقلال الفكرى لكل فرد فلم يتدخلو ابدا طوال حياتهم فى اختيارات ابنائهم ولذلك قرروا ورغم ثرائهم عدم تخصيص عمارة تجمع كل افراد العائلة وقرروا ان كل واحد من ابنائهم يستقل بحياتة فى المكان الذى يختاره هو وشريك حياتة ..

اتجه دكتور طارق الى كافيتريا قريبة من الجامعة وقبل ان يدخل فتح الباب لصوفيا لتدخل هى اولا وكانها أميرة وهو حارسها الذى يعاملها باحترام وتقدير ..

وتقدم بخطواته تجاه منضدة فى ركن هادىء بالمكان وقال لها .. ما رأيك نجلس هناك ؟ فأومأت له بوجهها اى موافقة !

تقدم دكتور طارق الى المنضدة وجذب المقعد الى الوراء قليلا وقال لصوفيا .. اتفضلى !

فجلست صوفيا بفخر وعزة نفس واتجه هو الى المقعد المُقابل وجلس عليه ونظر الى صوفيا وقال .. صوفيا هل انتِ مُرتبطة ؟ او فى اى شخص فى حياتكِ ؟

فقالت له .. رغم اننا نتعامل مع بعض منذ خمس سنوات ورغم ذلك لم تسألنى هذا السؤال ولكن ساجيب عليك .. لا !

فقال لها وهل كل من حولك اصابهم العمى حتى لا يرون هذا الجمال ؟

فنظرت له وغلفت عيناها نظرة فضول وحب استطلاع وتعجل لمعرفة الهدف من اسئلته لها وقالت .. اننى كنت مرتبطة من حوالى ست سنوات وكان ارتباط تقليدى وانتهى بالفشل !

فنظر لها بدهشة وقال .. وطوال تلك المدة لماذا لم ترتبطى مرة اخرى ؟

فقالت له .. إن اكثر شىء يجعل الانسان يُخطأ فى حق نفسه ويحملها فوق طاقتها هو ان يخرج من تجربة قاسية مُحطم نفسيا بائس يائس يرى الدنيا كلها سوداء وكل الابواب من حوله مغلقة ويدخل فى تجربة جديدة اعتقادا منه انها ستساعده على النسيان وتحدى الألم ولكن تكون النتيجة هى إما الإنهيار العصبى او قرار مصيرى يجعله يندم الى اخر العمر , ولذلك قررت ان امنح نفسى مساحة من الوقت لتكن فاصل اصُفى فيه ذهنى وأُنقى قلبى بين التجربة الماضية والقرارات الجديدة لان لكل مرحلة ضغوطها العصبية وحتى لا اضع فوق عاتقى مالا اطيقه فتأخذنى الى الإنهيار فى قاع التيه والندم

فنظر لها باعجاب شديد وعيناه السوداء تلمع لمعة اعجاب وانبهار وقال .. حقا انتِ انسانة ليس هناك مثلك اثنين فى هذا العالم , اسمعينى يا صوفيا جيدا لانكِ اكيد تريدى ان تعرفى لماذا طلبت منكِ ان نتحدث معا الان ..

اول مرة رايتك فيها وكنتِ قادمة نحوى من بعيد لفت نظرى جسدك الجميل المُتناسق لدرجة انى دققت النظر فيه بكل قوتى ...
ولكن بمجرد ان بدأ الحديث بيننا جذبتنى نظرة عيناكِ الساحرة فالعين يا سيدتى مرآة الروح ..
وعندما اقتربنا اكثر وتعرفت عليكِ كإنسانه اصبحت حينما اراكِ اطرق عينى على الارض مكتفيا بان انظر الى الارض التى تسير عليها انسانة مثلك ...
انتِ بالنسبة ليس مجرد إمرأة جميلة , انتِ عقل راجح , قلب ينبض بالحب , روح شفافة طاهرة , انثى راقية , انتِ كيان مُتكامل مُميز لم ارى مثله من قبل لم اعرف انثى تجمع داخلها كل شىء مثلك , فيلسوفة , فنانة , عاشقة , طموحة , عقلانية , عاطفية , رومانسية كل شىء يكمن بداخلك ولكن لكل شىء وقته المُناسب تماما انتِ ليست شخصية بل مجموعة شخصيات متميزة داخل قالب واحد وهو .. انتِ , انتِ ليست مجرد انثى لا بل انتِ حياة ليست على الارض لا بل فى الجنة على الارض ..

فهل تقبلين الزواج منى ؟

فاطرقت عينيها على الارض واحمر وجهها خجلا ولمعت عيناها فرحا ثم اختلست نظرة الى عيناه ثم قالت .. انا انسانة لست مثل كل النساء فانا لا احتاج رجل فقط او اى رجل وانما .. اسمعنى جيدا و دعنى احدثك عن نفسى بكل صراحة فانا انثى حرمنى القدر من الأب والاخ فانا اعانى من الحرمان العاطفى بكل انواعه , ولاننى عاطفية ورومانسية بطبعى قررت ان اجعل عقلى حارسا امام كل نقاط ضعفى حتى لايسمح لاى رجل بإقتحام قلبى وربما يكون لايستحق ..

انا قررت ان اصنع مكانه ومستقبل لنفسى وهذه كانت وصية ابى رحمة الله عليه قال لى .. يا ابنتى ان الزواج ليس ضمان لمستقبل الفتاة لان زوجها ربما يتركها او يتخلى عنها او لا يُحسن معاملتها ولكن مستقبل الفتاة الحقيقى فى العلم والعمل اذا اصبحتى صاحبة علم ووظيفة لها دخل ثابت ومستقر ستؤمنى نفسك من غدر الدنيا وغدر الرجال ..
يا سيدى انا كل ما اتمناه انسان بمعنى كلمة انسان , يهنينى , يسعدنى , يفرح قلبى , يريح بالى , ياخذنى من ضوضاء العالم الى حضن قلبه حيث الحنان والامان , يكرمنى ويتقى الله فى انثى ضعيفة ليس لها بعد الله سواه , اتمنى رجل يضمنى بين ذراعيه , وحضنه يكون لى ملجأ الوذ اليه عند الخوف والرغبة فى الهرب حتى وان كان الخوف منه والهرب من عصبيته وبطشه , اريد رجل يكون لى أب , أخ , حبيب , صديق وزوج وكل شىء فى حياتى , اريد رجل استغنى به عن العالم كله يكون هو العالم بالنسبة لى , رجل يُدرك جيدا المفهوم الحقيقى لقوة الشخصية والرجولة الحقيقة , رجل عيناه تحرصنى , ويداه تضمنى , وقلبه يأوينى , وحضنه يحمينى ..
رجل اكون ان طفلته المُدللة اذا أخطأت لايُعنفنى بل يقول لى .. تعالى يا حبيبتى اجلسى هنا بجوارى وحتى لا اخاف منه يبتسم لى ابتسامة رقيقة وبيده القوية الكبيرة يلمس شعرى ويدسه خلف اذنى وهو يهمس بصوته ويقول .. حبيبتى ما فعلتيه هذا خطأ فلا تفعليه مرة اخرى حتى لا اغضب منكِ .. اتفقنا يا حبيبتى ؟
وعندما يشعر انى خائفه منه وابكى ندما على خطيئتى يقول لى ... لالالا لا تبكى يا حبيبتى الجميلة ويمسح دموعى بطرف اصابعه برقه ويضمنى فى صدره وهو يهمس فى اذنى وهو يقول .. لا تبكى يا حبيبتى .. لا تخافى .. انا لن افعل لكِ شىء .. لا تخافى ابدا .. ولكن لا تكررى ما حدث مرة ثانية والا سأغضب منكِ ولن اسامحك ابدا ..
وعندما يشعر بخوفى يزداد يضمنى بقوة اكثر ليشعرنى بالامان ويمتص قلقى وخوفى وكلما ضمنى اكثر كلما امتص حضنه الخوف منى ويظل يُمسد لى شعرى برقة وهدوء حتى اهدء تماما وانسى خطيئتى وانسى غضبه منه ..
وحينما يجدنى تحولت الى طفلة مُرتميه بكل ضعفها على صدره لتحتمى به منه يصبح اكثر رقة وهدوء ولا يتركنى اخرج من بين ذراعيه الا بعدما يشعر اننى تخلصت من كل الخوف واصبحت على مايرام ..
اننى اريد رجل اكون اهم انسانة عنده فى الدنيا كلها انا , واى انسان اخر ياتى بعدى فى منزلة اقل من منزلتى عنده فلا احد يكون عنده فى منزلتى ابدا انا السلطانة انا ملكة كيانه انا طفلته الوحيدة ...

اننى اريد رجل لايبعدنى عن حضنه ابدا فلا يشعر بالراحة الا وانا بين ذراعيه واذا ابتعدت قليلا يشتاق لوجودى على صدره ..
حينما استيقظ فى الصباح يضمنى فى صدره لانه اشتاق لى , ولايستطيع ان ينام الا وانا بجواره واذا استيقظ من نومه فجأة ووجدنى بعيده عن حضنه شعر بالضيق والقلق وينادى على .. يا حبيبتى .. يا حبيبتى .. لماذا انتِ بعيدة عنى .. تعالى الى هنا يا قلبى وضعى رأسك على صدرى حتى اتمكن من النوم .. فصدرى وسادتك توسديه لتكونى بجوار قلبى , رجل عندما انظر الى وجهه وهو امامى أرى فى ملامحه الفرح والسعادة بوجودى وأرى فى عيناه الحب لكيانى وعندما ياخذ يدى فى يده اشعر وكانه اخذ يدى فى حضن يداه فحتى لمسة يده ليدى اتمناها تعبر عن عاطفته نحوى لا يترك يدى ابدا وكاننى طفلة صغيرة يخشى ان اضل الطريق او تصدمنى سيارة عند عبورى طريق السيارات وحدى ..
رجل مهما كان مشغول يكون لديه وقت من اجلى حتى وان كان لحظة يسأل فيها عنى او يهمس فى اذنى بكلمة واحدة وبعدها يعود الى مشاغله ..
عندما ابتعد عنه يساوره القلق والخوف ولا يهدأ له بال ولا يرتاح قلبه الا بعد الاطمئنان على حبيبته ..اانا
رجل يهتم بى وبكل ما يخصنى لانه يحبنى وليس اهتمام مؤقت حتى يتمكن من قلبى وبعدها يعاملنى بجفاء وتجاهل بحجة اننى اصبحت ملكه واعرف انه يحبنى فلا داعى للاهتمام يظل يهتم بى الى الابد لاننى .. طفلته الوحيدة ..
رجل يتحمل كل شىء لانه الرجل .. لانه القوى .. لانه الكبير .. من اجلى من اجل ان يرانى سعيدة ويقول لى .. لا بأس حبيبتى لا يهمنى التعب المهم اراكِ سعيدة .. يا حبيبتى
رجل اذا أخطأت فى حقه يعاقبنى ليعلمنى لا ليعذبنى ويقهرنى ..
رجل لا يُغضبنى ولا يُحزننى من اجل ارضاء احد مهما كان ..
رجل اذا كان عصبى .. مع كل الناس الا انا يعاملنى بهدوء ..
رجل اذا كان لايحب كثرة الحديث فهذا جميل ولكن مع الناس كلها الا انا يتحدث معى كثيرا ولا يمل من الحديث معى او الاستماع لى ..
يصغى الى جيدا كطفلة .. كحبيبة .. كزوجة .. كإنسانة ..
ويعاملنى على حسب الحالة التى تسيطر على كيانى ..
رجل ينسى كل العالم طالما .. اننا معا .. انا وهو .. فقط
رجل بعد كل لحظة حب .. لحظة عشق .. لحظة غضب .. لحظة حميمية ..
يضمنى فى صدره وارتمى انا فى حضنه بكل عاطفتى وابوح له عن احساسى فى تلك اللحظة ويبوح لى عن احساسه هو ايضا فلا نترك شىء فى خلجاتنا يختبء داخل احدنا عن الاخر فتصير خلجاتنا واحدة بلا حواجز وبلا جوانب غامضة
يا سيدى اريد رجل اكون انا وهو شخص واحد .. روح واحدة .. قلب واحد .. كيان واحد يحب نفسه ويخاف عليها ويسعد عندما يراها ترتفع وترتقى لاعلى ..
يا سيدى اريد رجل يجعلنى اعشقه لانه يعشقنى ..
انا اريد .. حب .. حنان .. دلع .. اهتمام .. حضن واسع .. احتواء .. يدللنى .. يدللنى .. يدللنى .. والصدق اهم شىء مع كل الاشياء
يا سيدى اريد رجل لا اكون بالنسبة له زوجته .. بل اكون حبيبته
فهل انا حبيبتك ؟؟
فهل انت ذاك الرجل الذى حدثتك عنه ؟؟

فظل دكتور طارق ينظر لها وشرد بعيدا مع حديثها المُمتع الرقيق ولم ينتبه لإنتهائها من الحديث الا بعد لحظة ثم عاد الى الوراء وسند ظهره على ظهرالمقعد وقال وهو ينظر فى عيناها ..
أنا لم اسمح لنفسى ان افتح معكِ موضوع الارتباط فى خلال السنوات الماضية منعا للإحراج وانتظرت حتى ينتهى اشرافى على رسالتكِ ويالیتنى لم انتظر حتى الان , كم كنتِ جريئة بطريقة لم اعتاد عليها منكِ !
ولكن .. كم انتِ حالمة رومانسية راقية .. كم كنتِ جميلة جدا وعفويه مثل الاطفال الذين لايجيدون اللف والدوران والتمثيل !
نعم يا طفلتى انا ذاك الرجل الذى تحدثتى عنه
منذ ان عرفتك وانا اراكِ طالبة ذكيه وشخصية مميزة وطموحة
والان رايتك طفلة باحثة عن العطف والحنان ..
وها انا اريدك لتكونى .. طفلتى المُدللة , زوجتى المصونه , صديقتى الوحيدة و حبيبتى الى اخر العمر

متى ستُحددى لى موعد مع عمك لاطلب يدك منه ؟؟ وقبل ان تفتح فمها وتنطق باى كلمة استطرد قائلا .. اتصلى به الان واخبريه واتركينى اتحدث معه واحدد موعد لمقابلته فورا ..

فتجسدت السعادة على وجه صوفيا وكادت الدموع تسقط من عينيها فرحا وامسكت بحقيبة يدها وفتحتها واخرجت منها تليفونها المحمول واتصلت بعمها وبمجرد ان رد عليها وقال .. الووو

قالت .. عمى .. دكتور طارق .. الذى كان مشرف على رسالة الماجستير الخاصة بى والذى عرفتك عليه يوم مناقشة الماجستير يريد ان يتحدث معك ..

ودون ان تنتظر رد عمها مدت يدها بالتيفون المحمول الى دكتور طارق ودون ان تنطق اى كلمة وهى تشعر بالخجل عند تقابل نظرات عينيها بنظرات عينيه ..

فأخذ دكتور طارق التليفون المحمول من يدها برقة وهدوء وهو ينظر فى عينيها ووضعه على اذنه وقال .. الوو .. اهلا بك يا عمى .. انا اريد ان اتزوج صوفيا .. فهل تقبلنى زوج لها ؟ ان قبلت يكون لى الشرف والفخر , لان صوفيا .. ليس هناك اثنين مثلها فى العالم ..

-21-
إنسان بنكهة العسل

4- نوفمبر – 2006

ماهذه القاعة الفخمة انها تشبه القاعات التى نراها فى التليفزيون ؟ (هكذا قالت نرمين) , وهى جالسة بجوار منار ومفيدة ووالدتها فوزية معا على نفس المنضدة فى القاعة التى يُقام فيها حفل زفاف صوفيا ود.طارق ..

فنظرت لها منار وقالت رغم ان حامد لم يُقيم حفل زفاف لى الا اننى لم احزن لهذا السبب وكنت مُكتفيه بالحب والاحساس ولكنى ومع مرور الوقت ادركت اننى ضحيت من اجل وهم ولم يعد هناك حب او احساس بقلبى ناحيته اطلاقا فلقد حطمنى بانانيته ورغبته الدائمة فى إرضاء والدتة على حساب كرامتى وحياتى ورغم اننى كنت اعاتبه برقة وبحب الا اننى الان توقفت عن عتابه نهائيا فلقد كنت اعاتب الحبيب والان لم يعد حبيب ولم يعد بالنسبة لى الا مجرد شخص اطاح بحياتى ومستقبلى بأنانيته وغباءه وللاسف انه يعتقد ان السبب وراء عدم معاتبتى له وامتناعى عن البكاء على صدره اننى رضيت بالامر الواقع واستسلمت ولا يعرف ان .. عندما تتوقف الانثى عن عتاب حبيبها عندها تكون قد اخرجته من قلبها واغلقت الباب خلفه ..

فنظرت لها نرمين بحزن وهزت رأسها لاعلى ولاسفل وكأنها تريد ان تقول للاسف هو حالى انا ايضا ..

فنظرت لهم مفيدة وقالت وهى يبدو عليها الغل الشديد والحقد .. انا لا اضيق التواجد هنا انا اريد ان اعود الى البيت ..! , فنظرت لها فوزية والدتها وقالت .. ماذا حدث يا مفيدة ؟ لايصح اطلاقا ان تتركى الحفل وتعودى الى المنزل والعريس والعروسة لم تأتوا حتى الان , انتظرى حتى تاتى صوفيا وتُسلمى عليها وعلى عريسها وبعدها افعلى ماشئتى .. , فنظرت لها مفيدة بغل وقالت بصراحة انا لا اطيق ان اظل هنا هى الوحيدة التى اقُيم لها حفل زفاف على هذا المستوى العالى اما نحن فلم نفرح ولم يُقام لنا حفلات زفاف !

فقالت لها فوزية بحزم وشدة .. ومن الذى منع عنكم الفرحة ؟ ومن الذى اجبركم على قبول تلك الاوضاع التى تُشعرك بالاهانة الان ؟ صوفيا ؟ ام ازواجكن البخلاء ؟

فنظرت لها مفيدة بغل واشاحت بوجهها عنها خجلا من عدم قدرتها على الرد على والدتها فوزية ..

فنظرت لها نرمين وقالت .. الحق يقال يا مفيدة .. نحن الثلاثة .. ازواجنا بخلوا علينا بالفرحة .. ونحن بقبلونا اياهم تنازلنا عن الفرحة .. ربما يكونوا بخلاء حقا ولكنهم ليسوا فقراء .. ولكن نحن وهم اشتركنا معا فى ضياع الفرحة من حياتنا الى الابد ..

فنظرت لها مفيدة وقالت .. ما كل هذه الحكمة يا ست نرمين ؟

فتنهدت نرمين تنهيدة جائت من عمق الجحيم وقالت .. والله لو تمنيت شىء لتمنيت ان يعود بى الزمن واستمع الى نصيحة صوفيا لى واتراجع عن قبول

مصطفى زوج لى وشريك لحياتى الى اخر العمر , انظرى لى جيدا يا مفيدة هل انا الجالسة امامك الان اكون نرمين التى تعرفيها ؟ هل تتذكرين نرمين الانيقة التى كانت الابتسامة لا تفارق وجهها ؟ انظرى الى وجهى اصبح مثل وجه السيدات القرويات التى يعملن فى الحقول طوال نهار , انظرى الى ملابسى اصبحت ارتدى ارخص واردىء الملابس ليس لان زوجى فقير بل لانه بخيل وينفذ تعليمات والداته والتى هدفها الاساسى ان ترانى امامها مثل اى سيدة قروية لانها لا تطيق الاحساس بالفرق بينى وبينها ..

فقاطعت منار نرمين وقالت وهى تنظر لمفيدة .. اه والله يا مفيدة من منا اصبحت كما كانت زمان وانتِ ايضا دائما تقولين اننى اعانى من الجوع والحرمان وليس زوجك ببخيل بل لانه ينفذ تتعليمات والدتة فى البخل ...

حقا ان مشكلتنا ليست فى ان صوفيا تفوقت علينا وحصلت على ما لم نحصل عليه نحن , ان مشكلتنا اننا وضعنا حياتنا ومستقبلنا فى ايدى غير امينة مع قلوب لا يفرق معها ان كنا سعداء ام لا لاننا من البداية بالنسبة لهم لاشىء او شىء ليس له علاقة بالحب فزوج نرمين كانت بالنسبة له مجرد رغبة فى امتلاك شىء مختلف , وانا كنت بالنسبة لحامد مجرد رغبة فى ارضاء الغرور , وانتِ كنتِ بالنسبة لعماد مجرد زوجة مناسبة فقط لا غير .. ولكن للاسف انا وانتِ وهى اعتقدنا انه حب وهو كان مجرد شىء يشبه الحب ..

فقاطعتهم فوزية والدتهم وقالت وهى تشير بيدها نحو شاشة العرض القريبة منهن .. لقد بدأت زفة العريس والعروسة ..

هيا بنا لنسلم على صوفيا ود. طارق ؟

فقالت مفيدة انا لن اتحرك من مكانى اذهبوا انتم ..

وكان عمها سعيد يقف خارج الكوافير والتابع للقاعة هو ود. طارق فى انتظار خروج العروسة صوفيا وبمجرد خروجها اقترب منها د. طارق وقَبل يديها وقَبلها على جبينها واخذها فى يده واتجه بها ناحية القاعة المجهزة لاقامة حفل الزفاف ولكن كان عليهم ان ينزلوا من على السلم الذى هو مُزين بالورد على الجانبين ويقف ايضا على الجانبين شباب جميعهم يرتدون زى موحد وكل واحد منهم يمسك فى يده شعلة نار بمجرد نزول العروسين الى اخر السلم بدأت الزفة والتى رافقت العروسين حتى وصولو االى الكوشة ..

ظلت مفيدة جالسة مكانها فى حين ان منار ونرمين ووالدتهم فوزية اتجهوا الى الخارج للوقوف فى الزفة بجوار صوفيا وظلوا خلفها حتى وصلت الى الكوشة برفقة عريسها حتى جلسوا ثم عادوا الى اماكنهم على التربيزة بجوار مفيدة , فقالت لهم مفيدة متهكمة .. سلمتم على العروسة ؟ اتصورتم ؟ مبسوطين الى هذه الدرجة ؟ فنظرت لها والدتها فوزية وقد لوت فمها ناحية اليسار وقالت .. صوفيا تستحق كل خير يكفى انها صبرت وتحملت ومن الواجب ان تقومى تسلمى عليها وتلتقطى صورة وانتِ بجوارها مثلما فعلنا ..

قومى واذهبى الى زوجك فهو جالس مع حامد ومصطفى على المنضدة التى خلفنا وخذيه معكِ وقوموا بالواجب مع ابنتك عمك ..

وتوقفت فوزية عن الكلام وقد انتبهت لقدوم سعيد عليهم ويبدو عليه الفرحة والسعادة وقال .. أرأيتم الافراح ؟ أرأيتم الرجال الحقيقين ؟ أرأيتم الناس التى تعرف كيف تقدر قيمة بنات الناس ؟ انه ابن ناس فعلا وليس حيوان ويرتدى ثوب البنى ادمين مثل جماعة .. ونظر نظرة احتقار لبناتة الثلاثة ..!

واللاتى التزمن الصمت ولم تجرؤ ولا واحدة منهن ان تنطق بكلمة ولكن مفيدة نظرت له بغل وغباء ومالت على منار وقالت .. انظرى يا منار الى العريس كيف يمسك يدها بكل قوة يبدو .. انه مجنون بحبها !

فقالت لها منار .. الله يسعدهم اما نحن فحظنا مائل وازواجنا مثل الحائط الآيل للسقوط وسهامنا خائبة !

فهمهمت نرمين قائلة وهى تنظر الى صوفيا وعريسها .. كم هو رقيق عندما رأى الدمع يتساقط من عينيها كفكفه لها برقة متناهية وربت على كتفها وقبل ان يجلس على المقعد امسك بيدها واجلسها هى فى الاول ..كم هو انسان رقيق ويبدو عليه انه يحبها يالا حظى السىء هذا هو الحب الذى كنت اتمناه وهذه هى الهمسات واللمسات الدافئة الرقيقة التى كنت انتظرها وضحيت من اجلها وانا اعتقد وهما ان جميل الملامح سيكون معه كل شىء جميل .. لن اقول نادمة فلم يصبح هناك مُتسع للندم .. !

ثم عادت مفيدة تتحدث بغل وتقول .. انا لا اطيق البقاء هنا اكثر من هذا انا لابد لى ان انصرف حالا ..

فنظر لها والدها سعيد وقال .. انصرفى .. عموما العروسين سيباتون ليلتهم هنا فى الفندق فلقد حجز العريس الدكتور طارق جناح كامل له ولصوفيا , وكانه كان متعمدا ان يثير غيرتها ويجعلها تعى كم هى سقطت !

ثم استطرد حديثه قائلا وهو ينظر الى بناته الثلاثة وفوزية والدتهم .. على فكرة ان الدكتور طارق قرر ان يسافر هو وصوفيا لقضاء شهر العسل وسيكون شهرا كاملا فى البلد التى ستخارها صوفيا ..

****

دخل دكتور طارق وفى يده صوفيا عروسته الحسناء الى الغرفة التى قد كان حجزها فى الفندق الذى اقام فيه حفل الزفاف بنية قضاء ليلة الدخلة فيه وبعد ذلك سوف ينطلقون لقضاء شهر العسل شهرا كاملا فى البلد الذى سيتفق عليها هو وصوفيا ...

وبعد ان اغلق الباب خلفه ودخل هو وصوفيا الى الغرفة ووقفت صوفيا فى منتصف الغرفة وهى تضع وجهها فى الارض ويبدو عليها الخوف والحيرة والقلق , اقترب منها طارق وهمس فى اذنيها قائلا ..

ان الليلة ليست ليلة عادية فهى ليلة زفافنا وليلة عيد الحب إن إختيارك لليلة عيد الحب اختيار اوحى لى بمدى رقتكِ وجمالكِ وسوف نحتفل كل عام بعيد زواجنا وبعيد الحب معا فعلا نحن لسنا زوجين فقط بل حبيبين ايضا .. واقترب منها ليُقبلها على خدها الايمن ..

فتراجعت خطوة للخلف وقالت له لن تتمكن من الاقتراب منى فى هذه الليلة
فقال لها لماذا ؟
فقالت ان عندى ظروف تمنعك من الاقتراب
فهمس فى اذنيها وكم تستغرق تلك الظروف من ايام
فاشارت له باصابع يدها اى ثلاثه
قال واليوم هو اى يوم فى الثلاثه
فاشارت له بيدها اى الثالث
فقال لها .. ليس هناك اى مُشكلة يكفينى ان اضمك فى صدرى وتنامى بين احضانى التى طالما اشتاقت لكى وتمنتكِ ..
فاطرقت برأسها فى الارض وتساقطت الدموع من عينيها واحدة تلو الاخرى , فاقترب منها وكفكف دموعها برقة وهمس فى اذنيها .. يا حبيبتى لا تبكى ارجوك فانا لست بغاضب منك او حزين فهذه ظروف ليست لك يد فيها وليس من الضرورى ان نمضى ليلتنا مثل اى رجل وإمرأة فى مثل هذه الليلة يكفينى والله ان اضمك فى حضنى حتى ينطفىء شوقى لكِ والايام القادمة فلنفعل فيها ما نشاء لكن ارجوك لا تبكى ابدا
فرفعت عينيها ببضىء ولكن دون ان تنظر فى عينيه وقالت .. انا ابكى لاننى كذبت عليك ظروفى التى تمنع لقائنا الليلة كرجل وامرأته كانت نهايتها امس واليوم لا شىء يمنع اطلاقا ولكننى قلت لك هكذا لاننى كنت خائفة منك وكنت اود ان اختبر رد فعلك , ولكنك يا سيدى اخجلتنى برقى اخلاقك وكرمك وانسانيتك ولهذا ابكى ..
فصمت قليلا واختفت الابتسامة التى كانت مرسومة على وجهه واقترب منها بهدوء وبطىء واخذ يدها اليمنى برقة وهو ينظر فى عينيها التى اغرورقت بالدموع وغلفتها نظرة اختلط فيها الخوف مع الحزن مع الفرح , وضم يدها بين راحتيه الكبيرتان القويتان ولكن خشى عليها من قوة يديه فضمها برقة واقترب منها خطوة وانحنى قليلا ليهمس فى اذنيها قائلا .. حبيبتى .. حبيبتى .. لا تخافى ابدا .. لا تخافى من اى شىء لاننى .. احبك .. فلا مكان للخوف وانتِ فى حضنى .. لانكِ ستكونى فى حماية قلبى .. لا داعى للخوف منى كرجل .. اعلم ان معظم الرجال يكونوا مُخيفين فى مثل هذه الليلة بالذات ومعكِ حق ان تخافى وتقلقى ولكنى سأضمك فى حضنى وبين ذراعى وحضنى منبع الامان والحنان لكِ سيحميكى من الرجل وقسوته .. ثم اقترب منها خطوة اخرى واخذ وجهها بين راحتيه برقة شديدة جدا وهى تنظر فى الارض وكأن الخجل والخوف اثقلوا رأسها فلا تسطيع ان ترفعها لاعلى فرفع ذقنها لاعلى بطرف اصابعه ونظر فى عينيها وتلاقت نظرات اعينهم .. قَبلها على جبينها .. فانهمرت الدموع من عينيها على وجنتيها التى

اشتعلت احمرارا من الخجل .. مسح دموعها بطرف اصابعه وظل ينظر فى عينيها حتى رأى فيهما نظرة تقول له ضمنى فى صدرك حيث الامان فانا خائفه بشدة .. فاخذها فى صدره بكل قوته وضم رأسها بيده لتكون اكثر قربا من قلبه وليمتص حضنه توترها وقلقها واطرق برأسه ليُلامس وجهه وجهها واختلطت انفاسهم وظلت فى حضنه حتى نست كل شىء وكل الماضى وكل الحزن وكل القلق والتوتر والخوف حتى .... انتهى ... ما كانت تخاف منه ومرت الليلة بسلام بين احضان قلبه الواسع الجميل الطيب الذى احتواها احتواء الكبير المقتدر للطفلة الصغيرة المغلوبه على امرها ..
استيقظت صوفيا فى الصباح وفتحت عيونها فوجدت نفسها متوسدة صدر طارق الحنون الهادىء فقامت وجلست وظلت تنظر فى ملامح وجهه وتتفرسها باعجاب وحب وقالت ..

انت حبيبى فتحت قلبى وداويت جراحى ..انت حاضرى ومستقبلى وكل حياتى
أخذتنى الى عالم نسيت فيه أهاتى.. بحر حنانك بات كونى وقلبك مكانى
بروعة احساسك محوت آلامى.. عطاءك مطرا أسقيت به قلبى
وبات عشقك وحبك هو نبضى ..حبيبى بات الدم يجرى فى وريدى
انسابت روحى منك وفى رحابك ترتوى..تسكن فى وجدانى وتسمو بالامانى
همساتك الدافئة عطرت اجوائى..تتهادى بحنانك فتفتحت ورودى
يامن تسكن فى اعماقى وكيانى..انت حبيب الروح اليوم و كل زمانى .

ففتح طارق عيناه وهو مبتسم ابتسامة جميلة ورقيقة وقال .. ما هذا أحبيبتى شاعرة ؟

فنظرت له بحب وقالت .. رقتك هى التى جعلت منى شاعرة فهل تعرف ما هو احساسى وانا على صدرك ؟

فنظر لها برقة وقال ماهو يا حبيبتى ؟

فوضعت رأسها على صدره مرة اخرى وهمست قائلة .. كظمأن فى وسط الصحراء و عثر على بئر ماء فجلس على حافته واخذ يرتشف ويرتشف حتى ارتوى والبئر ساكن هادىء حتى لايُزعج الظمئان منذ زمن طويل حتى ارتوى .. هكذا كان حبيبى وانا جالسة بجواره ومُستلقيه على صدره ارتوى من حنان قلبه كان ساكنا هادىء ليتركنى ارتشف من حنانه حتى ارتوى بكامل حريتى وبلا شىء يزعجنى حتى لو كانت انفاسه التى اعشقها كنسيم الصباح .. حقا .. انه .. انسان .. بنكهة العسل .. انه .. حبيبى .. انه ..انت .

-22-

بائعة اللبن

فبراير - 2015

مرت سيدة فى حوالى الساعة السادسة صباحا , ترتدى ملابس مثل ملابس السيدات القرويات الفقراء البسطاء تماما وترتدى فى قدميها حذاء جلدى يبدو عليه انه مُنهك وبذل قُصارى جهده معها حيث كان مرافقاً لها منذ سنوات طويلة وتنظر منه اصابع قدميها على الطريق وتحترق من حرارة الارض من خلال فتحاته الجانبية والامامية ونعله الذى اصبح من كثرة إحتكاكه بالارض رقيق جدا وبه ثقوب تُوصل حرارة الارض وترابها وطينها الى قدميها , ولكنها ترتدى على قدميها شراب اسود ثقيل ليحميها من برودة الجو عندما يكون بارد ومن حرارة الارض عندما يكون الجو حار , وتحمل فوق رأسها كرتونة بها زجاجات مياة غازية بلإستيك ولكنها مملؤة لبن حليب ..

مرت تلك السيدة امام مجموعة من النساء اللاتى كُن جالسات على عتبة احدى المنازل وبمجرد مرورها أمامهن انتبهن لها وقالت احدهن .. هل تعرفن من تكون هذه السيدة ؟ فقالوا لها .. ومن تكون ؟

قالت .. انها نرمين .. زوجة مصطفى ابو عبد الله , فقالت احدهن مندهشة وهى تمسك ذقنها بيدها اليمنى .. هل هذا معقول ؟!! اليست هذه التى كانوا يقولون عنها البرنسية ؟ اصبحت الان هكذا مثل الفلاحات الفقراء وتبيع لبن ؟ لا حول ولاقوة الا بالله لقد وقعت ولا احد سمى عليها ! نصيبها اسود من الطين , وقعت فى مصطفى وأمة والله يكون فى عونها منهم ويصبرها عليهم وعلى مصطفى الحشاشُ ! , فنظرت لها احدهن وقالت .. هو مصطفى يشرب حشيش ؟ فردت عليها وقالت .. طبعا ومنذ زمن ولذلك قرر اشقاؤه الرجال ان يضعوا ايديهم على الارض كاملة وسمعت ان نصيبه فى الارض تنازل عليه مقابل النقود التى أخذها منهم فى صورة مبالغ مُتقطعة لشراء وشُرب الحشيش والان مصطفى لم يصبح لديه اى مصدر رزق او حتى ميراث يتركه لابنه وبنته بعد عمر طويل , فقالت احدهن .. ولهذا اضطرت نرمين التى كانت تشبه البرنسيسة حينما جاءت الى هنا الى بيع اللبن , لا حول ولا قوة الا بالله , فقالت واحدة منهن .. والله انى رأيتها فى مرة جالسة فى السوق على الارض وامامها كرتونة بها زجاجات اللبن وصنية بها قطع جبن وسمن لبيعها ! واعرف ايضا انها تمر على بيوت بعينها لبيع اللبن والجبن والسمن لهم , الله يحرقك يا مصطفى يا من تجلس فى البيت بجوار والدتك فى النهار وتسهر وتشرب الحشيش بالليل , اى رجل هذا ؟ انه لايستحق ان نقول عنه رجل !

ومرت نرمين وهى تحمل كرتونة زجاجات اللبن فوق رأسها وكأنها تائهة تنظر امامها نظرة شاردة وكأنها تمشى فى طريق مجهول لاتعرف الى اين ذاهبة , وهى مارة من امام النساء اللاتى تغامزن وتلامزن عليها وهى مارة امامهن , سمعتهن وهن يقولون .. انها نرمين التى كنا نقول عنها البرنسيسة , ولكنها لم تلتف لهن ولم يثيرالحديث اى اهتماما عندها ولكن قالت فى نفسها .. نعم انا نرمين التى كانت تشبه البرنسيسة .. نعم انا نرمين التى حولها نصيبها الاسود الى بائعة لبن ولكن ما الذى جعل منى هذه المرأة .. انها سطحيتى فى اتخاذ قرار مصيرى هى المسؤلة الاولى وهى التى اوقعتنى فى بئر مخلوق مثل مصطفى وأمة , لن القى

بالوم على مصطفى فان كان هو شبه رجل وشبه انسان فانا المسؤلة الاولى عن كل ماحدث لى لاننى لم افكر واندفعت خلف سطحيتى وسذاجتى اعتقادا منى ان جمال الملامح هو من سيسعدنى اين كان عقلى وقتها ولماذا لم افكر فى الحياة فى مثل هذا المكان ومع مثل هذا الرجل ؟ , اننى لم اقضى على حياتى انا فقط بل على حياة ومستقبل ابنائى ايضا , اننى انجبت بنت وولد توأم ولكن مصطفى ووالدتة التى تسيطر على كل شىء والكلمة كلمتها والقرار قرارها حكموا على ابنتى بالضياع مثلما ضعت انا , فلولد قرروا ان يتعلم حتى يصل الى اعلى الشهادات اما البنت قرروا ان يزوجوها لاول عريس مُناسب يطرق بابنا , وللاسف البنت اتمت الثالثة عشر من عمرها وتقدم لها عريس يبلغ من العمر ستة عشر عام ووافقوا على زواجها منه وستعيش معه فى بيت العائلة وتتكرر نفس مأساتى , اننى قلت لمصطفى وبكيت تحت اقدامه وتوسلت اليه ان يرفض زواج البنت حاليا لانها لاتزال طفلة لكنه رفض رفض قاطع وقال .. ان البنات هنا يتزوجن فى مثل هذا السن وهذا شىء طبيعى وعادى جدا بالنسبة لنا وانا لا اعترف بتعليم البنات يكفى ان تحصل على الدبلوم وهى متزوجة اذا سمح لها زوجها وا ن لم يسمح فلتكتفى بالإعدادية وفى النهاية البنت ليس لها الا الزواج وانجاب الاطفال فقط , وللاسف الشديد ان البنت مقتنعه برأى والدها وجدتها لانها مثلهم وتربية ايديهم فلقد تشربت فلسفتهم من خلال تربيتها وتنشئتها الاجتماعية بينهم وعلى عقولهم , ولم استطيع ان اقف بوجههم وانتهى الامر ولكن لابد ان افعل ما يجب ان افعله من شراء مستلزمات العروسة والتجهيزات اللازمة لشقة العروسة وحتى هذا الواجب مصطفى امتنع عنه فكلما فتحت معه موضوع شُوار العروس يقول لى انا ليس عندى اى نقود اعطيها لكِ فلتتصرفى انتِ , وحينما اقترحت عليه ان يبيع جزء من الارض , قال لى ان اشقائى اخذوا نصيبى لانهم هم من يشتغلون فى الارض وانا لا افعل اى شىء معهم وبالتالى الارض تكون حق لمن يزرعها , اقول له اقترض منهم نقودا ونقوم بسدداها على فترات , يقول لى لقد اقترضت منهم بما فيه الكفاية ووضعوا ايديهم على نصيبى فى الارض بسبب تراكم الديون , اقول له انزل الى الارض واشتغل معهم بالاجر , يقولى لم يصبح لدى صحة للعمل والشقاء , اقول له انزل وابحث عن اى عمل ليكون مصدر رزق لنا , يقول لى لا انا لم يعد لدى طاقة للعمل ! والغريب ان الاقتراح الوحيد الذى وجده مناسب ان انزل انا للعمل , العمل الإضافى بجوار وظيفتى الاصلية ! وهذا العمل هو ان ادور انا فى القرية واجمع اللبن والجبن والزبد من اصحاب البهائم واقوم ببيعها اما فى السوق او اذهب لبيعها لاصحاب المنازل الذين لا يميلون الى إرهاق انفسهم والذهاب الى السوق والذين هم مُرفهين كما كنت أنا ..
والاغرب من ذلك ان والدة مصطفى والتى اتمنى من كل قلبى ان تُصاب بمرض فى لسانها حتى يتوقف عن الكلام كلما رأتنى تؤنب ضميرى وتشعرنى بالنقص لاننى لم اتمكن من انجاب اطفال كثيرة لابنها حبيب قلبها مصطفى الذى هو مسكين لانه ليس لديه الا ولد وبنت فقط ! , ودائما تقول لى ان الابناء الكثيرة عُزوة وابنى مصطفى المسكين تزوج من سيدة لم تأتى له بالعزوة التى تكون حوله , ألم تقول لنفسها فى مرة من فينا المسكين ؟ انا ام مصطفى ؟ لم تقول لنفسها فى مرة الى من أتى بالعزوة ؟الى اب حشاش ؟ الى اب ليس لديه اى

احساس بالمسؤلية ؟ الى اب عاطل ليس لديه اى مصدر رزق والمصدر الوحيد وهو الارض والبهائم اضاعهم من يده من اجل الحشيش ؟ حقا شىء عجيب , انى اتسأل كثيرا هل هذه السيدة عمياء لا ترى ؟ ام لايوجد عقل فى رأسها ؟ انها وبعد كل ما حدث لى بسببها هى وابنها ترى ان ابنها مسكين ومظلوم معى وبشدة !

ثم زفرت زفرة وكانها قادمة من بين جدران الجحيم وشحب وجهها واصبح يتصبب عرقا فمسحت وجهها بطرف الخمار الذى ترتديه , وابتعلت ريقها بصعوبة وقالت فى نفسها .. اشعر بدوخة شديد اننى فى حاجة الى كوب من العصير او اى شء به سكر عندما اصل الى السوق اول محل عصير قصب يُقابلنى سوف اشترى منه كوب واشربه فورا حتى اتغلب على هذه الدوخة واتمكن من استكمال يومى الشاق , ثم صمتت قليلا واستجمعت تركيزها وقالت .. ولكن كيف لى ان اشترى عصير وانا اضع القرش على القرش حتى اكمل شوار نورهان صحيح اننى لست سعيدة بزواجها ولكنى مسؤلة عنها ولابد ان لاتشعر اطلاقا بانها اقل من فتيات القرية فهنا فى هذه القرية الفتاة تدخل على عريسها بشوارمبالغ فيه جدا , ان الفتيات هنا شوارهم مكون من الاجهزة الكهربائية والمطبخ وملابس العروسة , ان ملابس العروسة وحدها مشكلة كبيرة لان الفتيات هنا يشترن عدد كبير جدا فآخر عروسة ذهبت لابارك لها يوم صبحيتها فتحت لى الدولاب وقالت لى اننى اشتريت 150 عباءة ! فالعورسة هنا ينبغى عليها ان تهدى شقيقات زوجها من ملابسها وتهدى أم زوجها جهاز كهربى .. ثم تنهدت بضيق وقالت .. حتى لو لم تُعطيها لاخذته هى عنوة !
ثم استطردت حديثها مع نفسها وقالت .. لابد لابنتى الوحيدة نورهان ان تكون مثل كل الفتيات هنا ولا تكون اقل من اى واحدة منهن ابدا لان أم زوجها واخوته النساء سوف يعايروها وعلنا بمنتهى الغباء وقلة الذوق وليس النساء فقط من سيفعلن هكذا بل والله والرجال ايضا ! , اننى كنت اود ان ابعد ابنتى الوحيدة عن القرية واهلها ونظام حياتهم القاسى جدا وخاصة على النساء ولكن ما باليد حيلة !
ظلت نرمين تسير فى طريقها حتى انهت الطريق الترابى والذى هو بمثابة فاصل بين الاراضى الزراعية التى تقع على الجانبين والذى نهايته الطريق المُسفلت والذى تقف عنده السيارات الاجرة التى يركبها سكان القرية لتنقلهم الى المركز حيث السوق ..
جلست نرمين فى السيارة الكبوت بجوار بائعات اللبن والجبن والبيض والطيور نظرت لهن نظرة لا تحمل معنى واحد بل هى نظرة تحمل عشرات المعانى وغلفت نظرة عنينها بمعنى واحد فقط وهو .. ولقد اصبحت مثلكن !! , ظلت طوال الطريق شاردة وتنظر للنساء البائعات تارة وتارة تنظر الى قدميها حيث حذائها البالى الذى عندما كانت ترى مثلة فى الشوارع وعلى اكوام الزبالة عندما كانت لاتزال تعيش فى بيت ابيها قبل زواجها المشؤم كان يثير دهشتها مثل هذا الحذاء وكانت تقول ساخرة فى نفسها يبدو ان صاحبه ارتداه الاف السنين , اشعر وكان الحذاء يبكى فاتحا فمه ! , وتارة اخرى تنظر الى الطريق والذى حملها فى يوم من الايام الى الجحيم بلا عودة , حتى وصلت السيارة الى السوق فنزلت من السيارة وحملت الكرتونة فوق رأسها مرة اخرى ومرت امام محل عصير القصب

ولكنها القت نظرة عليه ومرت مُسرعة الى المكان الذى تجلس فيه لبيع زجاجات اللبن ..
وفى حين ان نرمين جالسة فى انتظار من ياتى لشراء اللبن وتتمنى بسرعة بيعه قبل اذان الظهر فاليوم هو يوم الجمعة وهو اليوم التى تكون فيه نرمين مسؤلة عن عمل الغداء وغسل المواعين وعليها ألا تتاخر حتى لايتأخر الغداء عن موعده فالرجال يعودون من صلاة الجمعة على الغداء مباشرة ولابد ان يجدوا الطعام جاهز وليس لهم اى علاقة باى ظروف او حالات طارئة وحتى نساء البيت لايقدرون ظروف بعضهن البعض من عليها الدور لتقوم بعمل الغداء فهى المسؤلة عنه حتى لو كانت تموت او مريضة او اى شىء فاعمال المنزل لاتقبل اى نقاش وليس لها علاقة باى ظروف ..
نظرت نرمين امامها ووجدت رجل ياتى من بعيد ينظر لها بقوة وكانه يعرفها او يعرف سيدة تشبهها , لفت نظر نرمين الرجل الذى يُحدق فيها بكل قوته من بعيد وكلما تقدم بخطواته يحدق فيها بقوة اكثر , فقالت لنفسها ما هذا انه لايلتفت يمين او يسار انه ينظر لى وعيناه لا تتحرك فى اى اتجاه , من هذا ايعرفنى ؟ ظلت تنظر له وهو ظل ينظر لها حتى اقترب منها ووقف على كثب منها وتمكن من تُفرس ملامحها جيدا وقال والدهشة تهيمن على كل كيانه .. نرمين ؟؟!!! فنظرت له بدهشة وقالت .. أتعرفنى ؟!
فقال وهو ينظرلها بدهشة .. نرمين ؟ أنتِ نرمين ابنة الحاج سعيد متولى ؟ , فشعرت بالخجل والتوتر وكانها نست منذ زمن انها ابنة الرجل الذى كانت تعيش فى بيته بيت العز ولم تعد تتذكر ولا تريد ان تتذكر سوى انها زوجة مصطفى الذى جعل منها إمرأة مثل القرويات الفقراء حتى لاترهق نفسها بمرارة المقارنة بين نرمين الماضى ونرمين الحاضر فلحاضر لن يتغير والماضى لن يعود ويصبح حاضراً , وبعد ان وضعت وجهها فى الارض رفعته مرة ثانية وقالت همساً .. نعم , فقال لها ألا تتذكرينى ؟ وما الذى فعل بكِ هذا ؟ ما الذى جعلكِ تهبطى الى ذلك الحضيض ؟!! حقا اننى لا اصدق ما أرى ! أنرمين التى امامى الان ؟!!!
فتفرست ملامحه جيدا وبقوة وفتحت فمها وحدقت عيناها وشردت بعيدا وقالت فى نفسها .. اااه انه محمود الذى كان قد تقدم لخُطبتى عندما تعرفت على مصطفى وكان يريد ان يفعل لى كل ما اريده وكان موافق على كل شىء مقابل ان اوافق انا على الزواج منه ورغم انه حاصل على ليسانس الاداب , ويعمل مع شركة مقاولات كبيرة , ومستواه المادى ممتاز ويسكن معى فى نفس مدينتى وكان موافق ان يشترى لى سكن بجوار بيت ابى لاكون بجوار والدتى , الا اننى لم أوافق على الزواج منه لان ملامحه ليس فيها اى شىء من الجمال ووافقت على مصطفى وفضلته عليه لان مصطفى جميل الملامح ومن ساعدنى على هذا القرار والاختيار هى زميلتى فى العمل والتى كانت جارة مصطفى والتى هى السبب فى معرفتى به , حقا كم انا غبية تركت الانسان الجميل لان ملامحه قبيحة واخذت الانسان الغبى الذى ليس له علاقة بالانسانية لان ملامحه جميلة , حقا اننى لست غبية فقط بل وعمياء وأضعت عمرى واطحت بمستقبلى ومستقبل ابنتى بقرار غبى ورؤية سطحية !
فاشار لها بطرف اصابعه ناحية وجهها ليجذب انتباها ويقطع شرودها وهو ينظر لها من اعلى لاسفل بدهشة و يقول .. الى اين ذهبتى ؟ كونى معى قليلا , وكيف

حالك يا نرمين ؟ فابتسمت نرمين ابتسامة مزيج من الخجل والحزن وقالت .. كيف حالك انت ؟ وهل تزوجت ؟ وما الذى أتى بك هنا ؟
فقال لها وهو مازل بين انياب الدهشة .. انا الحمد لله لقد اصبحت شريك فى الشركة التى كنت اعمل بها وتزوجت مهندسة جميلة وابنة اصول وطبيعة عملى فى المقاولات تضطرنى الى السفر والانتقال الى اماكن كثيرة ..
فظلت تنظر له وقالت فى نفسها .. رفضت قبيح الملامح والذى كنت ساعيش معه فى رفاهية وابنتى كانت ستكون ابنة أب مُثقف ومُتفتح وناضج وكان سيجعلها تتعلم وتحصل على الشهادات , وتزوجت جميل الملامح والذى اعيش معه كخادمة وحولنى الى بائعة لبن وابنتى ستتزوج وهى طفلة وستُحرم من التعليم .. حقا لو كنت استخرت الله لوجهنى الى الطريق الصحيح لكننى بدلا من ان استخير الله استخرت زميلتى فى العمل والتى هى بدورها زينت لى الصورة وجعلتنى اشعر اننى قادمة الى الجنة وفى الحقيقة اننى تركت الجنة من خلفى واتجهت الى الجحيم , وها انا تعلمت ان السطحية مرض يقضى على مستقبل الانسان وانا لا يوجد اى شخص يحب الخير لشخص اخر بل كل شخص يميل الى ان يصبح كل الناس مثله حتى لايصبح هناك احد افضل او اعلى من احد ولذلك دفعتنى زميلتى والتى هى جارة مصطفى وسبب معرفتى به الى الموافقة وظلت تزين لى صورتة هو ووالدتة وصورة القرية والحياة فيها حتى اصبح مثلها واعيش حياة مثل حياتها , حقا الجحيم .. الجحيم .. لمن يبحث عن السعادة بعيدا عن الاعماق .. والجحيم .. لمن لايستخير الله وينساق خلف البشر وخلف الاهواء الشخصية وشهواته ونظرته السطحية للامور , حقا اننى احقد على زوجتك كنت ساكون مكانها الان ولم اكون فى مكانى هذا ..
فظل ينظر لها ثم قال .. اعطينى يا نرمين كل زجاجات اللبن التى معكِ الان , فنظرت له بدهشة وقالت ..اتريد شراء كل الزجاجات ؟ فقال لها وعيناه احتلتها نظرة الشفقة .. نعم .. اريدها جميعا لان زوجتى تحب اللبن وتميل الى اضافة اللبن على كل شىء , ان كان أرز او عصائر او حلويات ..
فشردت ولم يستوقفها كلمة من كلماته مثلما استوقفتها كلمة .. عصائر .. وقالت فى نفسها كم انا فى حاجة الى كوب من العصير , كم انا شاعرة بالدوخة الشديدة , ياليته يدعونى لزيارة زوجتة وامضى بعض الوقت فى بيته ويقدمون لى كوب عصير كبير جداااا , لاننى فعلا اشتهى العصير الان جدا جداااا ..
حمل محمود الكرتونة التى بها زجاجات اللبن ووضع يده فى جيبه واخرج رزمة من النقود ووضعها فى يد نرمين , فنظرت له بدهشة وقالت .. انه كثير جدا , فقال لها .. لالا تقولى هكذا انتِ اختى يا نرمين , وحمل الكرتونة واتجه ناحية سيارة كانت تقف بعيد وفتح كبوت السيارة ووضع بداخلها الكرتونة ثم اتجه ناحية الباب الذى هو الباب الذى يركب منه قائد السيارة وانطلق مُسرعا , وانطلقت معه عيون نرمين والتى ظلت تُرافقه حتى ابتعد ولم تعد عيناها تراه ثم قالت فى نفسها همساً .. يبدو انها سيارته انها سيارة انيقة جداااا , لماذا رفضت الزواج منه قديما لان ملامحه قبيحة ؟ ولكن الغريب انه عندما نظر لى منذ قليل ووضع النقود فى يدى برقة وهدوء وطيبة وانسانية نظرت فى ملامحه فوجدتها جميلة جداااا , غريبة فعلا لقد رفضته لانه قبيح الملامح والان أراه جميل جداااا .

-23-
بقرة لا تُذبح

انا لم أُعُد اقوى على تحمل الحياة مع مخلوقة مثل هذه , ان الشىء الوحيد الذى تُحسن فعله فى حياتها هو اللامبالاة , لامبالاة فى تناول الطعام حتى اصبح وزنها مئة وتسعون كيلو جرام , لامبالاة فى اعمال المنزل , لا مبالاة فى حقى كزوج فهى لاتهتم باى شىء يجعلها جميلة فى نظرى , لا مبالاة فى انجاب الاطفال فبعدما حرمها الله خمس سنوات من الإنجاب وبمجرد ان رزقها الله بطفل بعد كل هذه السنوات بدلا من ان تحمد الله وتكتفى بطفل او اثنين تركت نفسها بلا وسيلة لمنع الحمل وجائت لى بسبع اطفال ويااليتها تهتم بهم او تهتم بدروسهم او تعليمهم انها لاتهتم باى شىء مُتعلق بهم اطلاقا , اننى عندما ادخل البيت اشعر كانى فى حضانة اطفال , ويااليتها تهتم باطفالها لا بالعكس انها تنجبهم فقط وتتركهم هم وشأنهم , اننى لا اجد مكان هادىء استريح فيه من اعباء العمل , لم اجد يوما لقمة هنية استمتع بها , اننى لا اجد زوجة تُهون على قلبى متاعب الحياة , اننى اشعر اننى بلا شريكة لحياتى , انها مجرد مخلوقة تاكل وتسمن وتنجب فقط ! , اننى اشعر انها مجرد بقرة وظيفتها فى الحياة ان تأكل لتُربى لحم ودهن وتنجب فقط هذه هى مهمتها فى الحياة ولكن الفرق الذى بينها وبين البقرة ان البقرة تُذبح ..

اما.. أبنتك فهى .. بقرة لا تُذبح .. ولذلك أنا قررت ان اتزوج عليها فقط من اجل ان اجد انسانة تُشاركنى حياتى , ورغم ان الزواج سيكون تكاليف اضافية فوق عاتقى ولكن لن اضحى بباقى عمرى مع مخلوقة مثل هذه حتى أموت من اجل النقود وتكاليف الزواج .. (هكذا قال عماد زوج مفيدة لوالدها سعيد) , وذلك عندما جلسوا معا ومعهم مفيدة بناءً على طلب عماد من سعيد والدها والذى حضر اليهم مسرعا بعد اتصال عماد به ..

ولان سعيد يعرف ابنته جيدا ويعرف كم هى إمرأة كسول وتتمتع بقدر عالٍ جدا من اللامبالاة وعدم الاحساس بالمسؤلية لم يتمكن من الدفاع عنها والوقوف بجانبها او حتى يوبخ عماد على ما قاله فى حقها لانه يعرف جيدا انه على حق فى كل كلمة قالها عنها , ولكن نظر اليها والامتعاض الشديد فى عينيه وقال .. ما قولك فيما قاله زوجكِ ؟

فنظرت له بغباء وقالت .. إن كنت انا بى عيوب فهو ايضا كله عيوب , فهو بخيل , وعديم الشخصية وينساق خلف أمة وينفذ كل تعليماتها وكل ما تلقنه اياه , ويحكى لها عن اسرار الفراش , ان كان يرانى بقرة فانا اراه بنى أدم لا يُطاق ..

فنظر لها والدها ولازال الامتعاض بعينيه بل فى زيادة وقال .. كل العيوب التى ذكرتيها الان انتِ تعرفيها منذ ان عرفتيه فلماذا تزوجتيه ؟ وطالما انه رجل لا يُطاق فلماذا لم تطلبى الطلاق فى خلال الخمس سنوات التى مرت دون انجاب اطفال ؟ ولماذا انجبتى منه سبع اطفال وانتِ تكرهينه ورأيك فيه انه لايُطاق ؟ فعلا انا اريد ان اعرف اجابتكِ على هذه الاسئلة ..

فاشاحت بوجهها عنه حتى لاتنظر فى عيناه وعماد ينظر لها بغل شديد , ووالدها ينظر لها بإمتعاض فى انتظار الجواب , ولكنها تلعثمت واخذت تنظر تارة جهة اليمين وتارة جهية اليسار وتبتلع ريقها ثم
قالت .. كنت اريد ان اتزوج واستقر والنصيب هو من فعل بى هكذا ..!
فظل عماد ينظر لها بغباء شديد وظل والدها ينظر لها بنفس نظرة الامتعاض الذى زاد عليه اللاشمئزاز ونظر الى عماد وقال .. فلتتركنا وحدنا قليلا اذا سمحت !
فقام عماد من مكانه واتجه خارج الغرفة ...
ثم نظر لها والدها وقال .. الان نحن وحدنا ودعينا نتحدث معا بصراحة وبلا خجل اطلاقا , فنظرت له وهى متوجسه خيفة من قسوة حديثه معها ومواجهتها بالحقيقة والتى تُدرك جيدا انه يعلمها وهى لن تستطيع ان تُكذبها , وهزت رأسها لاعلى ولاسفل وكانها تقول له تحدث وانا اسمعك الان ..
فقال لها .. ان عيوب عماد انتِ تعرفيها جيدا ولو تتذكرى انى طلبت منكِ ان تفكرى جيدا قبل اتمام الزواج وقلت لكِ بالحرف الواحد انتِ و اخوتكِ مازال أمامكم فرصة لتأخذوا القرار السليم , وانتِ وهن ايضا قررتم اتمام الزواج , وانا لم اجبرك على الزواج من مخلوق مثل هذا فانتِ تعرفى رأيى فيه جيدا ومع ذلك احترمت رغبتكِ واتممت الزواج كان امامك فرصة للخلاص منه ولكنكِ لم تنتهزيها فقط لانكِ تريدى الزواج فقط حتى لو كان من مخلوق لا يُطاق , فعندما تأتى الان وتقولى انه مخلوق لايُطاق فاعتزر وبشدة لاننى لن استطيع ان اسمعك او اقف بجوارك بعد ان انجبتى منه سبع اطفال , اما بالنسبة لاسلوبه الحقير فى الحديث عنكِ الان فلم استطيع ان اوبخة عليه لاننى ايضا اعلم جيدا انكِ على درجة غير معقولة من اللامبالاة , فهو يريد الزواج عليكِ وانا لا استطيع ان امنعه من حقه الشرعى وخصوصا لاننى اعرفك جيدا واعرف انه على حق فى كل ما قاله ولكن كل ما استطيع فعله ان اقدم لكِ آخر نصيحة ربما تفيدك وتنقذك من ضياع استقرار اسرتك .. اسمعى يا ابنتى ..
هو يريد ان يتزوج ليجد انثى تُشبع إحتياجاته كرجل وكانسان , يريد ان يعيش فى بيت نظيف , يريد عند عودته من العمل ان يجد الجو مُنعش وزوجة تسُر عينه ..
فكل ما عليكِ فعله هو ان تغيرى من نفسك ومن اسلوب حياتك , حاولى اتباع نظام غذائى لتفقدى وزنك الزائد , حاولى ان تهتمى بمظهركِ , حاولى ان تبتسمى فى وجهه عند عودته من العمل , حاولى ان تهتمى باطفالك وبنظافتهم , وارجو ان تتوقفى عن انجاب الاطفال فهذا يكفى , ليس من العيب اطلاقا ان تُصلح الزوجة من عيوبها لترضى زوجها المظلوم معها , فنظرت له وقد تحولت ملامحها الى ملامح عابثة وقالت بامتعاض .. انا لا اقوى على اتباع نظام غذائى , ولن اغير من نفسى وهو عليه ان يغير من نفسه وان يفعل ما يرضينى وان يتحملنى كما انا لكن انا لن ارهق نفسى واغير شىء , ولماذا اتوقف عن انجاب الاطفال انا احب الاطفال الكثيرة ووسائل منع الحمل مرهقة بالنسبة لى وتحتاج لزيارات متكررة لطبيب امراض النساء
فنظر لها والدها بإمتعاض شديد وقال لها .. لا تغيرى من نفسك وابقى على حالك ولا داعى لترهقى نفسك اطلاقا .. ولكن انا مع الاسف الشديد لن يمكنى ان اقف بجوارك او امنعه من حقه الشرعى ..

وحتى لن اتمكن من ان استمع الى شكواكِ فأنتِ من فعلتى فى نفسك هكذا وانتِ من وضعتى نفسك فى هذا الموقف الحقير وانتِ المسؤلة عن قرارتكِ من البداية حتى النهاية ومن الطبيعى ان تتحملى وحدك نتيجة قرارتكِ التى أتخذتيها بمفردك من البداية , وارجو الا تتصلى بى انتِ او زوجك لاننى لن ارهق نفسى واحضر الى هنا واترك اعمالى ومشاغلى من اجل مخلوقة مثلك كما قال زوجك عنكِ .. بقرة لا تذبح

وللاسف ستظلين وحتى الموت لا تريدى ان ترهقى نفسك وتحاولى إدراك حقيقتكِ المشوهه ومحاولة اصلاحها , للاسف ستتحملين نتيجة اسلوب تفكيرك العقيم حتى اخر العمر , واخر شىء ساقوله لك قبل ان اخرج من هنا .. ان الغرور , الجهل , الخلط بين الامور , الانانية , الجمود , السطحية , الضعف امام الهوى , العبودية للشهوات , فى النهايه نتيجته الفشل .

وايضا .. الجهل هو منبع الداء وفى العلم يكمن الدواء , وللاسف الشديد انتِ لستِ جاهلة فقط بحقيقتكِ وحقيقة الامور بل وحتى فن التعامل مع الرجل والذى تتقنه النساء اللاتى لايجدن القراءة والكتابة انتِ تجهلينه .

ويا ابنتى .. على الانسان ألا ينساق خلف أهوائه من البداية وحتى يفوت الاوان ثم يعود يبكى ويطلب العون .. فعلى الانسان ان يُحكم عقله من البداية حتى لايندم بعد فوات الاوان .

-24-
بنت القهوجى

كانت منار واقفة فى المطبخ امام البوتجاز لتجهيز الغداء وواضعة شرائح من البطاطس فى مقلاة مملؤة بالزيت المغلى وفى الفرن برام الارز الابيض والمضاف اليه اللبن الحليب وقليل من الملح وكانت تتصبب عرقا وتهمهم قائله .. مطبخ ضيق جدا .. وحياة كلها ضيق فى ضيق ..وزوج الحياة معه كلها ضيق .. وحتى الوقت يُشعرنى بالضيق .. فيجب ان انتهى من عمل الغداء بسرعة حتى اتمكن من النزول الى حماتى لاعد لها غدائها هى ايضا واذا تأخرت عليها تسب وتلعن اليوم الذى جئت فيه الى هنا وتزوجت ابنها , وابتسمت ساخرة واستطردت قائلة .. والله انا لا اعرف من فينا المفروض عليه ان يسب ويلعن الأخر ؟ الله يخرب بيت حامد على بيت أمة ويخرب بيت عقلى الذى اوقعنى فى تلك الخطيئة التى ارتكبتها فى حق نفسى وحق مستقبلى .. انا لا اعرف كيف فعلت فى نفسى هكذا .. زوج لا يُشرف اطلاقا .. افسد حياتى واضاع مستقبلى واجبرنى على ترك وظيفتى وحولنى الى خادمة تحت قدم أمة التى لا قيمة لها .. اننى تحولت الى خادمة تحت اقدامها من يوم الصبحية وحتى الان .. ورغم ذلك تُعاملنى اسوء معاملة انها تعامل زوجة شريف شقيق حامد الاكبر افضل منى مليون مرة رغم انها لاشىء بالنسبة لى فانا بنت الحسب والنسب وهى تعرف جيدا من اكون اما مها زوجة شريف فهى لا شىء حتى والدها الله يرحمة كان يعمل عربجى حنتور ..

اننى اشعر ان حماتى تتعمد إهانتى والتقليل من قيمتى .. انها عندما تريد تنظيف شقتها .. منار تنزل لتنظفها .. تريد ان تطبخ .. منار تنزل لتطبخ لى .. تريد غسيل السجاد واى شىء يحطم الصحة ..منار هى التى تقوم بعمله .. حتى عندما كانت مريضة وكنا جميعا لا نفارقها لحظة واحدة وكنت انا وحامد وشريف ومها معها فى نفس الشقة لا نتركها اطلاقا .. كانت طوال الوقت تتعمد ارهاقى انا فى كل شىء وكانت تُعاملنى وكأننى ممرضة او خادمة اتوا بيها اليها لتتمرمض تحت اقدامها ولن انسى ابدا عندما طلبت منى كوب ماء وكان عندها فى غرفتها اقاربها ومعارفها أتوا لزيارتها وكانت مها زوجة شريف جالسة بينهم وطلبت منى انا ان احضر لها كوب الماء وبطريقة غير لائقة وكأنها تأمر الخادمة الخاصة بها وعدما ذهبت الى المطبخ لأحضر لها كوب الماء وتأخرت قليلا لاننى قمت بغسل الكوب اولا وعندما عودت اليها ومعى كوب الماء اخذته من يدى وضربتنى فى صدرى بقبضة يدها وقالت .. لماذا تاخرتى هكذا وتركتينى عاطشة ؟ وحينها كل المتواجدين نظروا الى بعضهم البعض وسمعت سيدة من المتواجدين تهمس فى اذن زوجها وتقول .. ابنة العربجى جالسة مثل الهانم ومنار ابنة الاصول مثل الخادمة ! .. انى اتسال دائما لماذا تُعاملنى بغباء وتتعمد إهانتى وتُحسن فى التعامل مع مها التى هى لا شىء بالنسبة لى وفى نفس الوقت سيئة الطباع ولم تفعل اى شىء مما فعتله انا معها فلم تخدمها ولم تتحملها ولا تختلط بها من الاساس وهذا كان شرطها من البداية .. فهل يكون الموضوع استهانة بكيانى ؟ لاننى طيبة وتعاملت معهم بطيبة ؟ ام لاننى تنازلت من البداية وهذا اعتبرته ضعف منى امامهم ؟ ولكننى عندما سألت صوفيا فى هذه النقطة بالذات قالت لى .. ان الانسان عندما يشعر بالدونية من ناحية انسان اخر يتعمد ان يُعطى له إيحاء بالدونية , ولذلك هى تتعامل معكِ وتهينك لتعطى لكِ ايحاء انكِ لستِ حاجة كبيرة وهم الصغار بالنسبة لكِ بل العكس انتِ القليلة والصغيرة ولذلك فأنتِ خادمة عندى , وتتعامل مع مها باحترام لانها مثلهم لا شىء وفى نفس الوقت مها صنعت لنفسها مكانة عالية ورفضت التنازل عن كبريائها من البداية , اما انتِ يا منار تنازلتى باسم الحب فاعتبروه هم تنازل بسبب الضعف وقلة الحيلة !ثم تنهدت تنهيدة جاءت من الاعماق ذات حرارة شديدة وهى حرارة الاهانة والاستعباد وقالت وهى تُقلب البطاطس فى الزيت المغلى .. والله معكِ كل الحق يا صوفيا يا ليتنى اصغيت اليكِ والى نصيحتكِ كنت سأنقذ نفسى ومستقبلى من هذا الجحيم وفعلا ان احساس حامد ووالدتة بالنقص من ناحيتى جعلهم يتعمدون الإطاحة بمستقبلى ويتعمدون إهانتى والتقليل من قيمتى وفعلا لاننى تنازلت من البداية من مُنطلق الحب اعتقدوا اننى ضعيفة .. وتنهدت تنهيدة يائسة وقالت .. عموما انه النصيب على كل حال , وفى حين ان منار واقفة امام مقلاة الزيت وشاردة تهمهم وتهز رأسها لاعلى ولاسفل وكأنها تائهة فى عالم خاص بها دخلت عليها ابنتها الكبرى مريم والتى اصبحت فى الصف الثالث الاعدادى وصاحبة قوام جميل مثل والدتها منار وملامح رقيقة وشعر ناعم طويل ولكنها طباعها خليط من طباع والدها وجدتها ولذلك فهى حادة الطباع وعدوانية فى كثير من الاحيان الا انها لم تأخذ من والدتها الا القوام والملامح الجسدية والغريب انها تكره الرومانسية وتنتقدها بشدة ودائما ترى ان الشاب الذى يقول لفتاة انه يحبها هو يخدعها وسيتركها مُعذبة او سيأخذها الى الجحيم ! .. دخلت

عليها وهى غاضبة وبشدة وبصوتها المرتفع الغليظ صرخت قائلة .. ماما .. اين انتِ ؟ فانتبهت منار وبدا عليها الفزع وقالت .. ماذا حدث لقد افزعتينى باسلوبك هذا .. فنظرت لها مريم والامتعاض يسيطر على عينيها والغل على ملامح وجهها وذمت شفتاها وزفرت زفرة كأنها مُحلمة باتربة وغبار وقالت .. انا لن اذهب الى المدرسة مرة ثانية .. انا اكره المدرسة ونفسى والدنيا بأثرها .. واختقت وانهمرت الدموع من عينيها ووقفت صامتة !فتركت منار ما كانت تفعله واقتربت منها وربتت على كتفها وقالت .. ماذا حدث يا مريم قولى لى ؟ هل ضايقك احد بشىء ؟ قولى لى يا حبيبتى , فكفكت مريم دموعها وقالت .. إن زميلاتى فى المدرسة يعايرونى لان والدى قهوجى ويقولن لى على ماذا تتكبرين وانتِ بنت القهوجى , زميلاتى فى الفصل التى والدها يعمل طبيب , والتى والدها يعمل مهندس , والتى والدها محاسب وكلهن لا يقبلون بصداقتى ولا يحبون ان يعرفوننى لانهن يشعرن انهن بنات ناس محترمين لكن انا بنت قهوجى ويجب ان لا اعرف الا من يُشبهنى , ان عندما يسالنى اى معلم يدخل الفصل .. ما اسمك ؟ وماذا يعمل والدك ؟ وقتها اتمنى ان تنشق الارض وتبتلعنى , واخذت تبكى وتبكى حتى احمر وجهها من كثرة البكاء , فضمتها منار فى صدرها وبكت هى الاخرى وقالت لها .. ارجوكِ لا تحزنى فهذا هو والدك ولا يمكن ان نبدله وعليكِ ان ترضى بنصيبك وبما كتبه الله عليكِ , فخرجت مريم من حضن والدتها منار بقوة وغضب ونظرت فى عينيها نظرة تحدى وقالت .. لا .. انه ليس النصيب .. انه انتِ .. انتِ السبب .. لماذا تتزوجى رجل مثل هذا ؟ لماذا تختارى لنا أب لا قيمة له فى المجتمع ؟ لماذا لم تفكرى فى المستقبل وتجيدى اختيار زوج وأب نفتخر به ؟ انتِ السبب ؟ .. ظلت منار واقفة تنظر لها بدهشة ممزوجه بالخجل والتزمت الصمت , فاستطردت مريم حديثها وقالت .. حتى عملك تركيته لو كنتِ لم تتركى وظيفتك كنت ساجد أم اتباهى به واقول ان امى حاصلة على بكلريوس التجارة وموظفة كبيرة لها قيمتها لكنكِ لم تتركى لى اى متسع او اى فرصة لارفع رأسى امام زميلاتى فى المدرسة , اننى ساظل وحتى اخر عمرى لقبى هو بنت القهوجى حتى لو التحقت بكلية الطب واصبحت طبيبة سيقولن عنى اننى الطبيبة ابنة القهوجى , لماذا تزوجتيه ؟ لماذا ؟ ما الفائدة التى عادت اليكِ من زواجك منه .. لقد تحولتى من ابنة رجل مثل جدى سعيد يقولون الناس عنه انه مثل الباشا وبعدما كنتِ الهانم ابنة الباشا اصبحتى الخادمة زوجة القهوجى .. فلقد حول حياتك وحياتنا الى جحيم .. فقالت منار بصوت مُرتعش وقد تحولت الى انسانة ضعيفة جدا امام ابنتها التى تراها طفلة فى عينيها .. لا يصح ان تتحدثى هكذا عن والدك ففى النهاية هو والدك , فنظرت لها مريم باستهزاء وقالت مُتهكمة .. انكِ تعرفين مدى المعاناة التى نعيشها معه انه لا يستحق ان يكون زوج سيدة مثلك ولا يستحق ان يكون لديه ابناء وكان من المفروض ان يحرمه القدر من نعمة الانجاب لانه لا يستحق ان يكون أب فهو ليس لدية اى احساس بالمسؤلية تجاهنا اننى عندما ارى زميلاتى مع ابائهن وارى كيف يتعاملون مع هن اشعر بالحسرة والنفور من الدنيا كلها .. انه لا يصلح ان يكون زوج ولا يصلح ان يكون أب , شعرت منار بالضيق الشديد وكانها تختنق وقالت بعدما اشاحت بوجهها عن مريم .. يكفى , يكفى يا مريم , اذهبى الى غرفتك الان ارجوكِ واتركينى وحدى , فقالت لها مريم .. انا ساترك البيت كله

وساذهب لاعيش مع جدى سعيد وجدتى فوزية ساترك الجحيم الذى جئتى اليه بكامل ارادتك وساذهب الى النعيم الذى تركتيه انتِ بكامل إرادتك واذا سألنى اى شخص عن وظيفة ابى ومن يكون ساقول .. سعيد متولى .

-25-

النهاية

فى كلية الاداب , وقف عدد كبيرة جداا من الطالبات والطلاب وقد تجاوز عددهم الألاف , فى انتظار محاضرة تثقيفية تُقام كل فترة والتى تنظمها الكلية بهدف مساعدة الطلاب فى الحصول على خبرات ومعلومات تكون بمثابة يد العون لهم للرفع من مستوى تفكيرهم واتخاذا القرارت السليمة التى تخص حياتهم ومستقبلهم ..

الجميع واقفون فى الخارج فى انتظار قدوم الدكتورة المُحبوبة صاحبة العقلية الراجحة والقلب الواسع المُحب لمساعدة الاخرين والانسانة التى لا تعرف للتكبر والاستعلاء سبيل , صاحبة الشخصية المتعددة الجوانب فهى الدكتورة المتمكنة فى تخصصها العلمى وهى الانسانة الحنونة التى تقف بجوار من اراد مساعدتها وهى القلب الكبير الذى يحتوى الشباب الذى فى اشد الاحتياج الى الاحتواء وصاحبة العقل الكبير الذى يحتوى صغار العقول ولا يلتفت للهفوات , ومن بين الجموع الغفيرة التى تنتظرها وقفت فتاة بين زميلاتها واللاتى كن بالقرب منها واقفين بجوارها فى الانتظار وقاللت .. حقا اننى انتظر تلك المحاضرة بفارغ الصبر ورغم اننى من ضمن اصدقاء الدكتورة فى الفيس بوك ودائما اتابع منشوراتها الا اننى لا اترك اى فرصة اسمتع فيها لحديثها ونصائحا تفوتنى اطلاقا فهى حقا صاحبة عقلية جديرة بالاحترام وتستحق ان نتعلم منها ونكتسب منها الخبرة فى كل جوانب الحياة , فالتفت لها فتاة كانت واقفة على كثب منها وقالت .. يبدو انكِ تحبينها جدا , ويبدو انها تستحق الحب والاحترام فعلا رغم اننى لا اعرفها ولكن جئت لحضور تلك المحاضرة بسبب مدح صديقتى فيها , فقالت التى كانت تتحدث فى البداية .. لا تعرفيها هل انتِ طالبة فى الاداب ؟ فردت عليها وقالت .. لالا انا طالبة فى كلية الحقوق ولكن صديقتى معكم فى الاداب وتحب تلك الدكتورة بشدة ودائما تحكى لى عنها وتقول انها تعامل كل الطلاب مثل اشقائها الصغار ولم تتكبر عليهم فى يوم او ترد من اراد مساعدتها فى مشكلة او استشارة او حتى فى رأى طُلب منها , انها تتحدث عنها كثيرا وتقول اننى اعتبرها مثل شقيقتى الكبيرة واشعر بالراحة معها اكثر من شقيقتى واثق فيها ودائما اطلب استشارتها ورأيها فى اى موضوع يخصنى ويخص حياتى وعلاقاتى , فردت عليها الفتاة التى كانت تتحدث فى الاول وقالت بقوة وحماس .. فعلا انها انسانة لا توجد كلمات للتعبير عنها او وصفها , هل تعرفى ان كل هؤلاء الألاف المتواجدين الان وفى انتظار محاضرة

الدكتورة ليس جميعهم طلاب فى الجامعة او فى كلية الاداب ان كثير منهم اكبر منا بكثير ولكن بمجرد ان الدكتورة تقوم بعمل دعوة على الفيس بوك لحضور محاضرة لها يتحمس معجبينها وقرائها واصدقائها ومتابعينها للحضور وياتون مُسرعين ومن محافظات مختلفة , ان الدكتورة ولانها ودائما تتحدث فيما يلمس قلوبنا ويخص حياتنا بجميع مراحلها باحساس عالى جداا وبقوة فى المعنى والتعبير لذلك فان متابعينها على مواقع التواصل الاجتماعى بالألاف ومعجبين صفحتها بالملايين واصدقائها من جميع الاعمار , والعبقرية فى الدكتورة ان جميع الاعمار يجدون انفسهم فى كتباتها ويجدون ايضا عندها التعبير القوى عن احاسيسهم ومشاعرهم والتى لا يعرفون كيف يُعبرون عنها تعبر عنها هى ببلاغتها واحساسها المُرهف , حقا انها عبقرية وعلى درجة عالية من الذكاء الاجتماعى الممزوج بالحكمة , والله اننى ادعو الله فى كل صلاة ان يحفظها ويسعدها ولايحرمنا من وجودها بيننا ابدا , فنظرت لها فتاة يبدو عليها انها اكبر من ان تكون طالبة جامعية وقالت .. وانا متفقة معكِ فى كل كلمة قولتيها عن الدكتورة فأنا تخرجت من الجامعة منذ خمسة عشر عام وجئت اليوم لاحضر تلك المحاضرة لارى الدكتورة والانسانة الجميلة التى تحكى عنها شقيقتى الصغرى والتى هى طالبة هنا فى الجامعة فى كلية التجارة وبصراحة اكثر لقد شعرت بالغيرة منها من شدة حب واعجاب شقيقتى لها وجئت من منطلق حب الاستطلاع اريد ان ارى تلك الانسانة الفريدة من نوعها والتى تحكى عنها شقيقتى الصغرى والتى تعود اليها فى كل شىء ولا تعود لى انا شقيقتها الكبرى والان بعدما سمعتكِ وانتِ تتحدثين عنها اكتشفت ان شقيقتى الصغرى معها حق فى حبها وليست هى وحدها من تحبها وتحترمها ومنبهرة بشخصيتها وعقلها , لقد اشتقت حقا لرؤيتها والحديث معها , ولكن هل ستسمح لى بالحديث معها عن كثب ؟ فردت عليها بقوة وثقة وقالت .. طبعا ستسمح لكِ انها لاتعرف شىء اسمه تكبر ولا تعرف اطلاقا طرق احراج الاخرين ولم تستخدمها يوما منذ ان عرفنها ولن تستخدمها اطلاقا لانها ليست مثل اى شخص او مثل الناس التى عندما ترتفع مكاتتها العلمية تتعامل مع الناس بتكبر واستعلاء وكانها فى برج عالى انها لا تعرف تلك السخافات والتصرفات النابعة من العقول المريضة , انها انسانة ليست كأى انسانة , انها ناجحة فى حياتها من جميع جوانبها فهى نجحت فى دراستها واصبحت دكتورة وليست كأى دكتورة ان شعبيتها ولن اقول لكِ فى قسم علم الاجتماع فحسب او فى كلية الاداب لا بل ساقول لكِ شعبيتها فى الجامعة كلها اثارت حقد وغيرة كل من حولها , نجحت فى حياتها الزوجية واختارت الاختيار الموفق فالجميع يحسدها على زواجها الناجح وعلى الرجل الذى اصبحت زوجتة والذى اختارها دونا عن كل من حوله , نجحت فى تربية ابنها وبنتها " دانا وآسر " فلقد قابلتها ذات مرة فى النادى وامضيت وقت معها ومع اولادها حقا فى قمة الادب والاحترام , ماذا اقول لكِ عنها انها انسانة تستحق ان نتعلم منها كل شىء , ثم انتبهت فجأة لسيارة فخمة قادمة من بعيد واشارت بيدها وقالت للفتاة التى كانت تتحدث معها .. ها هى انها سيارتها انها جائت اخيرا ألم اقل لكِ ان " الدكتورة صوفيا " لا تتأخر عن مواعيدها اطلاقا ورغم اننا من نتعلم منها وهى التى تُعلمنا ورغم ذلك تحترم مواعيدها معنا ..

اندفعت الجموع الغفيرة نحو سيارة الدكتورة صوفيا وحاصروها بحب وفرحة والجميع يحاولوا الاقتراب منها والحديث معها والبعض كان يريد ان يصافحها ولكن طلابها والذين يحبونها ويخافون عليها كثيرا احاطوها بايديهم حتى وصلوا بها وهى بين ايديهم الامينة الى باب القاعة والتى سيتم فيها إلقاء المحاضرة ..

دخلت الدكتورة صوفيا الى القاعة وهى محاطة بحب واحترام وتقدير وخوف طلابها حتى جلست فى المكان المخصص لها اما باقى المتواجدين فاندفعوا نحو المقاعد حتى يلحقوا مكان فارغ يجلسون فيه ويستمتعون بهذه المحاضرة , وسرعان ما انتظم كل شىء وساد الهدوء فى القاعة وخاصة حينما جذبت الدكتورة صوفيا مكبر الصوت قليلا اليها لتتمكن من التحدث الى الحاضرين وهى تبتسم ابتسامتها المشرقة ونظرة عينيها القوية اللامعة والتى تغلفها دائما ثقة بالنفس ممزوجة بالإنسانية وقالت .. اهلا بكم احبائى

فرد عليها كل الحاضرين بصوت واحد وبقوة وحب وقالوا .. اهلا بكِ , فابتسمت ابتسامة ترجمت فرحتها وسرورها بحبهم لها وقالت .. اليوم سوف نتحدث عن موضوع مهم جدا وهو .. النهاية !

فبدأ الحاضرين فى الهمهمه ولكن نظرا لتواجد عدد كبير جدا فتحولت الهمهمه الى اصوات مسموعه فهمت منها الدكتورة صوفيا انهم مندهشون كيف نجعل من النهاية موضوع واى نهاية تقصد ؟

فاستطردت الدكتورة صوفيا حديثها وقالت .. ان النهاية هى اهم موضوع علينا ان نتحدث عنه ونتحدث كثيرا ونتحدث بعمق ان النهاية هى الاحق بالتفكير وليست البداية ولسبب واحد فقط الا وهو ..

ان للبداية حديث وللنهاية حديث أخر , البداية تكون كإشراقة الشمس فى اليوم الجديد والنهاية احيانا تكون بملامح الليل المخيفة فى ليلة فيها اصاب القمر اليأس والإحباط فاعتذرعن الحضور فطال الليل وازداد سوادا وزاد الخوف والمشكلة الاكبر ان الشمس تعذر عليها الشروق لتنهى رحلة الليل الطويلة فيدوم الليل لا نعرف الى متى ولكن لن تشرق الشمس الا بامر من القدر وربما لا يشاء القدر الشروق لها من جديد ..

ولذلك علينا ان نفكر فى النهاية ولانها الدائمة وليس البداية لانها زائلة ولان البدايات رائعة دائما ام النهايات فتكون مشوهة عادةً , ولذلك سنتحدث عن النهاية ..

وانا افُضل ان ابدأ محاضرتى اليوم بسماع اسئلتكم واستشارتكم ومن خلالها سوف نتحدث عن النهاية ..
فرفعت فتاة يدها اليمنى لتلفت نظر الدكتورة صوفيا انها تريد ان تتحدث , فانتبهت لها الدكتورة صوفيا وقالت .. تفضلى يا حبيبتى هل عندك اى سؤال ؟

فقامت الفتاة ووقفت احتراما وقالت .. نعم .. انا فى الفرقة الثالثة وتقدم لى عريس ولكن هو يعمل فى احدى الدول العربية وثرى جدا ويريد الزواج يتم فى خلال شهر وهو فترة اجازتة التى سيقضيها هنا فى مصر وبابا وماما موفقين ويرون انه فرصة لا تعوض اطلاقا والعريس قدم لنا اغراءات كثيرة والحقيقة انا مترددة لاننا لانعرفه بل جاء لنا من خلال احد المعارف ولا يريدنى ان اكمل دراستى الجامعية لانه يريد ان يتزوجنى وياخذنى معه , وفى نفس الوقت اشعر انه عريس ربما لا ياتى لى احد مثله اذا رفضته , فماذا عن رأى حضرتك فى الموضوع فهل اقبل ام ارفض ؟ ثم جلست لتستمع الى رأى الدكتورة صوفيا بهدوء واسترخاء لتفهم ما سوف تقوله جيدا بلا اى توتر ..

ابتسمت الدكتورة صوفيا وقالت .. اولا عليكِ ان تفكرى فى .. النهاية .. لا فى الموفقة او الرفض ولكن فكرى اولا فى .. النهاية .. قبل ان تاخذى قرارك سواء كان بالموفقة او الرفض .. ما النهاية التى ستترتب على .. اولا : زواجك فى خلال شهر من رجل لاتعرفيه اى ستسافرى وتعيشى مع شخصية وعقلية وتربية وبيئة وتنشئة إجتماعية لا تعرفيها فى صورة رجل لا تعرفيه ما الذى سيترتب على ذلك , ثانيا : تركك لدراستك الجامعية وانتِ لم يتبقى لكِ سوى عام واحد فقط وتحصلين على الشهادة الكبيرة والتى هى امان لكِ من تقلبات الزمن , ثالثا : الذهاب الى المجهول ! فانت ذاهبة لتعيشى حياة لا تعرفى عنها اى شىء مع رجل لاتعرفى عنه اى شىء , رابعا : كل الاغراءات مادية وكل ممتلكاتة ملكه هو فقط ولن تنتقل الى ملكيتك بعد الزواج لتكون امان لكِ حتى الشبكة والمهر وكل هذه الاشياء ربما ياخذها منكِ عنددما تصبحين فى بيته , خامسا : فلنفرض انكم اختلفتم لاى سبب من الاسباب وحدث الطلاق ولقد تركتى دراستك وتزوجتى وربما يحدث الحمل فى الشهور الاولى من زواجكم فما هى النتائج المترتبة على ذلك ؟

والاجابة على كل الاسئلة هى : انك ذاهبة مع مجهول والى المجهول واذا لم تُعجبك الحياة معه وقررتى ان تنفصلى وتعودى الى أهلك وبيتك مرة اخرى ستعودى .. مطلقة , وربما مطلقة ومعكِ طفل تحملينه على كتفكِ , ليس لكِ اى مصدر تنفقى منه على نفسك وعلى طفلك لانكِ بمنتهى البساطة ليس معك شهادة وبالتالى ليس عندك وظيفة محترمة تكون مصدر دخل خاص بكِ حتى لا تمدى يدك الى احد وتطلبى منه المساعدة , هذه هى النهاية , فهل جاءت على بالك ؟ ولذلك قلت لكِ فكرى فى النهاية اولا قبل ان تفكرى فى الموفقة او الرفض لعريس لا يُعوض على حد تعبيركِ ولكن ان صح القول سنقول شخص مجهول سيأخذكِ الى المجهول وربما تعودى من المجهول الى الضياع .

تصفيق حاد من كل المتواجدين ونظرات الاعجاب احتلت عيون الحاضرين اما الفتاة صاحبة السؤال فظلت تنظر لدكتورة صوفيا باعجاب شديد جدا وهمهمت قائلة .. لن افكر الا فى مستقبلى اولا ولن اتخلى عن دراستى ابدا والله معكِ كل الحق صاحبة رؤية ثاقبة للامور فعلا .

اشارت دكتورة صوفيا بيدها للحاضرين ان يتوقفوا عن التصفيق ويعودوا ليلتزما الصمت من جديد ثم قالت وهى تبتسم لفتاة رافعة يدها وراغبة فى التحدث .. تفضلى حبيبتى هل تريدى ان تقولى شىء ؟
فقامت الفتاة ووقفت وهى مُبتسمة ويبدو عليها السعادة وقالت .. اولا : انا فخورة اننى طالبة عند حضرتك , فابتسمت دكتورة صوفيا وقالت همسا شكرا لكِ حبيبتى , ثم استطردت الفتاة حديثها وقالت .. انا تمت خطبتى على شاب منذ ثلاث سنوات والحقيقة اننى منذ ان عرفته وانا احاول ان اجعله رجل مثل كل الرجال فهو يتسم بالتابعية العقلية والفكرية لوالدية ويقع تحت تاثيرهم لدرجة انه يتحرك باشارة من اصابعهم ورغم انه وعدنى كثيرا انه يتغير الا اننى اشعر انه يخشى من التغير خوفا من والدية , وانا اصبحت يائسة منه وفقدت الامل فيه ولكن مترددة فى قرار فسخ الخُطبة لانه يحبنى وبشدة ولكن مع ذلك انه يهيننى ويُسىء لى كثيرا تلبية لرغبة والدتة العقربة (فضحك كل المتوجدين) , ولا يفعل اى شىء بخصوص زواجنا الا اذا اعطاه والده الاوامر ليتحرك ولان والدخ يعرف اننى اريده ان يتغير ويصبح شخصية مستقلة جعله لايفعل اى شىء ويماطل فى استعدادت الزواج , وانا افكر فى فسخ الخُطبة ولكن اعود واتذكر حبه لى فاتراجع ولكنى اقولها بصراحة انا فقدت الامل فيه لاننى لم ارى شخص عديم الشخصية ويخاف من والديه بهذه الطريقة التى حطمتنى وجعلتنى لا اطيق وجوده فى حياتى , فقولى لى ماذا افعل ؟ استمر معه وربما يتغير بعد الزواج ؟ ام افسخ الخُطبة وكل منا يذهب الى حال سبيله ؟

فابتسمت الدكتورة صوفيا وقالت .. ماذا ستكون .. النهاية .. مع مخلوق مثل هذا ؟ ثلاث اعوام تحالوى ان تصنعى منه رجل وكل الذى وصلتى اليه هو اليأس وخيبة الامل والكره لوجوده فى حياتك , فهل تعتقدى ان بعد الزواج سيتغير ؟ لماذا ؟ ان النهاية مع مخلوق مثل هذا هى النهاية المحتومة للحياة مع شبة رجل , للحياة مع جسم متحرك والعقل فى يد اشخاص اخرين , الحياة مع مخلوق بلا عقل ستكون جحيم فقط لانكِ ستعيشين مع شخص وعندما يذهب الى والديه ويعود اليكِ سيعود شخص اخر كما يريد والديه , فالمخلوق الذى هو مجرد جسم متحرك وعقله لُعبة فى ايدى الاخرين لن تجدى معه الا الجحيم , وعليكِ ان تدركى جيدا ان الانسان الذى تربى على انعدام الشخصية والتابعية العقلية والفكرية لن يتغير اطلاقا لان تاثير التربية يظل مستمر مع الانسان طوال حياتة وحتى نهايتها مهما فعلتى لن يتغير وان تغير سيكون تغير وقتى بسبب وجوده معكِ وتحت تاثيرك وبمجرد ذهابه الى والديه سيعود الى اصله عديم الشخصية وعديم العقل وسيعود اليكِ نفس الشخص الذى هو مجرد بغبغاء يكرر ما يلقنه له والديه , ان النهاية التى ستعيشنها ستكون اكثر مأساوية من البداية التى تعيشينها الان , افسخى الخُطبة لان حبه لكِ لن يحميكى من عواقب انعدام شخصيته وتابعيته للاخرين , وانتظرى رجل يرسله لكِ القدر تعويضا لكِ عن خطبتكِ لشبه رجل , بغبغاء , لان .. النهاية .. مع مثل هذا المخلوق ستكون .. النفور منه والحياة فى جحيم معه والكره لحبه لكِ والرغبة فى الخلاص منه ولكن ربما لاتستيطعى الخلاص وقتها .

فهمهمت الفتاة وقد غلفت عيناها نظرة تجسد فيها الاحباط واليأس وقالت .. اااه والله معها حق انه حالة ميؤس منها ورغم انه يُحبنى الا انه لا يتردد فى اهانتى لارضاء والدته العقربة ويتعمد ان تكون اهانته لى على مسمع منها وكانه يقول لها انا اهنتها لتكونى راضيه وسعيدة .

اخذ كل الحاضرين يتحدثون باصوات خافتة الى بعضهم البعض فالبعض يمدح الدكتورة صوفيا والبعض يؤيد رأيها والبعض معجب جدا بعمق تفكيرها ونظرتها الثاقبة للامور .. والبعض يقول انا سأُرل لها مشكلتى عبر الرسائل الخاصة على حسابها الخاص فى الفيس بوك .. والبعض قرر ان لا تفوته محاضرة لها من بعد اليوم ..

وعاد الجميع والتزموا الصمت باحترام وتقدير وتلهف على الاستماع الى مزيد من حديث الدكتورة صوفيا , ورفعت فتاة يبدو عليها انها رقيقة وحالمة يدها رغبةً منها ان تتقدم بسؤال الى الدكتورة صوفيا , فقالت لها الدكتورة صوفيا بعدما انتبهت لها .. اتفضلى يا جميلة , هل عندك سؤال يا حبيبتى ؟

فوقفت الفتاة والابتسامة على وجهها وبدا عليها السعادة وقالت .. شكرا لحضرتك على ذوقك العالى , كنت اريد ان اسال سؤال واحب ان اعرف رأى حضرتك فيه , فأوْمَأْتُ لها الدكتورة صوفيا اى تفضلى بالحديث

فقالت الفتاة .. لو هناك طالبة فى الثانوية العامة ويوجد شاب يحبها تعرفت عليه على الفيس بوك ومنذ ان عرفته وهى خائفة جدا من ان يتقدم لها عريس مناسب وجاهز للزواج ويوافق عليه والدها وهى لا تقوى على مواجهته فماذا افعل ؟ ثم غمغت الكلام سريعا وقالت .. اقصد ماذا تفعل ؟

فابتسمت الدكتورة صوفيا إبتسامة رقيقة وقالت .. قولى لها اهتمى بالثانوية العامة واهتمى بدراستك وبدلا من التفكير فى هذا الموضوع ركزى كل تفكيرك فى مذاكرتك لانها هى المستقبل وقولى لها ان الشاب الذى يحبها على الفيس بوك هو مراهق مثلها يريد ان يرضى غرورة ويشعر ان لديه قدرات وامكانيات تجعل اى فتاة تحبه وتتعلق به ولذلك فكل ما يصدر منه لها هو كذب فى كذب لانه لوكان يحبها لتركها تهتم بدروسها بدلا من ان يشغلها به ويأخذ من وقتها فى تلك المرحلة التى تعتبر بمثابة مرحلة تحديد المصير , قولى لها كيف عرفتى انه يحبك ؟ لانه يرسل لكِ كل يوم رسالة على الرسائل الخاصة ؟ لانه يكتب لها تعليقات كثيرة ومعجب دائما بكل ما تنشرة ؟ لانه يتحدث معها على الدردشة بالساعات ودون ان يمل وخاصة بعد منتصف الليل ؟ , فأومات الفتاة اى نعم صحيح ! , فاستطردت الدكتورة صوفيا حديثها وقالت .. اذن قولى لها انه ليس حب فقط انه حب ارضاء الغرور , حب امتلاك , حب النفس والهوى , شهوة للجنس الاخر ليس اكثر ولكن كل ما سبق يشبه الحب لكنه ليس حب حقيقى ..

فاحيانا نحب وفى النهاية ندرك انه لم يكن حب بل كان شىء يشبه الحب ..

ولذلك النهاية ستكون .. صدمة عندما تكتشف انه لايعرفها هى فقط بل يعرف العشرات معها , خيبة امل عندما تكتشف انه كان يخدعها باسم الحب , حزن على الحب الصادق الذى حملته له فى قلبها , خوف من ان ينكشف امرها وامر العلاقة التى كانت تسميها حب , قهر على الوقت الذى اضاعته مع شخص كان يخدعها ولم تذاكر فيه دروسها , ندم على النتيجة التى وصلت لها وخاصة اذا لم تحصل على مجموع كبير فى الثانوية العامة فستجد نفسها تعيش نهاية مؤسفة وتاثيرها ممتد معها لن ينتهى , فهل هناك شىء يستحق ان تُطيح من اجله بمستقبلها وخاصة اذا كان شىء مزيف وليس حقيقى ؟

فرد عليها جميع الحاضرين فى نفس واحد .. بالطبع لا .

ثم قامت وقفت فتاة من ضمن المتواجدين ولكنها يبدو عليها انها سيدة وليست فتاة صغيرة وقالت .. انا لست طالبة هنا بالجامعة والحقيقة لقد جئت الى هنا مع شقيقتى الصغرى فهل من الممكن ان أسال حضرتك سؤال ام ليس من المسموح لى لاننى لست طالبة هنا ؟

فنظرت لها الدكتورة صوفيا وقالت .. المحاضرة ليست للطلاب فقط , بل لكل انسان يريد ان يتعلم , اهلا بكِ فى المحاضرة وفى قلبى الذى هو مفتوح للجميع , فتجسدت السعادة على وجه تلك السيدة وحلت محل القلق والتوتر الذى كان متجليا على وجهها وقالت .. شكرا لكِ هذا ليس غريب عنكِ فالكل يتحدث عنكِ وعن اخلاقكِ وانا لم اندهش من ذوقك العالى اطلاقا , الف شكر لحضرتك , انا متزوجة ولدى طفلين ذكور وفى الحقيقة انهم يكرهون بعض بشدة وانا لا اعرف ماذا افعل فهل اعرضهم على طبيب امراض نفسية ليقول لى ماذا افعل ام بماذا تنصحيننى ؟

فصمتت دكتورة صوفيا قليلا ثم نظرت الى تللك السيد وقالت .. قبل ان تفكرى فى كيفية علاج هذا السلوك العدوانى بين ابنائك فكرى اولا فى السبب , ما السبب وراء هذا الكره ؟ اكيد انتِ او والدهم تفضلون احدهم على الاخر , تمدحون احدهم وتذمون فى الاخر , تلبون طلبات احدهم وتتجاهلون رغبات الاخر , يا سيدتى ان السلوكيات العدوانية بين الابناء غالبا تكون من صنع الاباء ! , ولكن ما نهاية التفضيل والتميز بين الابناء هى نهاية واحدة .. الكره .. الى اخر العمر للاسف الشديد ! ولذلك حاولوا ان تتداركوا خطر النهاية وتعدلوا بين الاخوة وتزرعوا الحب فى قلوبهم تجاه بعضهم البعض قبل فوات الاوان .

ثم قامت سيدة يبدو عليها انها فى العقد الخامس من عمرها وقالت هل لى ان اسأل حضرتك سؤال مهم , فأومأت لها الدكتورة صوفيا بيدها ان تفضلى بالحديث , فقالت لها السيدة ان ابنتى تبلغ من العمر عشرين عام وللاسف الشديد تحب رجل اكبر منها بثلاثين عام وانا ادرك جيدا انها تحبه لانها حُرمت من الأب فلقد توفى والدها قبل ان تاتى الى الدنيا وعاشت عمرها كله بعقدة الحرمان من الأب وعندما رفضت ارتباطها بهذا الرجل وصارحتها برأيى لم تتقبله واصرت على

رأيها وحبها له والزواج منه والله انا فى حيرة ولا اعرف ماذا افعل معها وانا اخشى على مستقبلها وعلى ضياع حياتها مع رجل مثل هذا فماذا افعل ؟

فتنهدت الدكتورة صوفيا تنهيدة تجلى فيها الارهاق الشديد والحزن وذمت شفتيها واغمضت عيناها واخذت نفس عميق ثم نظرت للسيدة وقالت .. ان النهاية معروفة وواضحة جدا بعدما تعيش معه فى بيت واحد ستجد نفسها بالنسبة له مجرد جسد للمُتعة فقط ولن تجد معه الأب الحنون الذى حُرمت منه والتى تعتقد انها ستجده فى شخصه ولكنها الان لن تسمعك ولن تفهمك ولن تدرك خطورة ما ستفعله فى نفسها ومستقبلها والحل الوحيد ان تتركيها تقترب منه اكثر وحينها ستكون الرؤية اكثر وضوحاً وستراه على حقيقته والتى هى عبارة عن .. رجل .. عجوز .. انانى .. يريد ان يُرضى غرورة ويُمتع نفسه على حساب حياة ومستقبل فتاة صغيرة .. وافقى على الخُطبة وهو بمجرد ان يشعر انه امتلكها واصبحت ملكه سيظهر على حقيقته من خلال المواقف والتى سيكون فيها يتناسى انه ليس شاب صغير من سنها وسيتناسى ايضا انها فتاة صغيرة وليست مناسبة له وعندها ستظهرالحقيقة الغبية مُتجليه بكل قوتها وحينها ستدرك جيدا انه ليس الأب الذى حُرمت منه ولن تجد معه هذا الأب بل ومستحيل ان ترتشف منه كل صفات الأب وقدرته العالية على العطاء والتضحية من اجل ابنته .. انها ستراه امامها .. العجور الانانى .. وسترى نفسها .. الضحية الصغيرة .

ثم عادت دكتورة صوفيا الى الوراء قليلا لتريح ظهرها وتنهدت تنهدية تجسد فيها احساسها بالارهاق وكأن الماضى جاء من بعيد واصبح يتجول امام عينيها وقالت ..

واخيرا ساقول لكم الخلاصة .. قبل ان تفكروا فى الحب فكروا فى نهاية هذا الحب وهل هو حب ام لا ؟ , قبل ان تفكروا فى الزواج فكروا فى نهاية تلك العلاقة واحسنوا اختيار شريك الحياة لانه لن يكون زوج فقط بل سيكون أب للابناء ايضا والذين هم ليس لهم اى ذنب لتُحمل اخطاء ابائهم , قبل ان تفكروا فى الانجاب فكروا اولا هل تصلحوا ان تكونوا اباء ام انتم فى حاجة الى تعلم وادراك اشياء كثيرة جدا قبل ان تاتوا بابنائكم الى الدنيا , ومن لديهم ابناء فكروا فى نهاية سوء تربيتكم لابنائكم ونهاية التفضيل والتميز بين الاخوة

الم اقل لكم فى بداية حديثى ان .. ان النهاية هى اهم , وان للبداية حديث وللنهاية حديث أخر

واخر نصيحة أقدمها لكم اليوم هى .. اختاروا النهايات السعيدة وليس البدايات الجميلة

وليس كل العسل فيه شفاء للناس فهناك عسل مسموم يُميت الانسان ويظل الانسان على قيد الحياة

وشكرا لكم .